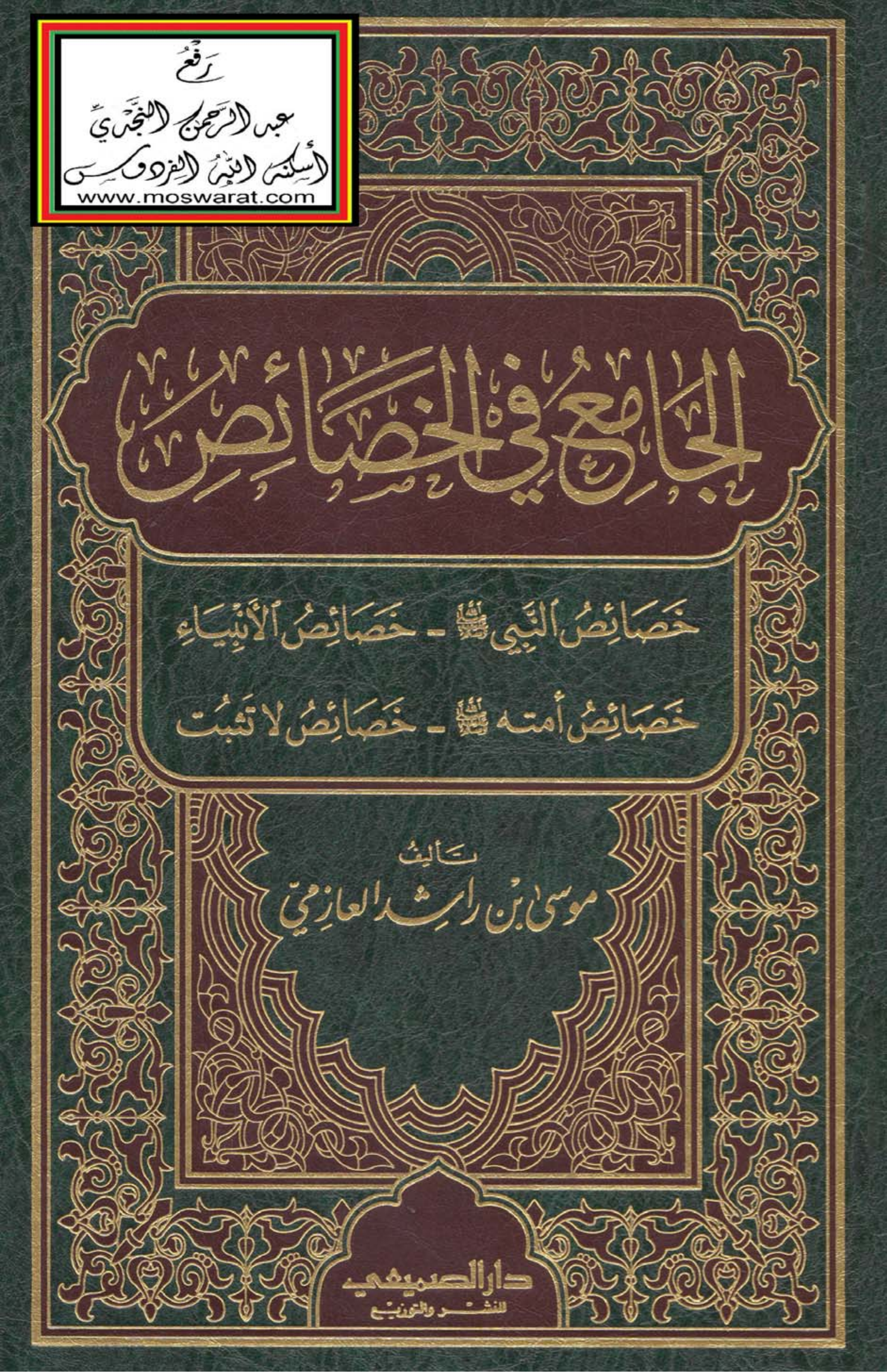
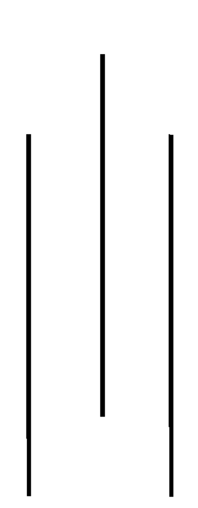


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
الجامع في الخصائص
خصائص النبي ﷺ - خصائص الأنبياء
خصائص أمته ﷺ - خصائص لا تثبت
تأليف
موسى بن راشد العازمي
دار الصميعي
للنشر والتوزيع




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com




الجامع في الخصائص

ح دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العازمي، موسى راشد

الجامع في الخصائص، خصائص النبي ﷺ خصائص الأنبياء- خصائص أمته/ موسى راشد العازمي، الرياض، ١٤٣٦هـ.

ص ؛ سم: ١٧×٢٤

ردمك: ١ - ٩٤ - ٨١٣٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - السيرة النبوية ٢ - الأخلاق الإسلامية ٣- الشمائل المحمدية أ. العنوان

ديوي: ٦، ٢٣٩ ١٤٣٦/١٣٢

رقم الإيداع: ١٤٣٦/١٣٢

ردمك: ١ - ٩٤ - ٨١٣٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

دار الصميعي للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي السويدي، شارع السويدي العام -الرياض

ص.ب: ٤٩٦٧/ الرمز البريدي: ١١٤١٢ هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥، ٤٢٥١٤٥٩ فاكس: ٤٢٤٥٣٤١

فرع القصيم: عنيزة، بجوار مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية

هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨، فاكس: ٣٦٢١٧٢٨ مدير التسويق: ٠٥٥٥١٦٩٠٥١

المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: daralsomaie@hotmail.com



الجامع في الخصائص

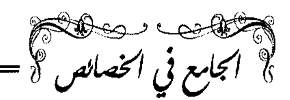
خصائص النبي ﷺ - خصائص الأنبياء

خصائص أمته ﷺ - خصائص لا تثبت

تأليف
موسى بن راشد العازمي

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم



المُقَدّمَة

اَلْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْنَا وَبِكَ آمَنَّا، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا، وَبِكَ خَاصَمْنَا، وَإِلَيْكَ حَاكَمْنَا، فَاغْفِرْ لَنَا مَا قَدَّمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ، وَالنِّعْمَةِ الْمُسْدَاةِ، سَيِّدِ الْأَوْلِيَاءِ، وَخِيرَةِ الْأَصْفِيَاءِ، مَا اتَّصَلَتْ عَيْنٌ بِنَظَرٍ، وَمَا تَأَلَّقَتْ أُذُنٌ لِخَبَرٍ، وَمَا هَلَّ مَطَرٌ وَانْحَدَرَ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ السَّادَةِ النُّجَبَاءِ، الْأَصْفِيَاءِ الْأَوْلِيَاءِ، الَّذِينَ رَفَعُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ سَارَ عَلَى مَنْهَجِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ، وَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ، وَاسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِهِ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ

ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[1].

فَبَلَّغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَتَرَكَهَا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ.

وَخَصَّهُ اللهُ تَعَالَى بِالْمَحَاسِنِ الْجَمِيلَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الْكَرِيمَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْعَدِيدَةِ، وَأَيَّدَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ، وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ، وَالْكَرَامَاتِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا مَنْ عَاصَرَهُ، وَرَآهَا مَنْ أَدْرَكَهُ، وَعَلِمَهَا عِلْمَ يَقِينٍ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ، حَتَّى انْتَهَى عِلْمُ حَقِيقَةِ ذَلِكَ إِلَيْنَا.

إِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ جَمِيلَ أَثَرِهِ ﷺ، وَحَمِيدَ سِيرَتِهِ، وَبَرَاعَةَ عِلْمِهِ، وَرَجَاحَةَ عَقْلِهِ، وَحِلْمَهُ، وَجُمْلَةَ كَمَالِهِ، وَجَمِيعَ خِصَالِهِ، وَصَوَابَ مَقَالِهِ، وَشَاهِدَ حَالِهِ، لَمْ يَمْتَرِ[2] فِي صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ، وَصِدْقِ دَعْوَتِهِ، وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ وَابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - يَعْنِي الْمَدِينَةَ -، انْجَفَلَ[3] النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ

---

(١) سورة الجمعة آية (٢).

(٢) لم يمتر: أي لم يشك، ولم يتردد. انظر لسان العرب (١٣/٩٠).
ومنه قوله تَعَالَى في سورة الدخان آية (٥٠): ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾.

(٣) انجفل: ذهبوا مسرعين نحوه. انظر النهاية (١/٢٧٠).

شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنَّ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»(١).

وَبَعْدُ، فَتُعْتَبَرُ كُتُبُ خَصَائِصِ النُّبُوَّةِ مِنْ مُلْحَقَاتِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَمُتَعَلَّقَاتِهَا، وَقَدْ أَفْرَدَهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِالتَّصْنِيفِ كَالْإِمَامِ ابْنِ الْمُلَقِّنِ وَالسُّيُوطِيِّ وَغَيْرِهِمَا.

وَمِمَّا تَجْدُرُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ أَنَّ مَوْضُوعَ خَصَائِصِ النُّبُوَّةِ جُزْءٌ مِنَ الشَّمَائِلِ، وَالدَّلَائِلِ، وَالْفَضَائِلِ، وَلِذَلِكَ دَمَجَهَا الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي مَوْضُوعٍ وَاحِدٍ، وَسَمَّاهُ: «شَمَائِلُ الرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَلَائِلُ نُبُوَّتِهِ، وَفَضَائِلُهُ، وَخَصَائِصُهُ»، كَمَا أَفْرَدَهَا فِي كِتَابٍ مُسْتَقِلٍّ عَنِ السِّيرَةِ، فَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَهَذَا أَوَانُ إِيرَادِ مَا بَقِيَ عَلَيْنَا مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ السِّيرَةِ الشَّرِيفَةِ، وَذَلِكَ أَرْبَعَةُ كُتُبٍ:

الْأَوَّلُ: فِي الشَّمَائِلِ.

الثَّانِي: فِي الدَّلَائِلِ.

الثَّالِثُ: فِي الْفَضَائِلِ.

الرَّابِعُ: فِي الْخَصَائِصِ(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٣٧٨٤) ـ والترمذي في جامعه ـ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ـ باب في إفشاء السلام ـ رقم الحديث (٢٦٥٣) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها ـ باب ما جاء في قيام الليل ـ رقم الحديث (١٣٣٤).

(٢) انظر البداية والنهاية (٦/٣٨٢).

وَقَدْ تَنَاوَلَتْ شَخْصِيَّةَ الرَّسُولِ ﷺ أَقْلَامُ الْعُلَمَاءِ عَبْرَ الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ، وَكَتَبُوا الْمُجَلَّدَاتِ وَالْأَسْفَارَ، وَجَمَعُوا كُلَّ مَا طَابَ لَهُمْ أَنْ يَجْمَعُوهُ، مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِهَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْفَذَّةِ الشَّامِخَةِ، فَلِهَذِهِ الْأَقْلَامِ فَضْلٌ عَلَى اللَّاحِقِينَ، فَجَزَى اللهُ أَصْحَابَهَا خَيْرَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَاهُ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي يَأْسَفُ لَهُ كَثِيرٌ مِنْ ذَوِي الْغَيْرَةِ وَالدِّينِ وَالْعِلْمِ، وَيُؤْلِمُ نُفُوسَهُمْ، أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الَّذِينَ كَتَبُوا فِي شَمَائِلِ النَّبِيِّ ﷺ وَخَصَائِصِهِ، وَفَضَائِلِهِ، لَمْ يَتَحَرَّوْا فِي كِتَابَاتِهِمْ وَلَمْ يَشَاؤُوا أَنْ تَنْضَبِطَ كِتَابَاتُهُمْ بِالدِّقَّةِ وَالْقَوَاعِدِ الْمُقَرَّرَةِ، وَأَقْفَرَتْ مُؤَلَّفَاتُهُمْ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالْوَعْيِ بِخُطُورَةِ الْمَوْضُوعِ وَمُتَطَلَّبَاتِهِ، وَلِعَاطِفَةِ الْإِكْثَارِ وَشَرَهِ الْإِغْرَابِ وَالتَّوَسُّعِ، رَوَوُا الْأَكَاذِيبَ وَالْخُرَافَاتِ الزَّائِفَةَ، وَأَوْدَعُوهَا كِتَابَاتِهِمْ، الْأَمْرُ الَّذِي يُنَزَّهُ عَنْهُ أَيُّ مَوْضُوعٍ عِلْمِيٍّ، وَأَيُّ كِتَابَةٍ وَاعِيَةٍ، فَأَحْرَى مَوْضُوعُ الشَّخْصِيَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَمَا أَخْطَرَهُ مِنْ مَوْضُوعٍ، وَمَا أَحْوَجَهُ إِلَى النَّقْلِ الصَّحِيحِ، وَالْبَحْثِ الْفَقِيهِ الْمُتَمَاسِكِ، فَالْأَحْدَاثُ التَّارِيخِيَّةُ لِأَيِّ عَصْرٍ وَأَيِّ إِنْسَانٍ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَوْثُوقًا بِهَا، صَحِيحَةً يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا الْقَلْبُ، فَكَيْفَ بِسِيرَةِ الرَّسُولِ الْمُعَلِّمِ وَالْقَائِدِ الْمُلْهَمِ ﷺ، وَهِيَ الرُّكْنُ الْأَوَّلُ فِي طَرِيقِ الْإِيمَانِ، وَالصُّورَةُ الْحَيَّةُ الْعَمَلِيَّةُ التَّطْبِيقِيَّةُ لِلْوَحْيِ، وَلِمُرَادِ اللهِ تَعَالَى مِنْ خَلْقِهِ(١).

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ، وَلَا يُعْدَلَ إِلَى غَيْرِهِ، أَنَّهُ لَا تَثْبُتُ خُصُوصِيَّةٌ إِلَّا بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ(٢).

---

(١) انظر تهذيب الخصائص الكبرى (ص٦) للشيخ عبد الله التليدي.

(٢) انظر السول في خصائص الرسول (ص٦٩) لابن الملقن.

وَقَدْ تَتَبَّعْتُ مَا خَصَّ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ، وَالْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأُمَّتَهُ ﷺ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْكَرَامَاتِ، وَرَتَّبْتُهَا تَرْتِيبًا جَيِّدًا، عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

* **الْأَوَّلِ: معجزات وفضائل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونظيرها لرسول الله** ﷺ.

* **الثَّانِي: خَصَائِصِ الرَّسُولِ** ﷺ.

* **الثَّالِثِ: خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.**

* **الرَّابِعِ: خَصَائِصِ أُمَّةِ النَّبِيِّ** ﷺ.

* **الخَامِسِ: خَصَائِصَ لَمْ تَثْبُتْ لِلنَّبِيِّ** ﷺ، **وَلِأُمَّتِهِ.**

وَأَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ عَمَلِي هَذَا خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَيَجْعَلَ لَهُ الْقَبُولَ إِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

** ** **

الأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ لَيْسُوا عَلَى دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ

اِخْتَارَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، وَجَعَلَ فِيهِمْ أَفْضَلَ الصِّفَاتِ مِنْ كَمَالِ الْخَلْقِ، وَحُسْنِ الصُّورَةِ، وَشَرَفِ النَّسَبِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَجَمِيعِ الْمَحَاسِنِ، وَالْكَمَالِ البَشَرِيِّ، إِذْ رُتْبَتُهُمْ أَشْرَفُ الرُّتَبِ، وَدَرَجَاتُهُمْ أَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ، وَلَكِنْ فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1].

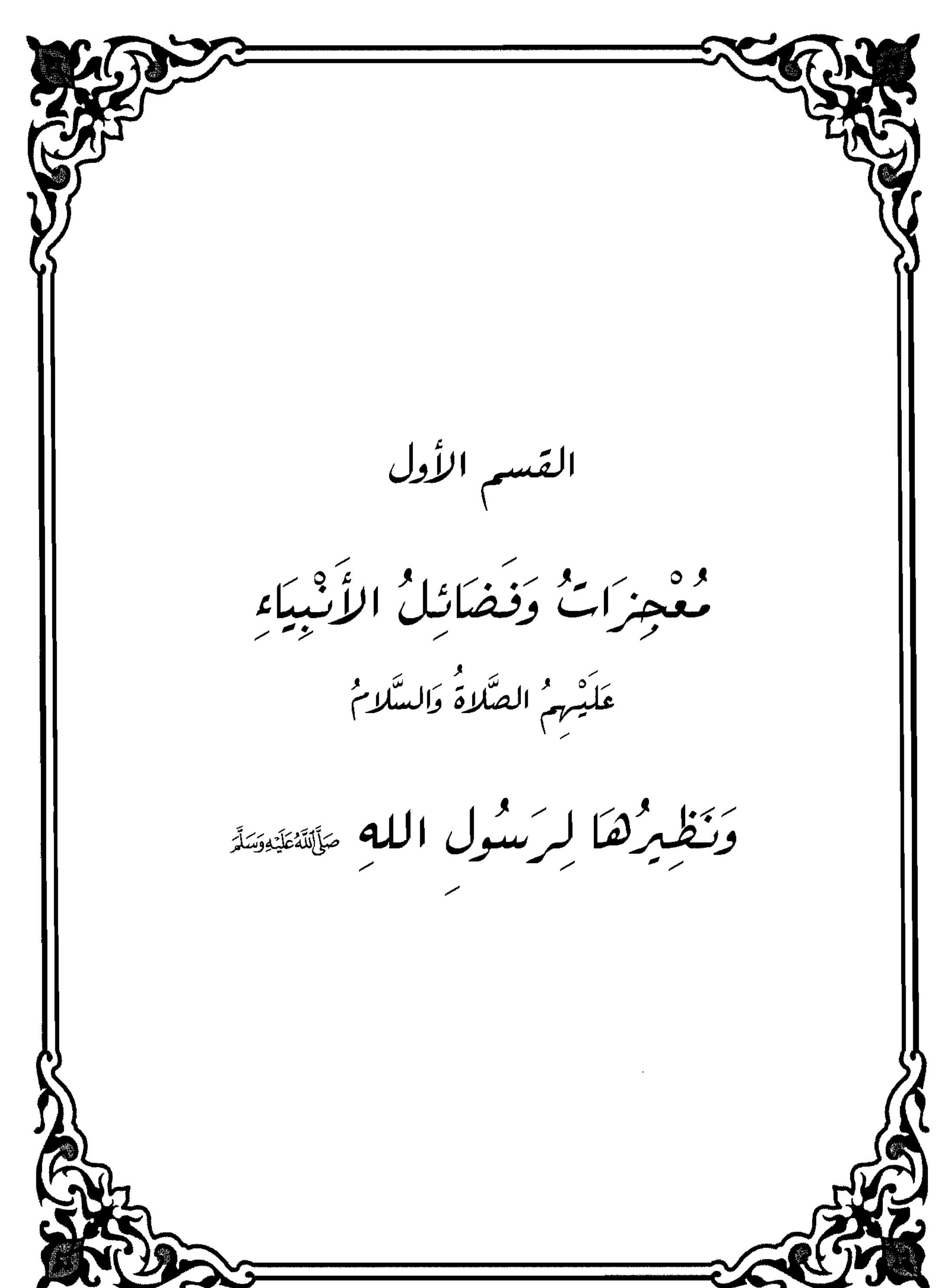
وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[2].

فَالْأَنْبِيَاءُ فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ، إِذْ هِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَتَفَاضَلُ، وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ فِي زِيَادَةِ الْأَحْوَالِ وَالْخُصُوصِ، وَالْكَرَامَاتِ وَالرُّتَبِ، وَأَمَّا النُّبُوَّةُ فِي نَفْسِهَا فَلَا تَتَفَاضَلُ، وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بِأُمُورٍ أُخَرَ زَائِدَةٍ عَلَيْهَا، وَلِذَلِكَ مِنْهُمْ: رُسُلٌ، وَمِنْهُمْ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ رُفِعَ مَكَانًا عَلِيًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ أُوتِيَ الْحُكْمَ صَبِيًّا، وَأُوتِيَ بَعْضُهُمُ الزَّبُورَ، وَبَعْضُهُمُ البَيِّنَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ تَعَالَى، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، وَأَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ هُوَ سَيِّدُنَا وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، بَلْ هُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

---

(١) سورة البقرة آية (٢٥٣).

(٢) سورة الإسراء آية (٥٥).

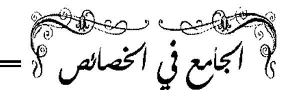


القسم الأول

مُعْجِزاتُ وَفَضائِلُ الأَنْبِياءِ

عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ

وَنَظِيرُها لِرَسُولِ اللهِ ﷺ



مُعْجِزَاتُ وَفَضَائِلُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ وَنَظِيرُهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ

قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَا أُوتِيَ نَبِيٌّ مُعْجِزَةً وَلَا فَضِيلَةً إِلَّا وَلِنَبِيِّنَا ﷺ نَظِيرُهَا أَوْ أَعْظَمُ مِنْهَا(١).

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ: وَجُعِلَتْ مُعْجِزَاتُهُ ﷺ كَمُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ وَزِيَادَةً(٢).

آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾(٣).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا(٤) ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى

---

(١) انظر الخصائص الكبرى (ص ٣٤٦) للسيوطي.
(٢) انظر تفسير القرطبي (١٧/١٨٨).
(٣) سورة ص الآيات (٧١ ـ ٧٥).
(٤) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ في تفسيره (١/٢٢٣): الصحيح أنه علّمه أسماء الأشياء كلها، ذواتها وأفعالها.

ﭐلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[1].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى[2] رَبِّنَا، فَأَرَاحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ يُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا...**»[3].

❋ **نَظِيرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أَمَّا السُّجُودُ فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا** ﴾[4].

قَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: صَلَاةُ اللهِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **يُصَلُّونَ**: يُبَرِّكُونَ[5].

---

(١) سورة البقرة آية (٣١).

(٢) في رواية البخاري: «إلى».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ ـ رقم الحديث (٤٤٧٦) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ـ رقم الحديث (١٩٣) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٢١٥٣).

(٤) سورة الأحزاب آية (٥٦).

(٥) علقه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾.

* **هَذَا التَّشْرِيفُ الَّذِي شُرِّفَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَمُّ وَأَعَزُّ فِي الْإِكْرَامِ مِنْ تَشْرِيفِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ أُمِرَ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّجُودِ لَهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:**

أَحَدُهُمَا: أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ وَانْقَطَعَ، وَتَشْرِيفُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلَاةِ مُسْتَمِرٌّ أَبَدًا.

وَالثَّانِي: أَنَّ ذَلِكَ حَصَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا غَيْرَ، وَتَشْرِيفُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصَلَ مِنَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، بِأَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى أَهْلَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، لِيَجْتَمِعَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمَيْنِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ جَمِيعًا(٢).

نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَمَّا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَجَابَ دَعْوَتَهُ عَلَى قَوْمِهِ بِالْهَلَاكِ، وَأَغْرَقَهُمْ بِالطُّوفَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ

---

(١) انظر الخصائص الكبرى للسيوطي (ص٣٤٦).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٦/٤٥٧).

ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[1].

* نَظِيرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ:

ـ دَعْوَتُهُ ﷺ عَلَى الَّذِينَ وَضَعُوا سَلَا الْجَزُورِ عَلَى ظَهْرِهِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لهُ جُلُوسٌ إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَا[2] جَزُورِ[3] بَنِي فُلَانٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ، فَانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ فَجَاء بِهِ، وَهُوَ عُقْبَةُ بنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَنَظَرَ[4] حَتَّى إِذَا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي[5] شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ[6]، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ، وَيُحِيلُ[7] بَعْضُهُم عَلَى

(١) سورة القمر، آية: ٩ ـ ١٦.

(٢) السَّلَا: هُوَ الجلد الرقيق الَّذِي يخرج فيه الولد من بطن أمِّهِ ملفوفاً فيه، وهو بالنسبة للآدميات يسمى المشيمة. انظر النهاية (٢/٣٥٧).

(٣) الجَزُورُ: البَعيرُ ذكراً كان أو أنثى. انظر النهاية (١/٢٥٨).

(٤) أي: انتظر.

(٥) قال الحافظ في الفتح (١/٤٦٥): أي لا أُغني في كفِّ شرِّهم، أو لا أغيِّرُ شيئاً من فعلهم.

(٦) قال الحافظ في الفتح (١/٤٦٥): المنعةُ بفتح النون القوة، وإنما قال ذلك ابن مسعود، لأنه لم يكن له بمكة عشيرةٌ، لكونه هُذلياً.

(٧) قال الحافظ في الفتح (١/٤٦٦): ويحيل: كذا هنا بالمهملة من الإحالة، والمراد أن بعضهم=

بعْضٍ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ[(١)] فَطَرَحتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**»[(٢)] ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: وَكَانُوا يَرَوْنَ[(٣)] أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلكَ الْبَلَدِ[(٤)] مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى ﷺ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بنِ رَبِيْعَة، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**»، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ الله ﷺ صَرْعى فِي الْقَلِيبِ[(٥)]، قَلِيبِ بَدْرٍ[(٦)].

= ينسب فعل ذلك إلى بعض بالإشارة تهكُّماً، ويحتمل أن يكون من حال يَحِيل بالفتح إذا وثب على ظهر دابته، أي يثب بعضهم على بعض من المرح والبَطَر.
وفي رواية الإمام مسلم: «**ويميل**».

(١) هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وقد وقع التصريح باسمها في رواية الإمام مسلم في صحيحه.
قال الشيخ محمد الغزالي في كتابه فقه السيرة ص١٢٤: والبنت في المجتمع العربي تعيش في كنفِ أبيها، وتفخرُ بقوته، وتأنس بحمايته، وما يحُزُ في قلب الرجل أن يرى نفسه في وضع تدفعُ عنه ابنتهُ، وتشعُرُ بالعجزِ وقلة النَّاصرِ.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٤٦٦/١): أي بإهلاك قريش، والمراد الكفارُ منهم أو ممن سمى منهم، فهو عام أريد به الخصوص.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤٦٦/١): أي يعتقدون.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤٦٦/١): المراد بالبلد مكة.

(٥) قال العلماء: إنما أمر بإلقائهم فيه لئلا يتأذّى الناس بريحهم، وإلا فالحربي لا يجب دفنه، والظاهر أن البِئرَ لم يكن فيها ماء. انظر فتح الباري (٤٦٨/١).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الوضوء ـ باب إذا ألقى على ظهر المصلي قَذَر=

* **فَوَائِدُ الْحَدِيثِ:**

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ:

١ ـ تَعْظِيمُ الدُّعَاءِ بِمَكَّةَ عِنْدَ الْكُفَّارِ، وَمَا ازْدَادَتْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا تَعْظِيمًا.

٢ ـ وَفِيهِ مَعْرِفَةُ الْكُفَّارِ بِصِدْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَوْفِهِمْ مِنْ دُعَائِهِ، وَلَكِنْ حَمَلَهُمُ الْحَسَدُ عَلَى تَرْكِ الِانْقِيَادِ لَهُ.

٣ ـ وَفِيهِ حِلْمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّنْ آذَاهُ، فَفِي رِوَايَةِ الطَّيَالِسِيِّ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ شُعْبَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمْ أَرَهُ دَعَا عَلَيْهِمْ إِلَّا يَوْمَئِذٍ[1]، وَإِنَّمَا اسْتَحَقُّوا الدُّعَاءَ حِينَئِذٍ لِمَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الِاسْتِخْفَافِ بِهِ حَالَ عِبَادَتِهِ رَبَّهُ.

٤ ـ وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ الدُّعَاءِ ثَلَاثًا.

٥ ـ وَفِيهِ جَوَازُ الدُّعَاءِ عَلَى الظَّالِمِ، لَكِنْ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَحَلُّهُ مَا إِذَا كَانَ كَافِرًا، فَأَمَّا الْمُسْلِمُ فَيُسْتَحَبُّ الِاسْتِغْفَارُ لَهُ.

٦ ـ وَفِيهِ قُوَّةُ نَفْسِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ مِنْ صِغَرِهَا، لِشَرَفِهَا فِي قَوْمِهَا وَنَفْسِهَا،

= أو جيفة لم تفسد عليه صلاته ـ رقم الحديث (٢٤٠) ـ وأخرجه كذلك في غير موضع في الصحيح ـ وأخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب ما لقى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى المشركين والمنافقين ـ رقم الحديث (١٧٩٤).

(١) أخرجه الطيالسي في مُسْنَدِهِ، ـ رقم الحديث (٣٢٣) ـ وإسناده صحيح.

لِكَوْنِهَا صَرَّحَتْ بِشَتْمِهِمْ، وَهُمْ رُؤُوسُ قُرَيْشٍ، فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهَا كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ[1].

٧ ـ وَفِيهِ أَنَّ الْمُبَاشَرَةَ آكَدُ مِنَ السَّبَبِ وَالإِعَانَةِ لِقَوْلِهِ فِي عُقْبَةَ: «**أَشْقى الْقَوْمِ**»، مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ: أَبُو جَهْلٍ، وَهُوْ أَشَدُّ مِنْهُ كُفْرًا، وَأَذىً لِلنَّبِيِّ ﷺ لَكِنَّ الشَّقَاءَ هُنَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ لِأَنَّهُمُ اشْتَرَكُوا فِي الْأَمْرِ وَالرِّضَا، وَانْفَرَدَ عُقْبَةُ بِالْمُبَاشَرَةِ فَكَانَ أَشْقَاهُمْ، وَلِهَذَا قُتِلُوا فِي الْحَرْبِ، وَقُتِلَ عُقْبَةُ صَبْرًا[2].

*** وَزَادَ نَبِيُّنَا ﷺ عَلَى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ فِي مُدَّةِ عِشْرِينَ سَنَةً آمَنَ بِهِ أُلُوفٌ كَثِيرَةٌ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وَنُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ إِلَّا دُونَ الْمِئَةِ نَفْسٍ[3].**

*** وَمِمَّا أُوتِيَهُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَسْخِيرُ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ لَهُ فِي السَّفِينَةِ، وَقَدْ سُخِّرَتْ بَعْضُ الْحَيَوَانَاتِ لِنَبِيِّنَا ﷺ.**

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) في صحيح البخاري ـ كتاب الصلاة ـ باب المرأة تطرح عن المصلي شيئًا من الأذى ـ رقم الحديث (٥٢٠) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ـ رقم الحديث (١٧٩٤) (١٠٧).

(٢) كل من قُتِل في غير معركة، ولا حرب، ولا خطأ، فإنه مقتول صبراً. انظر النهاية (٨/٣) ـ وانظر كلام الحافظ في فتح الباري (٤٦٨/١).

(٣) قَالَ اللهُ تَعَالَى في سورة هود آية ٤٠ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.
قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كانوا ثمانين نفسا منهم نساؤهم. انظر تفسير ابن كثير (٣٢١/٤).

أَحْسَنَ النَّاسِ[1]، وَأَجْوَدَ النَّاسِ[2]، وَأَشْجَعَ النَّاسِ[3]، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَرَكِبَ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ[4]، وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، فَخَرَجَ النَّاسُ فَإِذَا هُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ قَدِ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ، وَهُوَ يَقُولُ: **«لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا»**[5]، ثُمَّ قَالَ ﷺ لِلْفَرَسِ: **«لَقَدْ وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ»**.

قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: وَكَانَ الْفَرَسُ قَبْلَ ذَلِكَ يُبَطَّأُ[6]، قَالَ: مَا سُبِقَ بَعْدَ ذَلِكَ[7].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ سَفَرٍ، حَتَّى إِذَا دَفَعْنَا إِلَى حَائِطٍ[8] مِنْ

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٧٣/١٢): أي أحسنهم خَلقاً وخُلقاً.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧٣/١٢): أي أكثرهم بذلاً لما يقدم عليه.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٧٣/١٢): أي أكثرهم إقداماً مع عدم الفرار.

(٤) عُري: بضم العين وسكون الراء أي لا سَرْج عليه. انظر شرح المسند للسندي (٢٧٢/٧) ـ النهاية (٢٠٣/٣).

(٥) لم تراعوا: أي اطمئنوا ولا تخافوا. انظر النهاية (٢٥٢/٢).

(٦) قال الإمام النووي في شرح مسلم (٥٥/١٥): أي كان يُعرف هذا الفرس بالبطء والعجز وسوء السير.

(٧) أخرج ذلك: البخاري في صحيحه ـ كتاب الهبة ـ باب من استعار من الناس فرساً ـ رقم الحديث (٢٦٢٧) ـ وأخرجه في كتاب الأدب ـ باب حُسن الخلق والسخاء وما يُكره من البخل ـ رقم الحديث (٦٠٣٣) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب في شجاعة النبي ﷺ ـ رقم الحديث (٢٣٠٧) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٢٤٩٤).

(٨) الحائط: هُوَ البستان. انظر النهاية (٤٤٤/١).

حِيطَانِ بَنِي النَّجَّارِ، إِذَا فِيهِ جَمَلٌ لَا يَدْخُلُ الْحَائِطَ أَحَدٌ إِلَّا شَدَّ عَلَيْهِ[1]، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ حَتَّى أَتَى الْحَائِطَ، فَدَعَا الْبَعِيرَ، فَجَاءَ وَاضِعًا مِشْفَرَهُ[2] إِلَى الْأَرْضِ، حَتَّى بَرَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«هَاتُوا خِطَامَهُ»**[3]، فَخَطَمَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: **«إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا عَاصِي الْجِنِّ وَالْإِنْسِ»**[4].

* وَصِيَّةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِهِ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كَفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ[5] لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ،**

---

(١) شد عليه: أي حَمَل وهجم عليه. انظر النهاية (٢/٤٠٥).

(٢) مِشفر البعير: هي شفته. انظر لسان العرب (٧/١٤٩).

(٣) خطام البعير: أن يؤخذ حَبْل من ليف أو شعر فيجعل في أحد طرفيه حلْقه ثم يُشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة، ثم يُقاد البعير. انظر النهاية (٢/٤٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٤٣٣٣).

(٥) قال السندي في شرح المسند (٤/٣٥٣): قصمتهن: قطعتهن وكسرتهن.

وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ؟

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا»، قِيلَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا»، قِيلَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا»، قِيلَ: أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا الْكِبْرُ؟

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَفَهُ الْحَقِّ[1]، وَغَمْصُ النَّاسِ»[2].

إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[3].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا ذِكْرُ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، بِأَنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، وَأَنَّ اللهَ رَفَعَهُ مَكَانًا عَلِيًّا، وَقَدْ رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا أَنَّ

---

(١) قال السندي في شرح المسند (٣٥٣/٤): سفه الحق: هُوَ أن يرى الحق سفهاً باطلاً، فلا يقبله، ويتعظم عليه.

(٢) قال السندي في شرح المسند (٣٥٣/٤): غمص الناس: احتقارهم.

والحديث أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٦٥٨٣) ـ والبخاري في الأدب المفرد ـ رقم الحديث (٥٤٨) ـ وأورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٣٤/١) وقَالَ: إسناده صحيح.

(٣) سورة مريم آية (٥٦ ـ ٥٧).

رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِهِ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ، وَهُوَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ[1].

* **نَظِيرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ:**

أُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَفْضَلَ وَأَكْمَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا شَفِيعٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يُنَادِي بِهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَقَرَنَ اللهُ اسْمَهُ بِاسْمِهِ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ رُفِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، حَتَّى سَلَّمَ عَلَى إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، ثُمَّ جَاوَزَهُ إِلَى الْخَامِسَةِ، ثُمَّ إِلَى السَّادِسَةِ، فَسَلَّمَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَا، ثُمَّ جَاوَزَهُ إِلَى السَّابِعَةِ، فَسَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عِنْدَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، ثُمَّ جَاوَزَ ذَلِكَ الْمَقَامَ، فَرُفِعَ لِمُسْتَوًى سَمِعَ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ، وَجَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى[2]، وَرَأَى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ[3]، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْكُبْرَى، وَصَلَّى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب مناقب الأنصار ـ باب المعراج ـ رقم الحديث (٣٨٨٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات ـ رقم الحديث (١٦٢) ـ وانظر كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/٢٤٠).

(٢) أخرج هذه المشاهد في الإسراء والمعراج: البخاري في صحيحه ـ كتاب مناقب الأنصار ـ باب المعراج ـ رقم الحديث (٣٨٨٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات رقم الحديث (١٦٢).

(٣) الأحاديث في دخوله ورؤيته ﷺ الجنة كثيرة جداً، أذكر منها: =

بِالْأَنْبِيَاءِ، وَشَيَّعَهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ رِضْوَانُ خَازِنُ الْجِنَانِ[1]، وَمَالِكُ خَازِنُ النَّارِ[2]، فَهَذَا هُوَ الشَّرَفُ، وَهَذِهِ هِيَ الرِّفْعَةُ، وَهَذَا هُوَ التَّكْرِيمُ، وَالتَّنْوِيهُ، وَالْإِشْهَارُ، وَالتَّقْدِيمُ، وَالْعُلُوُّ، وَالْعَظَمَةُ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى سَائِرِ أَنْبِيَاءِ اللهِ أَجْمَعِينَ.

= * رَوَى الْإِمَامُ أحمد فِي مُسْنَدِهِ بسند صحيح على شرط الشيخين ـ رقم الحديث (١٢٠٠٨) ـ عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دخلت الجنة، فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسك أذفر** ـ أي طيب الريح ـ، **قلت: ما هذا يا جبريل؟**

قَالَ: هذا الكوثر الَّذِي أعطاكه الله».

* وأما رؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النار، فقد روى البخاري في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب من صلى وقدامه تنور أو نار ـ رقم الحديث (٤٣١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الكسوف ـ باب ما عرض على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ـ رقم الحديث (٩٠٧) ـ عن ابن عباس قَالَ: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُريت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع**».

(١) **قلت**: لم يثبت أن خازن الجنة اسمه رضوان، وكل الأحاديث التي وردت في ذلك إما ضعيفة أو موضوعة.

(٢) جاء ذكر خازن النار باسم مالك مصرحاً به في القرآن الكريم، فقال سبحانه وتَعَالَى في سورة الزخرف آية (٧٧): ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾.

ورَوَى الْإِمَامُ البخاري في صحيحه ـ رقم الحديث (٧٠٤٧) ـ عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كان رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يُكثر أن يقول لأصحابه: «**هل رأى أحد منكم من رؤيا؟**»، **قَالَ**: فيقص عليه **ما** شاء الله أن يَقُص، وإنه قال لنا ذات غداة: إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي: انطلق... فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة، كأكره **ما** أنت راءٍ رجلاً مرآة، وإذا عنده نار يَحُشُّها ويسعى حولها... فقالا لي: أما الرجل الكريه المرآة الَّذِي عند النار، يَحُشُّها وَيسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم.

وَأَمَّا رَفْعُ ذِكْرِهِ فِي الْآخِرِينَ، فَإِنَّ دِينَهُ بَاقٍ نَاسِخٌ لِكُلِّ دِينٍ، وَلَا يُنْسَخُ هُوَ أَبَدَ الْآبِدِينَ، وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ[1].

*** قِصَّةٌ لَا تَثْبُتُ:**

رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ عَنْ هِلَالِ بنِ يَسَافٍ قَالَ: سَأَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَعْبَ الْأَحْبَارِ، وَأَنَا حَاضِرٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِإِدْرِيسَ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[2]؟

فَقَالَ كَعْبٌ: أَمَّا إِدْرِيسُ فَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنِّي أَرْفَعُ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ عَمَلِ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ، فَأَحَبَّ أَنْ يَزْدَادَ عَمَلُهُ، فَأَتَاهُ خَلِيلٌ لَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ كَذَا وَكَذَا، فَكَلِّمْ لِي مَلَكَ الْمَوْتِ، فَلْيُؤَخِّرْنِي حَتَّى أَزْدَادَ عَمَلًا، فَحَمَلَهُ بَيْنَ جَنَاحَيْهِ، حَتَّى صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا كَانَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ تَلَقَّاهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ مُنْحَدِرًا، فَكَلَّمَ مَلَكَ الْمَوْتِ فِي الَّذِي كَلَّمَهُ فِيهِ إِدْرِيسُ،

---

(١) انظر البداية والنهاية (٦/٦٧٥) ـ وقوله: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة**» هُوَ حديث عن الرسول ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الاعتصام ـ باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق**» ـ رقم الحديث (٧٣١١) ـ وأخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإمارة ـ باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق**» ـ رقم الحديث (١٩٢٠) (١٩٢١).

(٢) سورة مريم آية (٥٧).

فَقَالَ: وَأَيْنَ إِدْرِيسُ؟

قَالَ: هُوَ ذَا عَلَى ظَهْرِي، قَالَ مَلَكُ الْمَوْتِ: فَالْعَجَبُ! بُعِثْتُ وَقِيلَ لِي: اِقْبِضْ رُوحَ إِدْرِيسَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: كَيْفَ أَقْبِضُ رُوحَهُ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، وَهُوَ فِي الْأَرْضِ؟

فَقَبَضَ رُوحَهُ هُنَاكَ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ بَعْدَ أَنْ أَوْرَدَ هَذِهِ الْقِصَّةَ فِي تَفْسِيرِهِ: هَذَا مِنْ أَخْبَارِ كَعْبِ الْأَحْبَارِ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَفِي بَعْضِهِ نَكَارَةٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ[2].

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَهَذَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ[3].

هُودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَمَّا هُودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ عَلَى قَوْمِهِ بِالرِّيحِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾[4].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٥٢/٨) ـ وابن أبي شيبة في مصنفه ـ رقم الحديث (٣٢٥٤٤).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢٤١/٥).

(٣) انظر فتح الباري (٢١/٧).

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٦ ـ ٩.

* **نَظِيرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ:**

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا**[1] **وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**»[2].

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾[3].

قَالَ مُجَاهِدُ بنُ جَبْرٍ رَحِمَهُ اللهُ: هِيَ رِيحُ الصَّبَا أُرْسِلَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، حَتَّى كَفَأَتْ قُدُورَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهَا، وَنَزَعَتْ خِيَامَهُمْ حَتَّى أَظْعَنَتْهُمْ[4].

* * *

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٣/٢١٦): الصَّبَا: بفتح الصاد والباء: ويُقال لها القَبول بفتح القاف لأنها تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس، وضدها الدبور وهي الَّتِي أهلكت بها قوم عاد، وهم قوم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ.
قال الحافظ في الفتح (٣/٢١٦): **ومن لطيف المناسبة: كون القبول نصرت أهل القبول، وكون الدبور أهلكت أهل الإدبار.**

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الاستسقاء ـ باب قول النبي ﷺ: «**نصرت بالصبا**» ـ رقم الحديث (١٠٣٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة الاستسقاء ـ باب في ريح الصبا والدبور ـ رقم الحديث (٩٠٠).

(٣) سورة الأحزاب آية (٩).

(٤) ظَعَنَ: ذهب وسار. انظر لسان العرب (٨/٢٥٣) ـ وانظر الخبر في تفسير ابن جرير الطبري (١٠/٢٦٤).

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَمَّا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَدْ أُوتِيَ نَبْعَ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ[1]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[2].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ[3] مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[4].

---

(١) وهي إحدى معجزاته عليه الصلاة والسلام، قَالَ اللهُ تَعَالَى في سورة الإسراء آية (١٠١): ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾.
قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هي العصا، واليد، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. انظر تفسير ابن كثير (١٢٤/٥).
قال الحافظ بن كثير في تفسيره (١٢٥/٥): وقد أُوتي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ آيات أُخر كثيرة منها: ضربه الحجر بالعصا، وخروج الأنهار منه، ومنها تظليلهم الغمام، وإنزال المنّ والسلوى، وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر، ولكن ذكر هنا التسع الآيات الّتِي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر، وكانت حجة عليهم، فخالفوها وعاندوها كفراً وجحوداً.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

(٣) البَجْسُ: انشقاق في قِربة أو حجر أو أرض ينبع منه الماء. انظر لسان العرب (٣٨١/١).

(٤) سورة الأعراف آية (١٦٠).

* **نَظِيرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

وَوَقَعَ ذَلِكَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَزَادَ بِنَبْعِهِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ الشَّرِيفَةِ.

* **وَهُوَ أَعْجَبُ، فَإِنَّ نَبْعَهُ مِنَ الْحَجَرِ مُتَعَارَفٌ مَعْهُودٌ، وَأَمَّا مِنْ بَيْنِ اللَّحْمِ وَالدَّمِ فَلَمْ يُعْهَدْ.**

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنَاءٍ وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ[1]، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ.

قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟

قَالَ: ثَلَاثُمِائَةٍ، أَوْ زُهَاءَ[2]، ثَلَاثِمِائَةٍ[3].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ[4]، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: «**مَالَكُمْ**»؟

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا فِي

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٧/٢٨٤): الزوراء: مكان معروف بالمدينة عند السوق.

(٢) زُهاء: أي قَدْر. انظر النهاية (٢/٢٩١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب علامات النبوة في الإسلام ـ رقم الحديث (٣٥٧٢).

(٤) الركوة: بفتح الراء إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء. انظر النهاية (٢/٢٣٧).

رَكْوَتِكَ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ.

قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا، فَقِيلَ لِجَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟

قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةٍ(١).

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: قِصَّةُ نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَرَّرَتْ مِنْهُ فِي عِدَّةِ مَوَاطِنَ فِي مَشَاهِدَ عَظِيمَةٍ، وَوَرَدَتْ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ يُفِيدُ مَجْمُوعُهَا الْعِلْمَ الْقَطْعِيَّ الْمُسْتَفَادَ مِنَ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ، وَلَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ عَنْ غَيْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

قَالَ أَحْمَد شَوْقِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَمَّا دَعَا الصَّحْبُ يَسْتَسْقُونَ مِنْ ظَمَأٍ ... فَاضَتْ يَدَاهُ مِنَ التَّسْنِيمِ(٣) بِالسَّنَمِ(٤)

* **وَأُوتِيَ مُوسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **الْعَصَا**، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المغازي ـ باب غزوة الحديبية ـ رقم الحديث (٤١٥٢).

(٢) انظر فتح الباري (٧/٢٨٣).

(٣) التسنيم: هُوَ شراب لأهل الجنة. انظر تفسير بن كثير (٧/٥١٤).
قَالَ تَعَالَى في سورة المطففين آية (٢٧ ـ ٢٨): ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

(٤) سنم الإناء تسنيما: ملأه، كأنه أراد بالسنم الإناء المملوء. انظر لسان العرب (٦/٣٩٥).

جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[1].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[2].

* **نَظِيرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ** ﷺ:

رَوَى الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ[3]، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ - أَوْ رَجُلٌ[4]: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَراً[5]؟

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٠٣ - ١٠٧).

(٢) سورة الشعراء، الآية: (٣٠ - ٣٢).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣٠٦/٧): هُوَ شكٌّ من الراوي، وقد أخرجه الإسماعيلي من طريق وكيع عن عبد الواحد «**فقام إلى نخلة**» ولم يشك.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٣٠٦/٧): هُوَ شكٌّ من الراوي والمعتمد الأول - أي امراة -.

(٥) قال الحافظ في الفتح (١١٤/٢): فإن قيل سياق حديث جابر هذا مخالف لسياق حديث سهل الَّذِي أخرجه البخاري في صحيحه - رقم الحديث (٩١٧): أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أرسل إلى امرأة من الأنصار فقال لها: مُري غُلامك النجار.
لأن في حديث جابر أن المرأة هي الَّتِي ابتدأت بالعرْض، وفي حديث سهل أنه هُوَ ﷺ الَّذِي أرسل إليها يطلب ذلك.
* أجاب ابن بطال: باحتمال أن تكون المرأة ابتدأت بالسؤال متبرعة بذلك، فلما وصل لها القبول أمكن أن يُبطئ الغلام بعمله، فأرسل يستنجزها إتمامه لعلمه بطيب نفسها بما بذلته، ويمكن إرساله إليها ليعرفها بصفة ما يصنعه الغلام من الأعواد، وأن يكون ذلك منبراً.

قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ» فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ.

قَالَ: كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا[١].

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ جَابِرٌ: كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ فَكَانَ عَلَيْهِ فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ[٢]، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، فَسَكَنَتْ[٣].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، وَابْنُ مَاجَهْ وَالطَّحَاوِيُّ فِي شَرْحِ مُشْكِلِ الْآثَارِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ، لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب علامات النبوة في الإسلام ـ رقم الحديث (٣٥٨٤) ـ وأخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٤٢٠٦).

(٢) العشار: جمع عُشَراء بضم العين وفتح الشين، هي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر. انظر النهاية (٣/٢١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب علامات النبوة في الإسلام ـ رقم الحديث (٣٥٨٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٢٣٦) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في بدء شأن المنبر ـ رقم الحديث (١٤١٥) ـ والطحاوي في شرح مشكل الآثار ـ رقم الحديث (٤١٧٧).

قَوْلَةٌ جَمِيلَةٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

رَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّهُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: يَا عِبَادَ اللهِ، الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ اللهِ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ[1].

* وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[2].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[3].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾[4].

* وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[5].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي حَقِّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[6].

* * *

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ـ كتاب التاريخ ـ باب المعجزات ـ رقم الحديث (٦٥٠٧).
(٢) سورة طه آية (٨٤).
(٣) سورة الضحى آية (٥).
(٤) سورة البقرة آية (١٤٤).
(٥) سورة طه آية (٣٩).
(٦) سورة آل عمران آية (٣١).

دَاوُودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَمَّا دَاوُودُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَدْ أُوتِيَ تَسْبِيحَ الْجِبَالِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾(١).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾(٢).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ دَاوُودَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، مِمَّا آتَاهُ مِنَ الْفَضْلِ الْمُبِينِ، وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ الْمُتَمَكِّنِ، وَالْجُنُودِ ذَوِي الْعَدَدِ وَالْعُدَدِ، وَمَا أَعْطَاهُ وَمَنَحَهُ مِنَ الصَّوْتِ الْعَظِيمِ، الَّذِي كَانَ إِذَا سَبَّحَ بِهِ تُسَبِّحُ مَعَهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ، الصُّمُّ الشَّامِخَاتُ، وَتَقِفُ لَهُ الطُّيُورُ السَّارِحَاتُ، وَالْغَادِيَاتُ وَالرَّائِحَاتُ، وَتُجَاوِبُهُ بِأَنْوَاعِ اللُّغَاتِ(٣).

*** وَنَظِيرُهَا لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْبِيحُ الطَّعَامِ:**

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَقَلَّ الْمَاءُ، فَقَالَ: «**اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ**»، فَجَاؤُوا

---

(١) سورة سبأ آية (١٠).

(٢) سورة ص آية (١٧ ـ ١٨).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٦/٤٩٧).

بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «**حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ**[1]، **وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللهِ**»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ[2].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالْحِكْمَةُ فِي طَلَبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ فَضْلَةَ الْمَاءِ لِئَلَّا يُظَنَّ أَنَّهُ الْمُوجِدُ لِلْمَاءِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَجْرَى الْعَادَةَ فِي الدُّنْيَا غَالِبًا بِالتَّوَالُدِ[3].

* حَدِيثُ تَسْبِيحِ الْحَصَى لَا يَصِحُّ:

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا أَتَتَبَّعُ خَلَوَاتِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَيْتُهُ يَوْمًا جَالِسًا وَحْدَهُ، فَاغْتَنَمْتُ خَلْوَتَهُ فَجِئْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَسَلَّمَ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ عَنْ يَمِينِ عُمَرَ، وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعُ حَصَيَاتٍ، أَوْ قَالَ: تِسْعُ حَصَيَاتٍ، فَأَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي كَفِّهِ، فَسَبَّحْنَ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٧/٢٩٢): أي هلموا إلى الطهور، والطهور بفتح الطاء، والمراد به الماء.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب علامات النبوة في الإسلام ـ رقم الحديث (٣٥٧٩).

(٣) انظر فتح الباري (٧/٢٩٢).

حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ[1].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَأَمَّا تَسْبِيحُ الْحَصَى فَلَيْسَتْ لَهُ إِلَّا هَذِهِ الطَّرِيقُ الْوَاحِدَةُ مَعَ ضَعْفِهَا[2].

سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَمَّا سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ أُوتِيَ مُلْكًا عَظِيمًا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[3].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[4].

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/٦٤).

(٢) انظر فتح الباري (٧/٢٩٣).

(٣) سورة ص آية (٣٤ ـ ٤٠).

(٤) سورة سبأ آية (١٢ ـ ١٣).

* **نَظِيرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ـ وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ ـ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي فَرَطٌ**[1] **لَكُمْ، وَإِنِّي شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى الْحَوْضِ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا**»[2].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِنْذَارٌ بِمَا سَيَقَعُ فَوَقَعَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمُ الْفُتُوحُ بَعْدَهُ، وَآلَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَحَاسَدُوا وَتَقَاتَلُوا، وَوَقَعَ مَا هُوَ الْمُشَاهَدُ الْمَحْسُوسُ لِكُلِّ أَحَدٍ مِمَّنْ يَشْهَدُ بِمِصْدَاقِ خَبَرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَقَعَ مَعَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ فَرَطُهُمْ أَيْ سَابِقُهُمْ، وَكَانَ كَذَلِكَ، وَأَنَّ أَصْحَابَهُ لَا يُشْرِكُونَ بَعْدَهُ، فَكَانَ كَذَلِكَ، وَوَقَعَ مَا أَنْذَرَ بِهِ مِنَ التَّنَافُسِ فِي الدُّنْيَا[3].

* * *

(١) فَرَط: بالتحريك أي متقدمكم وسابقكم. انظر النهاية (٣/٣٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب علامات النبوة في الإسلام ـ رقم الحديث (٣٥٩٦) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته ـ رقم الحديث (٢٢٩٦) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٧٣٤٤).

(٣) انظر فتح الباري (٧/٣٢٠).

* وَسُخِّرَتْ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجِنُّ:

وَكَانَتْ تَعْتَاصُ عَلَيْهِ[١] حَتَّى يُصَفِّدَهَا[٢] وَيُعَذِّبَهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾[٤].

* وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَتْهُ وُفُودُ الْجِنِّ طَائِعَةً مُؤْمِنَةً.

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «.. **إِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ**[٥] - وَنِعْمَ الْجِنُّ - **فَسَأَلُونِي الزَّادَ فَدَعَوْتُ اللهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا**»[٦].

---

(١) استعصى عليه الشيء: اشتد كأنه من العصيان. انظر لسان العرب (٩/٢٥١).
(٢) صَفَّده: يعني أوثقه وشده وقَيَّده في الحديد وغيره. انظر لسان العرب (٧/٣٥٧).
(٣) سورة سبأ آية (١٢).
(٤) سورة ص آية (٣٤ - ٣٨).
(٥) قال الحافظ في الفتح (٧/٥٧٤): نصيبين: بلدة مشهورة بالجزيرة.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب مناقب الأنصار - باب ذكر الجن - رقم الحديث (٣٨٦٠).

وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ»[1].

*** وَسُخِّرَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّيَاطِينُ وَالْمَرَدَةُ مِنْهُمْ حَتَّى هَمَّ أَنْ يَرْبِطَ الشَّيْطَانَ الَّذِي أَخَذَهُ بِسَارِيَةِ الْمَسْجِدِ.**

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ عِفْرِيتًا[2] مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ[3] عَلَيَّ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾»**[4].

*** وَعُلِّمَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْطِقَ[5] الطَّيْرِ.**

قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن ـ رقم الحديث (٤٥٠) (١٥٠).

(٢) قال الإمام النووي في شرح مسلم (٥/٢٥): العفريت: العاتي المارد من الجن.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٢/١٢٩): تفلت: بتشديد اللام أي تعرض لي فلتة أي بغتة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد ـ رقم الحديث (٤٦١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة ـ رقم الحديث (٥٤١).

(٥) المنطق: الكلام. انظر لسان العرب (١٤/١٨٨).

وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[١].

* **نَظِيرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وَأُعْطِيَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهْمَ كَلَامِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ، وَزَادَ كَلَامَ الشَّجَرِ وَالْحَجَرِ.

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**»[٢].

عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَمَّا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ أُوتِيَ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ، وَكَانَ يَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، فَيَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ، وَيُبْرِئُ الْأَكْمَهَ[٣]، وَالْأَبْرَصَ، وَكَانَ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا يَأْكُلُونَ[٤]، وَمَا يَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ[٥].

(١) سورة النمل آية (١٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب فضل نسب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ـ رقم الحديث (٢٢٧٧).

(٣) الأكمه: هُوَ الَّذِي يُولد أعمى. انظر لسان العرب (١٢/١٦١).

وهذا التفسير للأكمه هُوَ الَّذِي رجّحه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/٤٤) بقوله: وهو أشبه، لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي.

(٤) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ في تفسيره (٢/٤٥): أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن.

(٥) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ في تفسيره (٢/٤٥): أي وما هُوَ مدخر له في بيته لغد.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

❊ **نَظِيرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ:**

فِي إِبْرَاءِ الْمَرْضَى وَذَوِي الْعَاهَاتِ: رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ(٢) لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ؟**»، فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ(٣)، قَالَ: «**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**»، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرِئَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ(٤).

---

(١) سورة آل عمران آية (٤٩).

(٢) يَدُوكون: أي يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه. انظر النهاية (٢/١٣١).

(٣) الَّذِي أصاب علي رضي الله عنه في عينيه الرمد.
والرمد: هُوَ وجع العين وانتفاخها. انظر لسان العرب (٥/٣١١).

(٤) أخرج ذلك البخاري في صحيحه ـ كتاب المغازي ـ باب غزوة خيبر ـ رقم الحديث (٤٢١٠) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ رقم الحديث (٢٤٠٥) (٢٤٠٦) (٢٤٠٧).

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا رَمِدْتُ مُنْذُ تَفَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنِي[1].

وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ فُوَيْكٍ[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ أَبَاهُ خَرَجَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَيْنَاهُ مُبْيَضَّتَانِ لَا يُبْصِرُ بِهِمَا شَيْئًا، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا أَصَابَهُ»**؟

قَالَ: كُنْتُ أُمَرِّنُ خَيْلاً لِي فَوَقَعَتْ رِجْلِي عَلَى بَيْضِ حَيَّةٍ فَأُصِيبَ بَصَرِي، فَنَفَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ فَأَبْصَرَ، قَالَ: فَرَأَيْتُهُ يُدْخِلُ الْخَيْطَ فِي الْإِبْرَةِ وَإِنَّهُ لَابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً[3].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرِضْتُ فَجَاءَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَأَتَانِي وَقَدْ أُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُم صَبَّ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي، كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي؟

قَالَ: فَمَا أَجَابَنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ[4].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٥٧٩) ـ وإسناده حسن.

(٢) قال الحافظ في الإصابة (٢/٢٠): فُوَيك بفاء وواو مصغراً، ويُقَالَ: بدل الواو دال، ويقَالَ: راء.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ـ رقم الحديث (٣٢٤٦٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب ما كان النبي=

قَالَ أَحْمَد شَوْقِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَخُوكَ عِيسَى دَعَا مَيْتاً فَقَامَ لَهُ ... وَأَنْتَ أَحْيَيْتَ أَجْيَالاً مِنَ الرِّمَمِ

وَالْجَهْلُ مَوْتٌ فَإِنْ أُوتِيتَ مُعْجِزَةً ... فَابْعَثْ مِنَ الْجَهْلِ أَوْ فَابْعَثْ مِنَ الرَّجَمِ[1]

*** نَظِيرُ الْإِخْبَارِ بِالْمُغَيَّبَاتِ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَةٌ جِدًّا، فَمِنْهَا:**

رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه فِي السُّنَنِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ**»[2].

وَرَوَى أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ يَتَبَاهَوْنَ[3] بِالْمَسَاجِدِ، وَلَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلاً**»[4].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا ـ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ ـ عَنْ أَبِي

= صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسأل مما لم ينزل عليه الوحي ـ رقم الحديث (٧٣٠٩) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفرائض ـ باب ميراث الكلالة ـ رقم الحديث (١٦١٦) (٥)

(١) الرَّجَم: بالتحريك هُوَ القبر. انظر لسان العرب (٥/١٦١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الصلاة ـ باب في بناء المساجد ـ رقم الحديث (٤٤٩) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب المساجد والجماعات ـ باب تشييد المساجد ـ رقم الحديث (٧٣٩).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٢/١٠٩): يتباهون: بفتح الهاء أي يتفاخرون.

(٤) أخرجه أبو يعلى فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٨١٧) ـ وعلّقه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب بنيان المسجد.

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ[1]، وَيُلْقَى الشُّحُّ[2]، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ»، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«الْقَتْلُ»**[3].

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَجَمِيعُ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الْأَشْرَاطِ قَدْ رَأَيْنَاهَا عِيَانًا، فَقَدْ نَقَصَ الْعِلْمُ، وَظَهَرَ الْجَهْلُ، وَأُلْقِيَ الشُّحُّ فِي الْقُلُوبِ، وَعَمَّتِ الْفِتَنُ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ[4].

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الَّذِي شَاهَدَهُ ـ ابْنُ بَطَّالٍ ـ كَانَ مِنْهُ الْكَثِيرُ، مَعَ وُجُودِ مُقَابِلِهِ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْحَدِيثِ اسْتِحْكَامُ ذَلِكَ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِمَّا يُقَابِلُهُ إِلَّا النَّادِرَ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِالتَّعْبِيرِ بِقَبْضِ الْعِلْمِ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا الْجَهْلُ الصِّرْفُ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ وُجُودُ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، لِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ حِينَئِذٍ مَغْمُورِينَ فِي أُولَئِكَ[5].

*** وَالْمُرَادُ بِالْعِلْمِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ هُوَ عِلْمُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهُوَ الْعِلْمُ**

---

(١) قال الحافظ في الفتح (١٤/٥٠٩): المراد بظهور الفتن: كثرتها واشتهارها وعدم التكاتم بها، والله المستعان.

(٢) الشح: أشد البخل. انظر النهاية (٢/٤٠١).

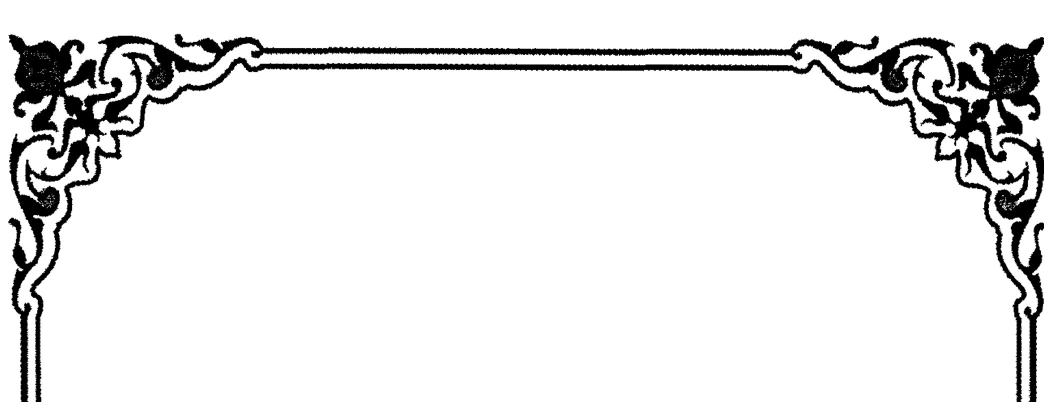
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الفتن ـ باب ظهور الفتن ـ رقم الحديث (٧٠٦١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب العلم ـ باب رفع العلم وقبضه... ـ رقم الحديث (١٥٧) (١١).

(٤) انظر فتح الباري (١٤/٥٠٧).

(٥) انظر فتح الباري (١٤/٥٠٧).

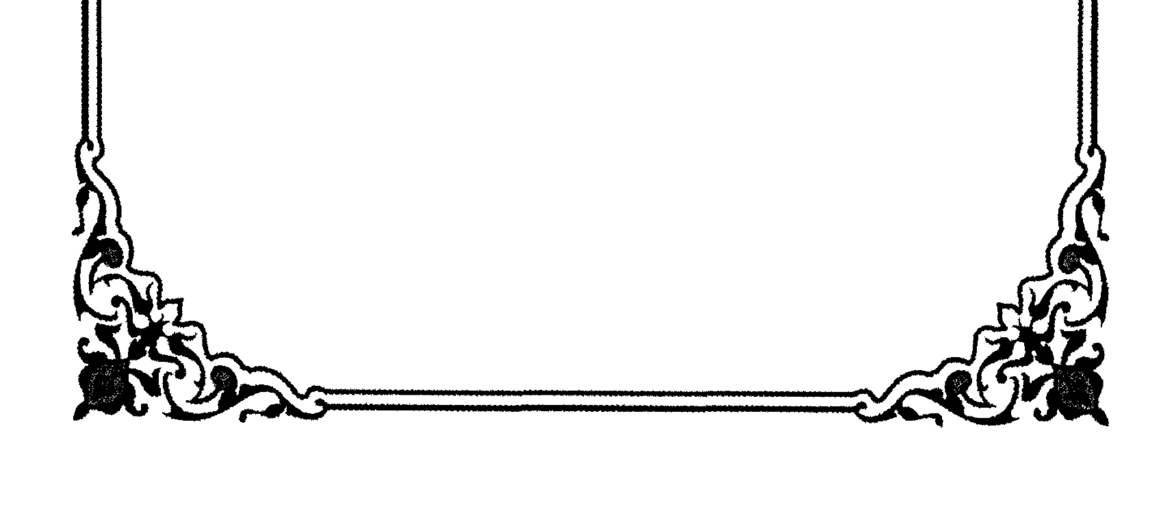
الْمَوْرُوثُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَبِذَهَابِهِمْ يَذْهَبُ الْعِلْمُ، وَتَمُوتُ السُّنَنُ، وَتَظْهَرُ الْبِدَعُ، وَيَعَمُّ الْجَهْلُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

** ** **



القسم الثاني

الخصائص التي فُضِّل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء ولم يُعْطَهَا نبيٌّ قبله



الخَصَائِصُ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ، وَلَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلَهُ

أَخْذُ الْمِيثَاقِ عَلَى النَّبِيِّينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَنْصُرُوهُ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: فَالرَّسُولُ ﷺ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ، دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَهُوَ الإِمَامُ الأَعْظَمُ الَّذِي لَوْ وُجِدَ فِي أَيِّ عَصْرٍ لَكَانَ هُوَ الْوَاجِبَ الطَّاعَةِ الْمُقَدَّمَ عَلَى الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ، وَلِهَذَا كَانَ إِمَامَهُمْ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ لَمَّا اجْتَمَعُوا بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ[2]، وَكَذَلِكَ هُوَ الشَّفِيعُ فِي يَوْمِ الْحَشْرِ فِي إِتْيَانِ الرَّبِّ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي لَا يَلِيقُ إِلَّا لَهُ[3]، وَالَّذِي يَحِيدُ عَنْهُ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، حَتَّى

(١) سورة آل عمران آية (٨١).

(٢) أخرج ذلك: الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب ذكر المسيح ابن مريم ـ رقم الحديث (١٧٢).

(٣) أخرج ذلك: البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ=

تَنْتَهِيَ التَّوْبَةُ إِلَيْهِ، فَيَكُونُ هُوَ الْمَخْصُوصَ بِهِ[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ بَالشَّوَاهِدِ عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ، وَقَالَ: **«أَمُتَهَوِّكُونَ[2] فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»**[3].

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ بَشَّرَتَا بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ**

= ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ـ رقم الحديث (٤٧١٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ـ رقم الحديث (١٩٣) (١٩٤).

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/٦٨).

(٢) قال الإمام البغوي في شرح السنة (١/٢٧١): أمتهوكون: أي متحيرون أنتم في الإسلام، لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى.

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٥١٥٦) ـ والبغوي في شرح السنة ـ رقم الحديث (١٢٦).

فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: وَهَذِهِ صِفَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ بَشَّرُوا أُمَمَهُمْ بِبَعْثِهِ، وَأَمَرُوهُمْ بِمُتَابَعَتِهِ، وَلَمْ تَزَلْ صِفَاتُهُ مَوْجُودَةً فِي كُتُبِهِمْ يَعْرِفُهَا عُلَمَاؤُهُمْ وَأَحْبَارُهُمْ[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا[3] لِلْأُمِّيِّينَ[4]، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ[5] وَلَا سَخَّابٍ[6] فِي

---

(١) سورة الأعراف آية (١٥٧).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/٤٨٣).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٩/٥٦٠): حِرزاً بكسر الحاء وسكون الراء أي حصناً.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٩/٥٦٠): الأميين هم العرب.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٩/٥٦٠): قوله: ليس بفظ ولا غليظ، موافق لقوله تَعَالَى في سورة آل عمران آية (١٥٩): ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾، ولا يعارض قوله تَعَالَى في سورة التوبة آية (٧٣): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾، لأن النفي محمول على طبعه الَّذِي جُبِل عليه، والأمر محمول على المعالجة، أو النفي بالنسبة للمؤمنين والأمر بالنسبة للكفار والمنافقين كما هُوَ مصرح به في نفس الآية.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٥/٧٤) (٩/٥٦١): ولا سَخّاب: كذا فيه بالسين وهي لغة أثبتها=

الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرْ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ[1] بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُفْتَحُ بِهَا أَعْيُنٌ عُمْيٌ، وَآذَانٌ صُمٌّ، وَقُلُوبٌ غُلْفٌ[2].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[3].

= الفراء وغيره، وبالصاد أشهر، ومعناها: رفع الصوت بالخصام.
ويستفاد منه أن دخول الإمام الأعظم السوق لا يحط من مرتبته لأن النفي إنما ورد في ذم السخب فيها لا عن أصل الدخول.

(١) قال الحافظ في الفتح (٥/٧٥): أي ملة العرب، ووصفها بالعوج لما دخل فيها من عبادة الأصنام، والمراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب البيوع ـ باب كراهية السخب في الأسواق ـ رقم الحديث (٢١٢٥) ـ وأخرجه في كتاب التفسير ـ باب ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ـ رقم الحديث (٤٨٣٨).

(٣) سورة الفتح آية (٢٩).

قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/٣٧٢): وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقَالَ: إن الله تَعَالَى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الَّذِين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، ولم يخص ذلك على وقت دون وقت، وإذ كان ذلك كذلك، فذلك على كل الأوقات، فكان سيماهم الَّذِي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام،=

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يَعْنِي أَنَّهُمْ يَكُونُونَ قَلِيلاً ثُمَّ يَزْدَادُونَ وَيَكْثُرُونَ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حِينَ بَدَأَ بِالدُّعَاءِ إِلَى دِينِهِ ضَعِيفًا، فَأَجَابَهُ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ حَتَّى قَوِيَ أَمْرُهُ، كَالزَّرْعِ يَبْدُو بَعْدَ الْبَذْرِ ضَعِيفًا، فَيَقْوَى حَالاً بَعْدَ حَالٍ حَتَّى يَغْلُظَ سَاقُهُ وَأَفْرَاخُهُ، فَكَانَ هَذَا مِنْ أَصَحِّ مَثَلٍ، وَأَوْضَحِ بَيَانٍ(١).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ حَجَبَ الشَّيَاطِينَ عَنِ السَّمَاوَاتِ لِبِعْثَتِهِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾(٢).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى لِسَانِ الْجِنِّ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾(٣).

= وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وآثار أداء فرائضه وتطوعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرة في الوجه، والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود.

(١) انظر تفسير القرطبي (١٩/٣٤٥).

(٢) سورة الصافات آية (٦ ـ ١٠).

(٣) سورة الجن آية (٨ ـ ٩).

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الْجِنُّ يَسْمَعُونَ الْوَحْيَ فَيَسْتَمِعُونَ الْكَلِمَةَ فَيَزِيدُونَ فِيهَا عَشْرًا، فَيَكُونُ مَا سَمِعُوا حَقًّا، وَمَا زَادُوهُ بَاطِلاً، وَكَانَتِ النُّجُومُ لَا يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَحَدُهُمْ لَا يَأْتِي مَقْعَدَهُ إِلَّا رُمِيَ بِشِهَابٍ يُحْرِقُ مَا أَصَابَ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى إِبْلِيسَ، فَقَالَ: مَا هَذَا إِلَّا مِنْ أَمْرٍ قَدْ حَدَثَ، فَبَثَّ جُنُودَهُ، فَإِذَا هُمْ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْ نَخْلَةَ[1]، فَأَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هَذَا الْحَدَثُ الَّذِي حَدَثَ فِي الْأَرْضِ[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَقُّ صَدْرِهِ، وَجَعْلُ خَاتَمِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِإِزَاءِ قَلْبِهِ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ[3]، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ

---

(١) نخلة: هُوَ موضع بالحجاز قريب من مكة، فيه نخل وزرع. انظر معجم البلدان (٨/٣٨١).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة الجن ـ رقم الحديث (٣٦١٣) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٤٨٢) ـ وانظر تفاصيل رمي الجن بالشهب قبل بعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإسلامهم في كتابنا: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (١/١٥٤ ـ ١٦٣).

(٣) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١/١٨٧): لأمه: أي جمعه وضم بعضه على بعض.

ـ يَعْنِي ظِئْرَهِ[1] ـ، فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ[2].

قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ[3].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالْحِكْمَةُ مِنْ شَقِّ صَدْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَغِيرٌ: نَزَعُ الْعَلَقَةِ السَّوْدَاءِ الَّتِي مِنْ حَظِّ الشَّيْطَانِ مِنْ كُلِّ بَشَرٍ، ثُمَّ إِخْرَاجُهَا بَعْدَ خَلْقِهَا كَرَامَةً رَبَّانِيَّةً، فَهُوَ أَدَلُّ عَلَى مَزِيدٍ مِنَ الرِّفْعَةِ وَالْكَرَامَةِ، وَبِنَزْعِهَا مِنْهُ نَشَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْعِصْمَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ[4].

وَوَقَعَ شَقُّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، فَقَدْ رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ..»** وَذَكَرَ حَدِيثَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ[5].

---

(١) الظِّئْرُ: المُرْضِعَةُ غير ولدها. انظر النهاية (٣/١٤٠).

(٢) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١/١٨٧): منتقع اللون: أي متغير اللون.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الإسراء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السموات ـ رقم الحديث (١٦٢) (٢٦١).

(٤) انظر فتح الباري (٧/٦٠٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب كيف فُرضت الصلوات في الإسراء؟ ـ رقم الحديث (٣٤٩) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الإسراء برسول الله=

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: ثُمَّ وَقَعَ شَقُّ الصَّدْرِ عِنْدَ إِرَادَةِ الْعُرُوجِ بِهِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ لِيَتَأَهَّبَ لِلْمُنَاجَاةِ... وَجَمِيعُ مَا وَرَدَ مِنْ شَقِّ الصَّدْرِ، وَاسْتِخْرَاجِ الْقَلْبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ مِمَّا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ دُونَ التَّعَرُّضِ لِصَرْفِهِ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِصَلَاحِيَةِ الْقُدْرَةِ، فَلَا يَسْتَحِيلُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ(١).

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ:

وَلَعَلَّ أَحَادِيثَ شَقِّ الصَّدْرِ تُشِيرُ إِلَى هَذِهِ الْحَصَانَاتِ الَّتِي أَضْفَاهَا اللهُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، فَجَعَلَتْهُ مِنْ طُفُولَتِهِ بِنَجْوَةٍ قَصِيَّةٍ عَنْ مَزَالِقِ الطَّبْعِ الْإِنْسَانِيِّ، وَمَفَاتِنِ الْحَيَاةِ الْأَرْضِيَّةِ(٢).

* **خَاتَمُ النُّبُوَّةِ:**

وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ قِطْعَةِ لَحْمٍ نَاتِئَةٍ، عَلَيْهَا شَعَرٌ عِنْدَ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ ﷺ، حَجْمُهَا قَدْرُ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ(٣).

وَهَذَا الْخَاتَمُ الَّذِي يُعْرَفُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، هُوَ عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِهِ ﷺ

= ﷺ إلى السموات - رقم الحديث (١٦٣).
ورواه البخاري في صحيحه من طريق مالك بن صعصعة رضي الله عنه - كتاب مناقب الأنصار - باب المعراج - رقم الحديث (٣٨٨٧) - ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات - رقم الحديث (١٦٤).

(١) انظر فتح الباري (٧/٦٠٤ - ٦٠٥).

(٢) انظر فقه السيرة ص٦٣ للشيخ محمد الغزالي رحمه الله.

(٣) انظر فتح الباري (٧/٢٥٤).

النَّبَوِيَّةِ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، كَمَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قِصَّةُ بَحِيرَا الرَّاهِبِ، وَقِصَّةُ إِسْلَامِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

وَهَذَا الْخَاتَمُ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا حِينَ وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا تَكَوَّنَ بَعْدَ الْوِلَادَةِ، وَأَنَّهُ عَلَى الْأَصَحِّ كَانَ بَعْدَ حَادِثَةِ شَقِّ الصَّدْرِ، وَهُوَ صَغِيرٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: السِّرُّ فِي وَضْعِ الْخَاتَمِ عِنْدَ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْقَلْبَ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ؛ وَلِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْصُومٌ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، وَذَلِكَ الْمَوْضِعُ يَدْخُلُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ(٣).

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي الشَّمَائِلِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ الْعَوَقِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ خَاتَمِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْنِي خَاتَمَ النُّبُوَّةِ - فَقَالَ: كَانَ فِي ظَهْرِهِ بَضْعَةٌ نَاشِزَةٌ(٤).

وروَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ،

---

(١) انظر تفاصيل القصتين في كتابنا:
اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (١/١٠٨ ـ ١١٠) (٢/٨٩ ـ ٩٩).

(٢) انظر فتح الباري (٧/٢٥٥).

(٣) انظر فتح الباري (٧/٢٥٦) ـ الروض الأنف (١/٢٩٤) ـ صحيح مسلم بشرح النووي (٨/٨٠).

(٤) بضعة ناشزة: أي قطعة لحم مرتفعة عن الجسم. انظر النهاية (٥/٤٨).
والحديث أخرجه الترمذي في: الشمائل ـ رقم الحديث (٢٢) ـ وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة ـ رقم الحديث (٢٠٩٣) وصحح إسناده.

فَمَسَحَ رَأْسِي، وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وُضُوئِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، مِثْلَ زِرِّ الْحَجَلَةِ(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ خَاتَمًا فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّهُ بَيْضَةُ حَمَامٍ(٢).

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا، أَوْ قَالَ: ثَرِيدًا... قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ، فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، عِنْدَ نَاغِضِ(٣) كَتِفِهِ الْيُسْرَى، جُمْعًا(٤) عَلَيْهِ خِيلَانٌ(٥) كَأَمْثَالِ الثَّآلِيلِ(٦).

---

(١) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٥/٨٠): الحَجَلَةُ: واحدة الحجال، وهي بيت كالقبة لها أزرار كبار وعرى هذا هُوَ الصواب المشهور الَّذِي قاله الجمهور.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب خاتم النبوة ـ رقم الحديث (٣٥٤١) ـ وأخرجه في كتاب المرضى ـ باب من ذهب بالصبي المريض ليُدعى له ـ رقم الحديث (٥٦٧٠) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب إثبات خاتم النبوة وصفته ـ رقم الحديث (٢٣٤٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب إثبات خاتم النبوة ـ رقم الحديث (٢٣٤٥)

(٣) الناغضُ: هُوَ أعلى الكتف. انظر لسان العرب (١٤/٢٢٠).

(٤) جُمعاً: يريد مثل جُمْع الكف، وهو أن يجمع الأصابع ويضمها. انظر النهاية (١/٢٨٥).

(٥) الخيلان: جمع خال وهو شامة سوداء في البدن. انظر لسان العرب (٤/٢٦٦).

(٦) الثَّآليل: جمعُ ثُؤلُولٍ: وهو هذه الحبَّةُ الَّتِي تظهرُ في الجلد كالحمّصة فما دونها. انظر النهاية (١/٢٠٠). =

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْتَرِبْ مِنِّي**»، فَاقْتَرَبْتُ مِنْهُ، فَقَالَ: «**أَدْخِلْ يَدَكَ، فَامْسَحْ ظَهْرِي**». قَالَ: فَأَدْخَلْتُ يَدِي فِي قَمِيصِهِ، فَمَسَحْتُ ظَهْرَهُ، فَوَقَعَ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ بَيْنَ أُصْبُعَيَّ، قَالَ: فَسُئِلَ عَنْ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ؟

فَقَالَ: شَعَرَاتٌ بَيْنَ كَتِفَيْهِ[1].

وَفِي رِوَايَةِ الْحَاكِمِ فِي الْمُسْتَدْرَكِ: قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شَعَرٌ مُجْتَمِعٌ عِنْدَ كَتِفَيْهِ[2].

*** رِوَايَاتٌ ضَعِيفَةٌ:**

رَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ الْبُنْدُقَةِ مِنْ لَحْمٍ، عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ[3].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَأَمَّا مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّهَا ـ يُرِيدُ الْخَاتَمَ ـ كَانَتْ كَأَثَرِ مِحْجَمٍ[4]، أَوْ كَالشَّامَةِ السَّوْدَاءِ، أَوِ الْخَضْرَاءِ، أَوْ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: «**مُحَمَّدٌ**

= والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب إثبات خاتم النبوة وصفته ـ رقم الحديث (٢٣٤٦) ـ وأخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٠٧٧٠).

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٠٧٣٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ـ رقم الحديث (٤٢٥٤).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه ـ كتاب التاريخ ـ باب صفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخباره ـ رقم الحديث (٦٣٠٢).

(٤) المِحْجَمُ: بكسر الميم الآلة الَّتِي يجتمع فيها دم الحجامة عند المصِّ. انظر النهاية (١/٣٣٥).

رَسُولُ اللهِ»، أَوْ «سِرْ فَأَنْتَ مَنْصُورٌ»، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَلَمْ يَثْبُتْ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلَا تَغْتَرَّ بِمَا وَقَعَ مِنْهَا فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ، فَإِنَّهُ غَفِلَ حَيْثُ صَحَّحَ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ(١).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ أَرَاهُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا(٢):

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَ: قُلْتُ: أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾(٣)، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾(٤)، قَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْهُمَا، فقَالَ: «إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ»، لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا إِلَّا مَرَّتَيْنِ: رَآهُ مُنْهَبِطاً مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا

---

(١) انظر فتح الباري (٧/٢٥٦).

(٢) قلت: هذه الخصوصية ذكرها الإمام السيوطي في كتابه: الخصائص الكبرى، ولم يذكر عليها دليلاً.

(٣) سورة التكوير آية رقم (٢٣).
قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ (٨/٣٣٩) في تفسير هذه الآية: يعني ولقد رأى محمد ﷺ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي يأتيه بالرسالة عن الله عَزَّ وَجَلَّ على الصورة الَّتِي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: البيّن، وهي الرؤية الأولى الَّتِي كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله تعَالَى في سورة النجم: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾.

(٤) سورة النجم آية (١٣).

بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ[1].

ورَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[2]، قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ[3].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ خَفَّفَ الْعَذَابَ عَنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَوَاللهِ كَانَ يَحُوطُكَ[4] وَيَغْضَبُ لَكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ[5] مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[6].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب في ذكر سدرة المنتهى ـ رقم الحديث (١٧٧) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٦٠٤٠).

(٢) سورة النجم آية (٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ ـ رقم الحديث (٤٨٥٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب ذكر سدرة المنتهى ـ رقم الحديث (١٧٤) (٢٨٠).

(٤) قال الإمام النووي في شرح مسلم (٣/٧١): يقَالَ: حاطه يحُوطه حوْطاً وحِياطة: إذا صانه وحفظه وذب عنه.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٧/٥٩٢): الضَّحْضاحُ: هُوَ استعارة، فإن الضَّحْضاح من الماء ما يبلغُ الكعب، والمعنى أنه خفف عنه العذاب.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب قصة أبي طالب ـ رقم الحديث=

ورَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ فَقَالَ: **«لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ»**(١).

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»**(٢).

قَالَ الْإِمَامُ السُّهَيْلِيُّ: الْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ تَابِعًا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجُمْلَتِهِ، إِلَّا أَنَّهُ مُثْبِتٌ لِقَدَمَيْهِ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَسُلِّطَ الْعَذَابُ عَلَى قَدَمَيْهِ خَاصَّةً لِتَثْبِيتِهِ إِيَّاهُمَا عَلَى مِلَّةِ آبَائِهِ(٣).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالنَّفْعُ الَّذِي حَصَلَ لِأَبِي طَالِبٍ مِنْ خَصَائِصِهِ بِبَرَكَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٤).

= (٣٨٨٣) ـ وأخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه ـ رقم الحديث (٢٠٩).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب قصة أبي طالب ـ رقم الحديث (٣٨٨٥) ـ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه ـ رقم الحديث (٢١٠).

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب أهون أهل النار عذاباً ـ رقم الحديث (٢١٢) ـ وأخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٦٣٦).

(٣) انظر الروض الأنف (٢/٢٢٥).

(٤) انظر فتح الباري (٧/٥٩٤).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ رِحْلَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ:

وَخُصَّ ﷺ بِرِحْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، وَأُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَوَطِئَ مَكَانًا لَمْ يَطَأْهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَأَحْيَا اللهُ لَهُ الْأَنْبِيَاءَ، وَصَلَّى بِهِمْ إِمَامًا بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَأَطْلَعَهُ اللهُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَرَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى، وَحَفِظَهُ حَتَّى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[3].

قَالَ أَحْمَد شَوْقِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَسْرَى بِكَ اللهُ لَيْلاً إِذْ مَلَائِكُهُ ... وَالرُّسْلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ
لَمَّا خَطَرْتَ بِهِ الْتَفُّوا بِسَيِّدِهِمْ ... كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعَلَمِ

(١) انظر تفاصيل رحلة الإسراء والمعراج في كتابنا: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (١/٤٥٧ ـ ٥١٩).
(٢) سورة الإسراء، آية (١).
(٣) سورة النجم، الآيات (١٠ ـ ١٨).

صَـلَّى وَرَاءَكَ مِـنْهُمْ كُـلُّ ذِي خَطَـرٍ وَمَـــنْ يَفُـــزْ بِحَبِيـــبِ اللهِ يَـــأْتَمِمِ
جُبْتَ السَّـمَاوَاتِ أَوْ مَـا فَـوْقَهُنَّ بِهِـمْ عَلَـــى مُنَـــوَّرَةٍ دُرِّيَّـــةِ اللُّجُـــمِ
رَكُوبَـةٍ لَـكَ مِـنْ عِـزٍّ وَمِـنْ شَـرَفٍ لَا فِي الْجِيَادِ وَلَا فِي الْأَيْنُقِ الرُّسُـمِ
مَشِــيئَةُ الْخَــالِقِ الْبَــارِي وَصَــنْعَتُهُ وَقُــدْرَةُ اللهِ فَــوْقَ الشَّــكِّ وَالــتُّهَمِ
حَتَّــى بَلَغْــتَ سَــمَاءً لَا يُطَــارُ لَهَــا عَلَـى جَنَـاحٍ وَلَا يُسْـعَى عَلَـى قَـدَمِ
وَقِيــلَ كُــلُّ نَبِــيٍّ عِنْــدَ رُتْبَتِــهِ وَيَــا مُحَمَّــدُ هَــذَا الْعَـرْشُ فَاسْـتَلِمِ

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ صَلَاتُهُ إِمَامًا بِالْأَنْبِيَاءِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي رِحْلَةِ الْإِسْرَاءِ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... **وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ[1] جَعْدٌ[2] كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ[3]، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**

---

(١) في رواية أخرى في صحيح مسلم ـ رقم الحديث (١٦٧) (٧٢١): قال رسول الله ﷺ: «**ضَرْبٌ من الرجال**»: أي خفيف اللحم. انظر النهاية (٣/٧٢).

(٢) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١/١٩٥): أما الجعد في صفة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه معنيان: أحدهما: هُوَ اكتناز الجسم، والثاني: جُعودة الشعر، والأول أصح، لأنه جاء في رواية أبي هريرة في صحيح البخاري ـ رقم الحديث (٣٤٣٧) أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجِلَ الرأس.

(٣) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١/١٩٤): شنوءة هي قبيلة معروفة، سُمُّوا بذلك من قولك رجُل فيه شنوءة، أي تقزز وهو التباعد من الأدناس.

عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ[1]، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ ـ يَعْنِي نَفْسَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ»[2].

وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى قَامَ يُصَلِّي، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا النَّبِيُّونَ أَجْمَعُونَ يُصَلُّونَ مَعَهُ[3].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ:

وَخُصَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَنَّهُ كِتَابٌ مُعْجِزٌ، وَمَحْفُوظٌ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ، وَجَامِعٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَمُسْتَغْنٍ عَنْ غَيْرِهِ، وَمُشْتَمِلٌ عَلَى مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْكُتُبِ وَزِيَادَةٌ، وَمُيَسَّرٌ لِلْحِفْظِ، وَنَزَلَ مُنَجَّمًا[4]،

---

(١) عروة بن مسعود الثقفي سيد قبيلة ثقيف أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسن إسلامه. انظر أسد الغابة (٣/٢٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ـ رقم الحديث (١٧٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٣٢٤) ـ وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/٢٨) وصحح إسناده.

(٤) قال الحافظ في الفتح (١٠/١٠): منجماً: أي مفرقاً.

والحكمة في نزول القرآن منجماً أمور ذكرها الحافظ في الفتح (١٠/١٠) فمنها:

١ ـ تسهيل حفظه، لأنه لو نزل جملة واحدة على أمة أمية لا يقرأ غالبهم، ولا يكتب لشق عليهم حفظه. =

وَنَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(٢).

= ٢ ـ ومنها: تثبيت فؤاد النبي ﷺ، فقد قَالَ اللهُ تَعَالَى في سورة الفرقان آية (٣٢): ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ ﴾ أي أنزلناه مفرقاً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ ـ أي لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه، وتجدد العهد به، وبما معه من الرسالة الواردة من الله تَعَالَى، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كانَ رسول اللهِ ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقائه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٣ ـ ومنها: أن الله تَعَالَى قَدّر أن ينسخ من أحكامه ما شاء، فكان إنزاله مفرقاً لينفصل الناسخ من المنسوخ أولى من إنزالهما معاً، فقد رَوَى الْإِمَامُ البخاري في صحيحه ـ رقم الحديث (٤٩٩٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصّل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس ـ أي رجع الناس ـ إلى الإسلام نزل الحلال والحرام.

قال الحافظ في الفتح (١٠/٤٨): أشارت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً.

٤ ـ ومنها: أنه أنزل على سبعة أحرف، فناسب أن ينزل مفرقاً، إذ لو نزل دفعة واحدة لشق بيانها عادة.

(١) سورة الإسراء آية (٨٨).

(٢) سورة الحجر آية (٩).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[3].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[4].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[5].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ: وَفِي هَذَا اعْتِنَاءٌ كَبِيرٌ، لِشَرَفِ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، حَيْثُ كَانَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ اللهِ بِالْقُرْآنِ صَبَاحًا وَمَسَاءً، لَيْلاً وَنَهَارًا، سَفَرًا وَحَضَرًا، فَكُلُّ مَرَّةٍ كَانَ يَأْتِيهِ الْمَلَكُ بِالْقُرْآنِ كَإِنْزَالِ

---

(١) سورة فصلت آية (٤١ ـ ٤٢).

(٢) سورة النحل آية (٨٩).

(٣) سورة القمر آية (١٧).

(٤) سورة الإسراء آية (١٠٦).

(٥) سورة الفرقان آية (٣٢ ـ ٣٣).

كِتَابٍ مِمَّا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَهَذَا الْمَقَامُ أَعْلَى وَأَجَلُّ، وَأَعْظَمُ مَكَانَةً مِنْ سَائِرِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَالْقُرْآنُ أَشْرَفُ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ، وَمُحَمَّدٌ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، أَعْظَمُ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ اللهُ وَقَدْ جَمَعَ اللهُ تَعَالَى لِلْقُرْآنِ الصِّفَتَيْنِ مَعًا، فَفِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى أُنْزِلَ جُمْلَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْأَرْضِ مُنَجَّمًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْدَاثِ(١).

رَوَى الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ثُمَّ أُنْزِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عِشْرِينَ سَنَةٍ، قَالَ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾، وقوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾(٢).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ(٣)، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ**

(١) انظر تفسير ابن كثير (٦/١٠٩).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ـ رقم الحديث (٧٩٣٥) ـ والحاكم في المستدرك ـ رقم الحديث (٢٩٣٤).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/١٠): أي أن معجزتي الَّتِي تحديت بها: الوحي الَّذِي أُنزل عليّ=

تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ انْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِ أَعْصَارِهِمْ، وَلَمْ يُشَاهِدْهَا إِلَّا مَنْ حَضَرَهَا بِحَضْرَتِهِمْ، وَمُعْجِزَةُ نَبِيِّنَا ﷺ ـ وَهِيَ الْقُرْآنُ ـ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَعَ خَرْقِ الْعَادَةِ فِي أُسْلُوبِهِ وَبَلَاغَتِهِ، وَإِخْبَارِهِ بِالْمُغَيَّبَاتِ، وَعَجَزَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ مُجْتَمِعِينَ أَوْ مُتَفَرِّقِينَ فِي جَمِيعِ الْأَعْصَارِ، مَعَ اعْتِنَائِهِمْ بِمُعَارَضَتِهِ، فَلَمْ يَقْدِرُوا وَهُمْ أَفْصَحُ الْقُرُونِ مَعَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ إِعْجَازِهِ الْمَعْرُوفَةِ[2].

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ مُعْجِزَتَهُ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ:

وَاخْتُصَّ ﷺ بِأَنَّ مُعْجِزَتَهُ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ الْقُرْآنُ، وَمُعْجِزَاتُ سَائِرِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ انْقَرَضَتْ لِوَقْتِهَا.

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ**

= وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أُوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى الَّتِي اختُص بها دون غيره.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب كيف نزول الوحي، وأول ما نزل ـ رقم الحديث (٤٩٨١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ـ رقم الحديث (١٥٢).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢/١٦٢).

الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ[1]، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ انْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِ أَعْصَارِهِمْ، وَلَمْ يُشَاهِدْهَا إِلَّا مَنْ حَضَرَهَا بِحَضْرَتِهِمْ، وَمُعْجِزَةُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَهِيَ الْقُرْآنُ ـ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَعَ خَرْقِ الْعَادَةِ فِي أُسْلُوبِهِ وَبَلَاغَتِهِ، وَإِخْبَارِهِ بِالْمُغَيَّبَاتِ، وَعَجَزَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ مُجْتَمِعِينَ أَوْ مُتَفَرِّقِينَ فِي جَمِيعِ الْأَعْصَارِ، مَعَ اعْتِنَائِهِمْ بِمُعَارَضَتِهِ، فَلَمْ يَقْدِرُوا وَهُمْ أَفْصَحُ الْقُرُونِ مَعَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ إِعْجَازِهِ الْمَعْرُوفَةِ[3].

قَالَ أَحْمَد شَوْقِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

جَاءَ النَّبِيُّونَ بِالْآيَاتِ فَانْصَرَمَتْ ... وَجِئْتَنَا بِحَكِيمٍ غَيْرِ مُنْصَرِمِ

آيَاتُهُ كُلَّمَا طَالَ الْمَدَى جُدَدٌ ... يُزَيِّنُهُنَّ جَلَالُ الْعِتْقِ وَالْقِدَمِ

يَكَادُ فِي لَفْظَةٍ مِنْهُ مُشَرَّفَةٍ ... يُوصِيكَ بِالْحَقِّ وَالتَّقْوَى وَبِالرَّحِمِ

يَا أَفْصَحَ النَّاطِقِينَ الضَّادَ قَاطِبَةً ... حَدِيثُكَ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الْفَهِمِ

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٨/١٠): أي أن معجزتي الَّتي تحديت بها: الوحي الَّذي أُنزل عليّ وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أُوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى الَّتي اختُص بها دون غيره.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب كيف نزول الوحي، وأول ما نزل ـ رقم الحديث (٤٩٨١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جميع الناس ـ رقم الحديث (١٥٢).

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢/١٦٢).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَآخِرُهُمْ بَعْثًا:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[1].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: هَذِهِ الْآيَةُ نَصٌّ فِي أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ، وَإِذَا كَانَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ فَلَا رَسُولَ بَعْدَهُ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى، لِأَنَّ مَقَامَ الرِّسَالَةِ أَخَصُّ مِنْ مَقَامِ النُّبُوَّةِ، فَإِنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَا يَنْعَكِسُ[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمِ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»[3].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ[4] مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟**

---

(١) سورة الأحزاب آية (٤٠).

(٢) انظر تفسير ابن كثر (٦/٤٢٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ رقم الحديث (٥٢٣).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧/٢٥١): اللبنة: بفتح اللام وكسر الباء هُوَ الطوب المعمول من الطين.

قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»[1].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ اللَّبِنَةَ مُكَمِّلَةٌ مُحَسِّنَةٌ، وَإِلَّا لَاسْتَلْزَمَ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ بِدُونِهَا كَانَ نَاقِصًا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ شَرِيعَةَ كُلِّ نبيٍّ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَامِلَةً، فَالْمُرَادُ هُنَا النَّظَرُ إِلَى الْأَكْمَلِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مَعَ مَا مَضَى مِنَ الشَّرَائِعِ الْكَامِلَةِ[2].

*** فَوَائِدُ الْحَدِيثِ:**

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ:

١ ـ ضَرْبُ الْأَمْثَالِ لِلتَّقْرِيبِ لِلْأَفْهَامِ.

٢ ـ وَفِيهِ فَضْلُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ.

٣ ـ وَأَنَّ اللهَ خَتَمَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَكْمَلَ بِهِ شَرَائِعَ الدِّينِ[3].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدِ انْقَطَعَتْ، فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ»**[4].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب خاتم النبيين ﷺ ـ رقم الحديث (٣٥٣٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ـ رقم الحديث (٢٢٨٦) (٢٢).

(٢) انظر فتح الباري (٧/٢٥١).

(٣) انظر فتح الباري (٧/٢٥٢).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب الرؤيا ـ باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ـ رقم الحديث (٢٤٢٥) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٣٨٢٤).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...**أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: الْأَحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ، فَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى بِالْعِبَادِ إِرْسَالُ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، إِلَيْهِمْ، ثُمَّ مِنْ تَشْرِيفِهِ لَهُ خَتْمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ بِهِ، وَإِكْمَالُ الدِّينِ الْحَنِيفِ لَهُ، وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، وَرَسُولُهُ فِي السُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنْهُ: أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنِ ادَّعَى هَذَا الْمَقَامَ بَعْدَهُ فَهُو كَذَّابٌ أَفَّاكٌ، دَجَّالٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ، وَلَوْ تَخَرَّقَ(٢) وَشَعْبَذَ(٣)، وَأَتَى بِأَنْوَاعِ السِّحْرِ وَالطَّلَاسِمِ، وَالنِّيرِجِيَّاتِ(٤)، فَكُلُّهَا مِحَالٌ وَضَلَالٌ عِنْدَ أُولِى الْأَلْبَابِ، كَمَا أَجْرَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى يَدِ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِي(٥) بِالْيَمَنِ، وَمُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ(٦) بِالْيَمَامَةِ، مِنَ الْأَحْوَالِ الْفَاسِدَةِ وَالْأَقْوَالِ الْبَارِدَةِ، مَا عَلِمَ كُلُّ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٢٣٩٥).

(٢) تَخرَّق: أي اختلق الكذب. انظر لسان العرب (٤/٧٣).

(٣) شعبذ: من الشعوذة: وهي خفة في اليد وأخذٌ كالسحر يُرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين. انظر لسان العرب (٧/١٣١).

(٤) النيرج: أَخذٌ تُشبه السحر، وليست بحقيقته، ولا كالسحر، إنما هُوَ تشبيه وتلبيس. انظر لسان العرب (١٤/١٠٢).

(٥) الأسود العنسي هُوَ عبهلة وقيل عيهلة بن كعب العنسي، من أهل اليمن، كان مشعوذاً، أسلم لما أسلمت اليمن، ثم ارتد في أيام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وادعى النبوة، وأرى قومه أعاجيب استهواهم بها، فاتبعته مذحج، وتغلّب على نجران وصنعاء، واتسع سلطانه، ثم إنه قُتِل على يد فيروز الديلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشهر. انظر الأعلام (٥/١١١) للزركلي.

(٦) هو مسيلمة بن ثمامة الحنفي، وُلِد ونشأ باليمامة، ولقب في الجاهلية بالرحمن، فعرف برحمان اليمامة، ولما ظهر الإسلام، وفتحت مكة، ودانت له العرب، جاء رسول الله=

ذِي لُبٍّ وَفَهْمٍ وَحِجًى[1] أَنَّهُمَا كَاذِبَانِ ضَالَّانِ، لَعَنَهُمَا اللهُ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُدَّعٍ لِذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخْتَمُوا بِالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ شَرْعَهُ مُؤَبَّدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَنَاسِخٌ لِجَمِيعِ الشَّرَائِعِ قَبْلَهُ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[3].

قَالَ الْإِمَامُ السُّيُوطِيُّ: اسْتُدِلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ شَرْعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسِخٌ

= صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد من بني حنيفة، فيهم مسيلمة، فأسلم الوفد إلا مسيلمة أبى الإسلام، ولما رجع الوفد إلى بني حنيفة، إدعى مسيلمة النبوة، وكتب إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك، أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لي نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون، فأجابه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى: أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**».

وتوفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل القضاء على فتنته، فلما استخلف أبي بكر أرسل له خالد بن الوليد في جيش، فقتله في معركة اليمامة العظيمة. انظر الأعلام (٢٢٦/٧) للزركلي.

(١) الحِجى: بكسر الحاء هُوَ العقل. انظر لسان العرب (٦٩/٣).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٤٣١/٦).

(٣) سورة المائدة آية (٤٨).

لِكُلِّ شَرْعٍ قَبْلَهُ[1].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي قَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ بَعْدَ أَنْ سَاقَ آثَارًا لِمَعْنَى الْمُهَيْمِنِ، قَالَ: وَهَذِهِ الأَقْوَالُ كُلُّهَا مُتَقَارِبَةُ الْمَعْنَى، فَإِنَّ اسْمَ «الْمُهَيْمِنِ» يَتَضَمَّنُ هَذَا كُلَّهُ، فَهُوَ أَمِينٌ وَشَاهِدٌ وَحَاكِمٌ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ، جَعَلَ اللهُ هَذَا الْكِتَابَ الْعَظِيمَ، الَّذِي أَنْزَلَهُ آخِرَ الْكُتُبِ وَخَاتِمَهَا، وَأَشْمَلَهَا وَأَعْظَمَهَا وَأَحْكَمَهَا، حَيْثُ جَمَعَ فِيهِ مَحَاسِنَ مَا قَبْلَهُ، وَزَادَهُ مِنَ الْكَمَالاَتِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِ، فَلِهَذَا جَعَلَهُ شَاهِدًا وَأَمِينًا وَحَاكِمًا عَلَيْهَا كُلِّهَا، وَتَكَفَّلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِحِفْظِهِ بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ[3] يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»**[4].

---

(١) انظر الخصائص الكبرى للسيوطي ص ٣٥٤.

(٢) سورة الحجر آية (٩) وانظر كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٢٨/٣).

(٣) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٦٢/٢): أي ممن هُوَ موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة، فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما، ذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً، فغيرهم ممن لا كتاب له أولى والله أعلم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد=

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ نَسْخُ الْمِلَلِ كُلِّهَا بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ بِالشَّوَاهِدِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ، وَقَالَ: **«أَمُتَهَوِّكُونَ[2] فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتْبَعَنِي»**[3].

وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ فِي كِتَابِهِ النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا نَنسَخْ[4] مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ

= صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ـ رقم الحديث (١٥٣) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٨٢٠٣).

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢/١٦٢).

(٢) قال الإمام البغوي في شرح السنة (١/٢٧١): أَمُتَهَوِّكون: أي متحيرون أنتم في الإسلام، لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى.

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٥١٥٦) ـ والبغوي في شرح السنة ـ رقم الحديث (١٢٦).

(٤) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٢/٣٠١): النسخ في كلام العرب على وجهين:
أحدهما: النقل، كنقل كتاب من آخر، وعلى هذا يكون القرآن كله منسوخاً، أعني من اللوح المحفوظ، وإنزاله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وهذا لا مدخل له في هذه الآية،=

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

قَالَ الْإِمَامُ السُّيُوطِيُّ: النَّسْخُ مِمَّا خَصَّ اللهُ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ لِحِكَمٍ، مِنْهَا: التَّيْسِيرُ[2].

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: مَا نَنْقُلُ مِنْ حُكْمِ آيَةٍ، إِلَى غَيْرِهِ فَنُبَدِّلَهُ وَنُغَيِّرُهُ، وَذَلِكَ أَنْ يُحَوَّلَ الْحَلَالُ حَرَامًا، وَالْحَرَامُ حَلَالًا، وَالْمُبَاحُ مَحْظُورًا، وَالْمَحْظُورُ مُبَاحًا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْحَظْرِ وَالْإِطْلَاقِ، وَالْمَنْعِ وَالْإِبَاحَةِ، فَأَمَّا الْأَخْبَارُ، فَلَا يَكُونُ فِيهَا نَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَأَصْلُ النَّسْخِ مِنْ نَسْخِ الْكِتَابِ، وَهُوَ نَقْلُهُ مِنْ نُسْخَةٍ إِلَى أُخْرَى غَيْرِهَا، فَكَذَلِكَ مَعْنَى نَسْخِ الْحُكْمِ إِلَى غَيْرِهِ، إِنَّمَا هُوَ تَحْوِيلُهُ وَنَقْلُ عِبَارَتِهِ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهَا، فَإِذَا

= ومنه قوله تَعَالَى في سورة الجاثية آية (٢٩): ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي نأمر بنسخه وإثباته.

الثاني: الإبطال والإزالة، وهو المقصود هنا، وهو منقسم في اللغة إلى ضربين:

أحدهما: إبطال الشيء وزواله، وإقامة آخر مقامه، ومنه نسخت الشمس الظل: إذا أذهبته وحلّت محله، وهو معنى قوله تَعَالَى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾.

وفي صحيح مسلم ـ رقم الحديث (٢٩٦٧) (١٤) قال عتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لم تكن نبوة قط إلا تناسخت، حتى يكون آخر عاقبتها مُلكاً.

أي: تحولت من حال إلى حال، يعني أمر الأمة.

الثاني: إزالة الشيء دون أن يقوم آخر مقامه، كقولهم: نسخت الريح الأثر، ومن هذا المعنى قوله تَعَالَى في سورة الحج آية (٥٢): ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي يزيله، فلا يُتلى ولا يُثبت في المصحف بدله.

(١) سورة البقرة آية (١٠٦).

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن (١/٦٤٨).

كَانَ ذَلِكَ مَعْنَى نَسْخِ الْآيَةِ، فَسَوَاءٌ إِذَا نُسِخَ حُكْمُهَا فَغُيِّرَ وَبُدِّلَ فَرْضُهَا، وَنُقِلَ فَرْضُ الْعِبَادِ عَنِ اللَّازِمِ كَانَ لَهُمْ بِهَا أَأُقِرَّ خَطُّهَا فَتُرِكَ، أَوْ مُحِيَ أَثَرُهَا فَعُفِيَ وَنُسِيَ، إِذْ هِيَ حِينَئِذٍ فِي كِلْتَي حَالَتَيْهَا مَنْسُوخَةٌ[1].

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: وَمَعْرِفَةُ هَذَا الْبَابِ أَكِيدَةٌ، وَفَائِدَتُهُ عَظِيمَةٌ، لَا يَسْتَغْنِي عَنْ مَعْرِفَتِهِ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يُنْكِرُهُ إِلَّا الْجَهَلَةُ الْأَغْبِيَاءُ، لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ النَّوَازِلِ فِي الْأَحْكَامِ، وَمَعْرِفَةِ الْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ[2].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: مَعْنَى النَّسْخِ الشَّرْعِيِّ مَعْلُومٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَلَخَّصَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ رَفْعُ الْحُكْمِ بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ مُتَأَخِّرٍ[3].

*** وَلَيْسَ فِي سَائِرِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلِذَا كَانَ الْيَهُودُ يُنْكِرُونَ النَّسْخَ، وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ سَائِرَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ نَزَلَتْ دُفْعَةً وَاحِدَةً، فَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَجْتَمِعَ فِيهَا النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ، لِأَنَّ شَرْطَ النَّاسِخِ أَنْ يَتَأَخَّرَ نُزُولُهُ عَنِ الْمَنْسُوخِ.**

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّهُ أُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري (١/٥٢١).

(٢) انظر تفسير القرطبي (٢/٣٠٠).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (١/٣٧٦).

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[١].

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعْطِيتُ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي**»[٢].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ حِبَّانَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فُضِّلَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ لَهَا الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ صُفُوفُهَا عَلَى صُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَأُعْطِيتْ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي**»[٣].

---

(١) سورة البقرة آية (٢٨٥ ـ ٢٨٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢١٣٤٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث ـ (٢٣٢٥١) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب شروط الصلاة ـ رقم الحديث (١٦٩٧).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى... وَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتِ[1].

قَالَ الْإِمَامُ السِّنْدِيُّ[2]: لَعَلَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: أُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي الْإِسْرَاءِ: أَيْ قُدِّرَ لَهُ إِعْطَاؤُهَا، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا سَتَنْزِلُ عَلَيْكَ، فَلَا يُنَافِي هَذَا مَا جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3] قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ! كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَا نُطِيقُهَا، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٣/٣): المُقْحِمات: بضم الميم وإسكان القاف وكسر الحاء، ومعناه: الذنوب العظام الكبائر الَّتِي تهلك أصحابها وتوردهم النار، والمراد والله أعلم بغفرانها أنه لا يخلد في النار بخلاف المشركين، وليس المراد أنه لا يعذب أصلاً، فقد تقررت نصوص الشرع وإجماع أهل السنة على إثبات عذاب بعض العصاة من الموحدين.
والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب في ذكر سدرة المنتهى ـ رقم الحديث (١٧٣) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٣٦٦٥).

(٢) انظر شرح السندي على مسنده الإمام أحمد (٣/٢٧٥).

(٣) سورة البقرة آية (١٨٤).

«أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟

بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ».

قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ[1] ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[2].

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾. (قَالَ: نَعَمْ[3]) ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾ (قَالَ: نَعَمْ) ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ (قَالَ: نَعَمْ) ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. (قَالَ: نَعَمْ)[4].

* * *

(١) في رواية الإمام أحمد في مسنده: «فلما أَقَرَّ بها القوم».

(٢) سورة البقرة آية (١٨٥).

(٣) في رواية أخرى في صحيح مسلم ـ رقم الحديث (١٢٦): **قال الله: قد فعلتُ.**

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان أنه سبحانه وتعَالَى لم يكلف إلا ما يطاق ـ رقم الحديث (١٢٥) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٩٣٤٤).

۞ **وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ عُمُومُ دَعْوَتِهِ لِلنَّاسِ كَافَّةً، وَأَنَّهُ أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَابِعًا، وَأَنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَى الْجِنِّ بِالْإِجْمَاعِ، وَأَنَّهُ أُوتِيَ الْكِتَابَ وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ:**

قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[2].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيّه لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ

---

(١) سورة الأعراف آية (٥٩).

(٢) سورة الأعراف آية (٦٥).

(٣) سورة الأعراف آية (٧٣).

(٤) سورة الأعراف آية (٨٠).

قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[3].

* وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي حَقِّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[4].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

(١) سورة الأعراف آية (٨٥).
(٢) سورة الأعراف آية (١٠٣).
(٣) سورة الصف آية (٦).
(٤) سورة الأعراف آية (١٥٨).
(٥) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[2].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»**[4].

---

(١) سورة سبأ آية (٢٨).

(٢) سورة الفرقان آية (١).

(٣) سورة الأحقاف الآيات (٢٩ ـ ٣١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التَّيمم ـ باب رقم (١) ـ رقم الحديث (٣٣٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ رقم الحديث (٥٢١).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... **كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ...**»[1].

*** لَا تَعَارُضَ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ:**

فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي**»، وَجَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[2] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ...**» وَذَكَرَ أَرْبَعًا مِنْ هَذِهِ الْخَمْسِ وَزَادَ ثِنْتَيْنِ، وَهُمَا: «**جَوَامِعُ الْكَلِمِ، وَخُتِمَ بِهِ النَّبِيُّونَ**».

وَطَرِيقُ الْجَمْعِ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ أَنْ يُقَالَ: لَعَلَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اطَّلَعَ أَوَّلاً عَلَى بَعْضِ مَا اخْتُصَّ بِهِ ثُمَّ اطَّلَعَ عَلَى الْبَاقِي، وَمَنْ لَا يَرَى مَفْهُومَ الْعَدَدِ حُجَّةً يَدْفَعُ هَذَا الْإِشْكَالَ مِنْ أَصْلِهِ[3].

*** فَوَائِدُ الْحَدِيثِ:**

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ:

١ ـ مَشْرُوعِيَّةُ تَعْدِيدِ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى.

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول (٨/٥٢٩ ـ ٥٣٠): قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أحمر وأسود**»: أراد بذلك جميع العالم، فالأسود معروف، وهم الحبوش والزنوج وغيرهم، والأحمر: هُوَ الأبيض، والعرب تُسمي الأبيض أحمر.
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ رقم الحديث (٥٢١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ رقم الحديث (٥٢٣).

(٣) انظر فتح الباري (١/٥٨٠).

٢ ـ وَفِيهِ إِلْقَاءُ الْعِلْمِ قَبْلَ السُّؤَالِ.

٣ ـ وَأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْأَرْضِ الطَّهَارَةُ.

٤ ـ وَأَنَّ صِحَّةَ الصَّلَاةِ لَا تَخْتَصُّ بِالْمَسْجِدِ الْمَبْنِيِّ لِذَلِكَ(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ**»(٢).

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ كَذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... **لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، إِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ**»(٣).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نُصِرَ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ**

---

(١) انظر فتح الباري (١/٥٨٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة**» ـ رقم الحديث (١٩٦) (٣٣١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة**» ـ رقم الحديث (١٩٦) (٣٣٢).

مَسِيرَةَ شَهْرٍ...»[١].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَضَّلَنِي رَبِّي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ـ أَوْ قَالَ: عَلَى الْأُمَمِ ـ بِأَرْبَعٍ: أُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ كُلُّهَا لِي وَلِأُمَّتِي مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي الصَّلَاةُ فَعِنْدَهُ مَسْجِدُهُ وَعِنْدَهُ طَهُورُهُ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، يَقْذِفُهُ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِي، وَأُحِلَّ لَنَا الْغَنَائِمُ**»[٢].

وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ جُعِلَتْ لَهُ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: ... وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**[٣]**، فَأَيُّمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ...**»[٤].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَضَّلَنِي رَبِّي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ـ أَوْ قَالَ: عَلَى الْأُمَمِ ـ بِأَرْبَعٍ: أُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ كُلُّهَا لِي وَلِأُمَّتِي مَسْجِدًا وَطَهُورًا،**

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ رقم الحديث (٢٢١٣٧).

(٣) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ في الفصول في سيرة الرسول (٢/٣٧٠): قوله «**طهورا**»: يعني به: التَّيمم، فإنه لم يكن في أمة قبلنا، وإنما شرع له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأمته، توسعة، ورحمة وتخفيفاً.

(٤) سبق تخريجه قريبًا.

فَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي الصَّلَاةُ فَعِنْدَهُ مَسْجِدُهُ وَعِنْدَهُ طُهُورُهُ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، يَقْذِفُهُ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِي، وَأُحِلَّ لَنَا الْغَنَائِمُ»(١).

يُفَسِّرُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعَظِّمُونَ ذَلِكَ، إِنَّمَا كَانُوا يُصَلُّونَ فِي كَنَائِسِهِمْ وَبِيَعِهِمْ»(٢).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُحِلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: ... وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي...»(٣).

قَالَ الْإِمَامُ الْخَطَّابِيُّ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فِي الْجِهَادِ فَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ مَغَانِمُ(٤).

وَقَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: كَانَتْ غَنَائِمُ مَنْ قَبْلَنَا يَجْمَعُونَهَا ثُمَّ تَأْتِي

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ رقم الحديث (٢٢١٣٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ رقم الحديث (٧٠٦٨).

(٣) سبق تخريجه قريبًا.

(٤) انظر: فتح الباري (٥٨٢/١).

نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَأْكُلُهَا كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ(١).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: أَيْ أَنَّ مَنْ مَضَى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ تَحِلَّ لَهُمُ الْغَنَائِمُ أَصْلاً(٢).

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: ... وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ...**»(٣).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: يَعْنِي بِذَلِكَ الشَّفَاعَةَ الْعُظْمَى، الَّتِي يَشْفَعُ فِيهَا عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِيَأْتِيَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَهِيَ الَّتِي يَرْغَبُ إِلَيْهِ فِيهَا الْخَلْقُ كُلُّهُمْ، حَتَّى الْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمُوسَى الْكَلِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسَائِرُ النَّبِيِّينَ، وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْمُؤْمِنِينَ، وَيَعْتَرِفُ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، فَهَذِهِ هِيَ الشَّفَاعَةُ الَّتِي اخْتُصَّ بِهَا دُونَ غَيْرِهِ(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فرض الخمس ـ باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أحلت لكم الغنائم**» ـ رقم الحديث (٣١٢٤) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ـ رقم الحديث (١٧٤٧).
وانظر كلام الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٥/٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٥٨٢/١).

(٣) سبق تخريجه قريبًا.

(٤) انظر النهاية في الفتن والملاحم (١٧٦/٢).

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ أَخْبَرَهُ بِالْمَغْفِرَةِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[١].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: هَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ[٢].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ[٣] قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟

قَالَ ﷺ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[٤].

قُلْتُ: وَلَمْ يُنْقَلْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَخْبَرَ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، بَلِ الظَّاهِرُ أَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْهُمْ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْمَوْقِفِ: نَفْسِي، نَفْسِي[٥].

---

(١) سورة الفتح آية (١ ـ ٣).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٧/٣٢٨).

(٣) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٧/١٣٤): معنى تتفطر: تشققت.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ رقم الحديث (٤٨٣٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ رقم الحديث (٢٨٢٠).

(٥) أخرج ذلك البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ=

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ ـ آيَاتُ سُورَةِ الْفَتْحِ ـ مِنْ فَضْلِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَكَرِيمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، وَنِعْمَتِهِ لَدَيْهِ مَا يَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنِ الْانْتِهَاءِ إِلَيْهِ، فَابْتَدَأَ جَلَّ جَلَالُهُ بِإِعْلَامِهِ بِمَا قَضَاهُ لَهُ مِنَ الْقَضَاءِ الْبَيِّنِ بِظُهُورِهِ، وَغَلَبَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَعُلُوِّ كَلِمَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ، وَأَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، غَيْرُ مُؤَاخَذٍ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[2].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: هَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ، وَلَيْسَ صَحِيحًا فِي ثَوَابِ الْأَعْمَالِ لِغَيْرِهِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَهَذَا فِيهِ تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْبِرِّ وَالِاسْتِقَامَةِ الَّتِي لَمْ يَنَلْهَا بَشَرٌ سِوَاهُ، لَا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَلَا مِنَ الْآخِرِينَ، وَهُوَ أَكْمَلُ الْبَشَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَسَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[3].

= كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ـ رقم الحديث (٤٧١٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ـ رقم الحديث (١٩٤).

(١) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٥٢/١).

(٢) سورة الفتح آية (١ ـ ٢).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣٢٨/٧).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ[1] ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[2].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ[3] قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[4].

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَخْذُ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بِالشِّدَّةِ فِي الْعِبَادَةِ، وَإِنْ أَضَرَّ ذَلِكَ بِبَدَنِهِ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهِ بِمَا سَبَقَ لَهُ فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ فَضْلاً عَمَّنْ لَمْ يَأْمَنْ أَنَّهُ اسْتَحَقَّ النَّارَ.

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ ـ مُعَلِّقًا عَلَى كَلَامِ ابْنِ بَطَّالٍ ـ وَمَحَلُّ ذَلِكَ مَا إِذَا

---

(١) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٢٢/٣٥٦): أي حططنا عنك ذنبك.
وقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ في تفسيره (٨/٤٣٠): قوله تَعَالَى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾، بمعنى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

(٢) سورة الشرح الآية (١ ـ ٣).

(٣) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٧/١٣٤): معنى تتفطر: تشققت.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تَعَالَى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾ ـ رقم الحديث (٤٨٣٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ باب إكثار الأعمال، والاجتهاد في العبادة ـ رقم الحديث (٢٨٢٠).

لَمْ يُفْضِ إِلَى الْمَلَالِ، لِأَنَّ حَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ أَكْمَلَ الْأَحْوَالِ، فَكَانَ لَا يَمَلُّ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَإِنْ أَضَرَّ ذَلِكَ بِبَدَنِهِ، بَلْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[١]، فَأَمَّا غَيْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَشِيَ الْمَلَلَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكْرِهَ نَفْسَهُ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»[٢].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ نَهْرَ الْكَوْثَرِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[٣].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا**[٤] **سُورَةٌ**»، فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞

---

(١) أخرج هذا الحديث: الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٢٢٩٤) ـ والنسائي في السنن الكبرى ـ كتاب عشرة النساء ـ باب حُب النساء ـ رقم الحديث (٨٨٣٦) ـ وإسناده حسن.

(٢) أخرج هذا الحديث البخاري في صحيحه ـ كتاب اللباس ـ باب الجلوس على الحصير ونحوه ـ رقم الحديث (٥٨٦١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ـ رقم الحديث (٧٨٢) (٢١٥).
وانظر كلام الحافظ في فتح الباري (٣/٣٢١).

(٣) سورة الكوثر آية (١).

(٤) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٤/٩٦): آنفاً: أي قريباً.

إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ[1] هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ[2]﴾ ثُمَّ قَالَ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ»؟

قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ»[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ[4] إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَّتَاهُ[5] قِبَابُ[6] الدُّرِّ[7] الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِيبُهُ أَوْ طِينُهُ[8] مِسْكٌ أَذْفَرُ»[9].

---

(١) شانئك: أي مبغضك وعدوك. انظر لسان العرب (٧/٢٠٧).

(٢) قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/٧٢٤): الأبتر: أي الأقل الأذل المنقطع دابره، الَّذِي لا عقب له.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب حجة من قَالَ: البسملة آية من أول كل سورة... ـ رقم الحديث (٤٠٠) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١١٩٩٦).

(٤) قال الحافظ في الفتح (١٣/٣٠٦): تقدم في تفسير سورة الكوثر أن ذلك كان ليلة أسري به ﷺ.

ولفظه: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لما عُرِج بالنبي ﷺ إلى السماء، قَالَ: فذكره.

(٥) قال الإمام السندي في شرح المسند (٤/١٣٣): حافتاه: أي جانباه.

(٦) القِباب: جمع قُبه وهي الخيمة. انظر لسان العرب (١١/٧).

(٧) الدُّرة: هي اللؤلؤة العظيمة. انظر لسان العرب (٤/٣٣٧).

(٨) قال الحافظ في الفتح (١٣/٣٠٦): هُوَ شك من هدبة ـ أحد الرواة ـ وبالنون هُوَ المعتمد.

(٩) أذفر: أي طيب الريح. انظر النهاية (٢/١٤٩). =

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذْ عَرَضَ لِي نَهْرٌ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ، قُلْتُ لِلْمَلَكِ**(١)**: مَا هَذَا؟»**.

قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللهُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى طِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا»**(٢).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا ـ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عمْرِو بنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ**(٣)**، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ**(٤) **كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»**(٥).

= والحديث: أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الرقاق ـ باب في الحوض ـ رقم الحديث (٦٥٨١).

(١) الملك: هُوَ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة الكوثر ـ رقم الحديث (٣٦٥٤) ـ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٥/٤٥) الوَرِق بكسر الراء وهو الفضة.
وفي رواية البخاري في الصحيح: **«اللبن»**.

(٤) الكيزان: جمع كوز بضم الكاف هي الأباريق. انظر لسان العرب (١٢/١٨٦).
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري ـ رقم الحديث (٦٥٨٠) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وفيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»**.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الرقاق ـ باب في الحوض ـ رقم الحديث=

وَرَوَى أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بنَ زِيَادٍ قَالَ لَهُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْحَوْضَ؟

فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَقَدْ تَرَكْتُ بِالْمَدِينَةِ عَجَائِزَ يُكْثِرْنَ أَنْ يَسْأَلْنَ اللهَ أَنْ يُورِدَهُنَّ حَوْضَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَمِمَّا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْلَمَهُ وَيُصَدِّقَ بِهِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ خَصَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَوْضِ الْمُصَرَّحِ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ وَشَرَابِهِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي يَحْصُلُ بِمَجْمُوعِهَا الْعِلْمُ الْقَطْعِيُّ، إِذْ رَوَى ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّحَابَةِ نَيِّفٌ عَلَى الثَّلَاثِينَ، مِنْهُمْ فِي الصَّحِيحَيْنِ مَا يَنِيفُ عَلَى الْعِشْرِينَ، وَفِي غَيْرِهِمَا بَقِيَّةُ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ نَقْلُهُ وَاشْتَهَرَتْ رُوَاتُهُ، ثُمَّ رَوَاهُ عَنِ الصَّحَابَةِ الْمَذْكُورِينَ مِنَ التَّابِعِينَ أَمْثَالُهُمْ، وَمِنْ بَعْدِهِمْ أَضْعَافُ أَضْعَافِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا، وَأَجْمَعَ عَلَى إِثْبَاتِهِ السَّلَفُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْخَلَفِ[(٢)].

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ بِالشَّوَاهِدِ

= (٦٥٧٩) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته ـ رقم الحديث (٢٢٩٢).

(١) أخرجه أبو يعلى فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٣٣٥٥) ـ وأورده الحافظ في الفتح (١٣/٢٩٩) وصحح إسناده.

(٢) انظر فتح الباري (١٣/٢٩٨).

ـ وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ ـ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سُئِلَ هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ فِي الْحَوْضِ شَيْئًا؟

فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا مَرَّةً، وَلَا ثِنْتَيْنِ، وَلَا ثَلَاثًا، وَلَا أَرْبَعًا، وَلَا خَمْسًا، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللهُ مِنْهُ(١).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ حَوْضَهُ الْكَوْثَرَ أَعْظَمُ حِيَاضِ الْأَنْبِيَاءِ:

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ أَوْ صَحِيحٍ بِالشَّوَاهِدِ عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً»**(٢).

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: إِنْ ثَبَتَ فَالْمُخْتَصُّ بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَوْثَرُ الَّذِي يَصُبُّ مِنْ مَائِهِ فِي حَوْضِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ نَظِيرُهُ لِغَيْرِهِ، وَوَقَعَ الِامْتِنَانُ عَلَيْهِ بِهِ فِي سُورَةِ الْكَوْثَرِ(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب السنة ـ باب في الحوض ـ رقم الحديث (٤٧٤٩) ـ وأخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٩٧٦٣) (١٩٧٧٩) (١٩٨٠٧) (١٩٨١٤).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب صفة القيامة والرقائق ـ باب ما جاء في صفة الحوض ـ رقم الحديث (٢٦١١) ـ وأورد طرقه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة ـ رقم الحديث (١٥٨٩) ثم ختم قوله: وجملة القول إن الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح.

(٣) انظر فتح الباري (١٣/٢٩٨).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَنَعْلَمُ أَنَّ حَوْضَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمُ الْحِيَاضِ، وَأَكْثَرُهَا وَارِدًا[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ أَمَدَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزَوَاتِهِ:

* فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَى:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[2].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتُ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ

---

(١) انظر الفصول في سيرة الرسول (٢/٣٨٩).

(٢) سورة آل عمران آية (١٢٣ - ١٢٦).

(٣) سورة الأنفال آية (١٢).

مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ[1] أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**»[2].

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: يَا بُنَيَّ لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَإِنَّ أَحَدَنَا لَيُشِيرُ بِسَيْفِهِ إِلَى رَأْسِ الْمُشْرِكِ فَيَقَعُ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟

قَالَ ﷺ: «**مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ**» ـ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ـ قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ[4].

*** فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ:**

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ

---

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٢/٧٤): الخطم: الأثر على الأنف.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب الإمداد بالملائكة يوم بدر ـ رقم الحديث (١٧٦٣).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ـ كتاب معرفة الصحابة ـ باب ذكر مناقب سهل بن حفيف ـ رقم الحديث (٥٧٩٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المغازي ـ باب شهود الملائكة بدراً ـ رقم الحديث (٣٩٩٢).

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، كَأَشَدِّ الْقِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ.

زَادَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي رِوَايَتِهِ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[1].

* فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ[2] وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾[3].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: وَلَوْلَا أَنْ جَعَلَ اللهُ رَسُولَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، لَكَانَتْ هَذِهِ الرِّيحُ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ مِنَ الرِّيحِ الْعَقِيمِ عَلَى عَادٍ، وَلَكِنْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ﴾[4]، فَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ هَوَاءً فَرَّقَ شَمْلَهُمْ، كَمَا كَانَ سَبَبَ اجْتِمَاعِهِمْ مِنَ الْهَوَى، وَهُمْ أَخْلَاطٌ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المغازي ـ باب ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا﴾ ـ رقم الحديث (٤٠٥٤) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد ـ رقم الحديث (٢٣٠٦).

(٢) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ في تفسيره (٦/٣٨٥): هم الملائكة، زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف.

فكان رئيس كل قبيلة يقول: يا بني فلان إليّ، فيجتمعون إليه فيقول: النجاء النجاء، لما ألقى الله تَعَالَى في قلوبهم من الرعب.

(٣) سورة الأحزاب آية (٩).

(٤) سورة الأنفال آية (٣٣).

أَحْزَابٌ وَآرَاءٌ، فَنَاسَبَ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْهِمُ الْهَوَاءَ الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَتَهُمْ، وَرَدَّهُم خَائِبِينَ خَاسِرِينَ بِغَيْظِهِمْ وَخَنَقِهِمْ[1]، لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا لَا فِي الدُّنْيَا، مَهْمَا كَانَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الظَّفَرِ[2] وَالْمَغْنَمِ، وَلَا فِي الْآخِرَةِ بِمَا تَحَمَّلُوهُ مِنَ الْآثَامِ فِي مُبَارَزَةِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْعَدَاوَةِ، وَهَمُّهُمْ بِقَتْلِهِ، وَاسْتِئْصَالِ جَيْشِهِ، وَمَنْ هَمَّ بِشَيْءٍ، وَصَدَّقَ هَمَّهُ بِفِعْلِهِ، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كَفَاعِلِهِ[3].

* فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[4].

وَرَوَى الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى أُمِّ بُرْثُنٍ، عَمَّنْ شَهِدَ حُنَيْنًا كَافِرًا، قَالَ: لَمَّا الْتَقَيْنَا وَالْمُسْلِمُونَ لَمْ يَقُومُوا لَنَا حَلَبَ شَاةٍ، فَجِئْنَا نَهُشُّ سُيُوفَنَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا غَشِينَاهُ إِذَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ رِجَالٌ حِسَانُ الْوُجُوهِ، فَقَالُوا: شَاهَتِ الْوُجُوهُ، فَارْجِعُوا، فَهُزِمْنَا[5].

---

(١) الخنق: الغيظ. انظر النهاية (١/٤٣٤).

(٢) الظفر: الفوز بالمطلوب. انظر لسان العرب (٨/٢٥٥).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٦/٣٩٥).

(٤) سورة التوبة آية (٢٥ ـ ٢٦).

(٥) أورد ذلك الإمام الذهبي في سيرته (٢/٢٠٢) وجود إسناده.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ لِغَيْرِهِ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ قَالَ: . . .فَحَدَّثَنِي أَبْنَاؤُهُمْ، عَنْ آبَائِهِمْ، أَنَّهُمْ قَالُوا: . . .وَسَمِعْنَا صَلْصَلَةً[١] بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَإِمْرَارِ الْحَدِيدِ عَلَى الطَّسْتِ الْحَدِيدِ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ[٢].

*** مُلَاحَظَةٌ هَامَّةٌ:**

*** قُلْتُ: لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ فِي غَزْوَةٍ قَطُّ إِلَّا فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَى، وَإِنَّمَا كَانَ نُزُولُهَا فِي أُحُدٍ، وَالْخَنْدَقِ، وَحُنَيْنٍ لِتَخْوِيفِ الْكُفَّارِ، وَإِلْقَاءِ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ.**

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيرَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ فِي يَوْمٍ سِوَى بَدْرٍ مِنَ الْأَيَّامِ، وَكَانُوا يَكُونُونَ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْأَيَّامِ عَدَدًا وَمَدَدًا لَا يَضْرِبُونَ[٣].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِعْطَاؤُهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٤]:

---

(١) الصلصلة: صوت الحديد إذا حُرِّك. انظر النهاية (٣/٤٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٢٤٦٧) ـ والطيالسي فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٤٦٨).

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٢/٢٤٥).

(٤) سورة الإسراء آية (٧٩).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ: قَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: ذَلِكَ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي يَقُومُهُ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلشَّفَاعَةِ لِلنَّاسِ، لِيُرِيحَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ عَظِيمِ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ(١).

وَقَالَ الإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: اخْتُلِفَ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ:

الْأَوَّلِ: وَهُوَ أَصَحُّهَا: الشَّفَاعَةُ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامِ(٢).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: قَوْلُهُ ﷺ: «**وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**»، يُرِيدُ بِذَلِكَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، وَالْمَقَامُ الَّذِي يَرْغَبُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ لِيَشْفَعَ لَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ، لِيَفْصِلَ بَيْنَهُمْ وَيُرِيحَهُمْ مِنْ مَقَامِ الْمَحْشَرِ، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى الَّتِي يَحِيدُ عَنْهَا أُولُو الْعَزْمِ، لِمَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ وَالتَّشْرِيفِ(٣).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: الرَّاجِحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الشَّفَاعَةُ(٤).

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ النَّاسَ

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري (١٣١/٨).

(٢) انظر تفسير القرطبي (١٤٧/١٣).

(٣) انظر الفصول في سيرة الرسول (٣٧١/٢).

(٤) انظر فتح الباري (٢٤٩/١٣).

يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا[1]، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَلِكَ يَوْمُ يَبْعَثُهُ اللهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ[3]، وَيَكْسُونِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى حُلَّة خَضْرَاءَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَقُولَ[4]، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ»**[5].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ لِغَيْرِهِ عَنْ

---

(١) جُثًا: جمع جاث وهو الَّذِي يجلس على ركبتيه. انظر النهاية (١/٢٣٢).
ومنه قوله تَعَالَى في سورة الجاثية آية (٢٨): ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تَعَالَى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ رقم الحديث (٤٧١٨).

(٣) قال الإمام السندي في شرح المسند (٩/٦): على تَلّ: بفتح التاء وتشديد اللام: أي موضع مرتفع.

(٤) قال السندي في شرح المسند (٩/٦): أي من محامد الله تَعَالَى.
قلت: يؤيد ما ذكر الإمام السندي ما رواه الإمام البخاري في صحيحه ـ رقم الحديث (٤٧١٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...**فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي عز وجل ثم يفتح الله عليَّ** من **محامده وحُسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحدٍ قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سَلْ تعطه، واشفع تشفَّع**...».

(٥) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٥٧٨٣) ـ وابن حبان في صحيحه ـ رقم الحديث (٦٤٧٩).

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وَسُئِلَ عَنْهَا قَالَ: «**هِيَ الشَّفَاعَةُ**»(١).

وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يُجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ، وَلَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ، فَأَوَّلُ مَدْعُوٍّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَالْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ، وَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، فَهَذَا قَوْلُهُ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(٢).

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ: إِذَا ثَبَتَ أَنَّ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ هُوَ أَمْرُ الشَّفَاعَةِ الَّذِي يَتَدَافَعُهُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَشْفَعُ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ، لِيُعَجِّلَ حِسَابَهُمْ وَيُرَاحُوا مِنْ هَوْلِ مَوْقِفِهِمْ، وَهِيَ الْخَاصَّةُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ**»(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٩٧٣٥) ـ والترمذي في جامعه ـ كتاب التفسير ـ باب ومن سورة بني إسرائيل ـ رقم الحديث (٣٤٠٤) ـ وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تَعَالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ـ رقم الحديث (١١٢٣٠) ـ وأورده الحافظ في الفتح (٩/٣١٦) وصحح إسناده.

(٣) أخرج هذا الحديث: الإمام الترمذي في جامعه ـ كتاب أبواب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة بني إسرائيل ـ رقم الحديث (٣٤١٥) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الزهد ـ باب ذكر=

﴿ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُعْطَى لِوَاءَ الْحَمْدِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**[1]، **فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ...**»[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**[3]، ....

= الشفاعة ـ رقم الحديث (٤٣٠٨) ـ وهو حديث صحيح لغيره ـ وانظر كلام الإمام القرطبي في تفسيره (١٣/١٤٨).

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٥/٣٠): وأما الحديث الَّذِي فيه: لا تُفضلوا بين الأنبياء فجوابه من خمسة أوجه:
أحدها: أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به.
الثاني: قاله أدباً وتواضعاً.
الثالث: أن النهي إنما هُوَ عن تفضيل يُؤدي إلى تنقيص المفضول.
الرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هُوَ المشهور في سبب الحديث.
الخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص، وفضائل أخرى، ولا بد من اعتقاد التفضيل، فقد قَالَ اللهُ تَعَالَى في سورة البقرة آية (٢٥٣) ﴿**تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ**﴾.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الخصومات ـ باب ما يُذكر في الأشخاص... ـ رقم الحديث (٢٤١٢).

(٣) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٥/٣٠): قوله ﷺ: «**يوم القيامة**»: مع أنه=

وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ»[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْ جُمْجُمَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأُعْطَى لِوَاءَ الْحَمْدِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ»**[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»**[3].

* * *

= سيدهم في الدنيا والآخرة فسبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد ولا يبقى منازع ولا معاند ونحوه، بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهذا التقييد قريب من معنى قوله تَعَالَى في سورة غافر آية (١٦) ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك لكن كان في الدنيا من يدعي الملك أو من يضاف إليه مجازاً، فانقطعَ كل ذلك في الآخرة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب تفضيل نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جميع الخلائق ـ رقم الحديث (٢٢٧٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٢٤٦٩).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أنا أول الناس يشفع في الجنة...»** رقم الحديث (١٩٧).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَوْنُهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ حَتَّى لِلْكُفَّارِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ، وَلَمْ يُعَاجَلُوا بِالْعُقُوبَةِ كَسَائِرِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[(١)].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[(٢)].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، أَيْ: أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لَهُمْ كُلِّهِمْ، فَمَنْ قَبِلَ هَذِهِ الرَّحْمَةَ وَشَكَرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ، سُعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ رَدَّهَا وَجَحَدَهَا خَسِرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[(٣)].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَانَانِ كَانَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُفِعَ أَحَدُهُمَا، وَبَقِيَ الْآخَرُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[(٤)].

---

(١) سورة الأنفال آية (٣٣).

(٢) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٥/٣٨٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٩٥٠٦) ـ وأخرجه مرفوعاً الإمام الترمذي في جامعه ـ كتاب التفسير ـ باب ومن سورة الأنفال ـ رقم الحديث (٣٣٣٦) وإسناده ضعيف.
قال الترمذي: هذا حديث غريب، وإسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ـ أحد الرواة ـ يُضعّف في الحديث.

ورَوَى الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ فِيهِمْ أَمَانَانِ: نَبِيُّ اللهِ وَالِاسْتِغْفَارُ، فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَقِيَ الِاسْتِغْفَارُ[1].

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . . ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَبِّ، أَلَمْ تَعِدْنِي أَنْ لَا تُعَذِّبَهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ؟ أَلَمْ تَعِدْنِي أَلَّا تُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ؟**».

قَالَ: فَفَرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ[2]، وَقَدْ أَمْحَصَتِ[3] الشَّمْسُ[4].

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**»[5].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/٢٣٣).

(٢) أي صلاة الكسوف.

(٣) أمحصت: أي ظهرت من الكسوف وانجلت. انظر النهاية (٤/٢٥٨).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الجمعة ـ باب القراءة في صلاة الكسوف ـ رقم الحديث (١١٩٤).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ـ رقم الحديث (٢٥٩٩).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: **«أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي[1]، وَالْحَاشِرُ[2]، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»**[3].

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ وَابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»**[4].

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ[5]، وَأَصْحَابِي**

---

(١) المقفي: يعني أنه آخر الأنبياء المتبع لهم، فإذا قفى ـ أي ذهب ـ فلا نبي بعده. انظر النهاية (٤/٨٢).

(٢) يُفسر معنى **«الحاشر»** قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الآخر الذي أخرجه البخاري في صحيحه ـ رقم الحديث (٣٥٣٢) ولفظه: **«وأنا الحاشر، الذي يُحشر الناس على قدمي»**.
قال الحافظ في الفتح (٧/٢٤٩): معناه على أثري أي أنه يُحشر قبل الناس.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب في أسمائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٢٣٥٥).

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/١٥٧) ـ وأورده الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة ـ رقم الحديث (٤٩٠) ـ وعزاه لابن سعد في طبقاته، وقال: هذا إسناد صحيح مرسل، ثم أورد طرقه، وختم كلامه بقوله: فإذا انضم إلى ذلك رواية مالك بن سعير، قوي الحديث وارتقى إلى درجة الحسن أو الصحة، والله أعلم.

(٥) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٦/٦٨): أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً، وقد وقع كل ذلك.

أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[1].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْأَمَنَةُ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمِيمِ، وَالْأَمْنُ وَالْأَمَانُ بِمَعْنًى، وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ النُّجُومَ مَا دَامَتْ بَاقِيَةً، فَالسَّمَاءُ بَاقِيَةٌ، فَإِذَا انْكَدَرَتِ[2] النُّجُومُ، وَتَنَاثَرَتْ فِي الْقِيَامَةِ وَهَنَتِ السَّمَاءُ، فَانْفَطَرَتْ، وَانْشَقَّتْ وَذَهَبَتْ[3].

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ: فَهُوَ مَبْعُوثٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّحْمَةِ أَيْضًا مِنْ حَيْثُ إِنَّ اللهَ وَضَعَ فِي شَرِيعَتِهِ عَنْ أُمَّتِهِ مَا كَانَ فِي شَرَائِعِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآصَارِ وَالْأَغْلَالِ[4].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

---

(١) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٦/٦٨): معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين، والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب بيان أن بقاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة ـ رقم الحديث (٢٥٣١) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٩٥٦٦).

(٢) انكدرت: تهافتت وتناثرت. انظر لسان العرب (١٢/٤٥).

ومنه قوله تَعَالَى في سورة التكوير آية (٢): ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾.

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٦٨).

(٤) انظر شرح السنة (١٣/٢١٤).

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بنِ عَبْدِ كلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي[1]، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[2]، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ»[3]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[4].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ شَفَقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَوْمِهِ، وَمَزِيدِ صَبْرِهِ وَحِلْمِهِ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[5]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[6].

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٦/٤٦٢): أي على الجهة المواجهة لي.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٦/٤٦٢): قرن الثعالب هُوَ ميقات أهل نجد، ويُقال له: قرن المنازل أيضاً.

(٣) الأخشبان: هما الجبلان المطيفان بمكة، وهما أبو قُبيس والأحمر، وهو جبل مشرف على وجهه على جبل قُعيقعان، والأخشب كل جبل خشن غليظ الحجارة. انظر النهاية (٢/٣١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب بدء الخلق ـ باب إذا قال أحدكم أمين ـ رقم الحديث (٣٢٣١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الجهاد ـ باب ما لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى المشركين والمنافقين ـ رقم الحديث (١٧٩٥).

(٥) سورة آل عمران آية (١٥٩).

(٦) سورة الأنبياء آية (١٠٧) ـ وانظر كلام الحافظ في الفتح (٦/٤٦٣).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ إِقْسَامُ اللهُ تَعَالَى بِحَيَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَحَيَاتِكَ يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ قَوْمَكَ مِنْ قُرَيْشٍ ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، يَقُولُ: لَفِي ضَلَالَتِهِمْ وَجَهْلِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ[2].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: أَقْسَمَ تَعَالَى بِحَيَاةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَفِي هَذَا تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ، وَمَقَامٌ رَفِيعٌ، وَجَاهٌ عَرِيضٌ[3].

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَهَذِهِ نِهَايَةُ التَّعْظِيمِ، وَغَايَةُ الْبِرِّ وَالتَّشْرِيفِ[4].

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَا خَلَقَ اللهُ، وَمَا ذَرَأَ[5]، وَمَا بَرَأَ[6] نَفْسًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا سَمِعْتُ اللهَ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

يَقُولُ: وَحَيَاتِكَ وَعُمُرِكَ وَبَقَائِكَ فِي الدُّنْيَا إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ[7].

---

(١) سورة الحجر آية (٧٢).

(٢) انظر تفسير الطبري (٥٢٦/٧).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٥٤٢/٤).

(٤) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٣٧/١).

(٥) ذرأ: أي خَلَق. انظر لسان العرب (٢٩/٥).

(٦) برأ: أي خَلَق. انظر لسان العرب (٣٥٤/١).

(٧) انظر تفسير ابن جرير الطبري (٥٢٦/٧).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِسْلَامُ قَرِينِهِ[1]:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ»**، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: **«وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ[2]، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»**[3].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى التَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَرِينِ وَوَسْوَسَتِهِ وَإِغْوَائِهِ، فَأَعْلَمَنَا بِأَنَّهُ مَعَنَا لِنَحْتَرِزَ مِنْهُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ[4].

* رِوَايَةٌ مُعَارِضَةٌ:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَالطَّحَاوِيُّ فِي شَرْحِ مُشْكِلِ الْآثَارِ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ

---

(١) القرين: أي مُصاحِب من الملائكة والشياطين، وكل إنسان معه قريناً منهما، فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه، وقرينه من الشياطين يأمره بالشر ويحثُّه عليه. انظر النهاية (٤/٤٧)

(٢) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٧/١٣٠): قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فأسلَمَ»** برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قَالَ: معناه أسلم أنا من شره وفتنته، ومن فتح قَالَ: إن القرين أسلم من الإسلام، وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير، واختلفوا في الأرجح منهما.
قال الخطابي: الصحيح المختار الرفع، ورجح القاضي عياض الفتح، وهو المختار لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فلا يأمرني إلا بخير»**.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ باب تحريش الشيطان... ـ رقم الحديث (٢٨١٤).

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/١٣٠).

أَبِي الْأَزْهَرِ الْأَنْمَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجِعَهُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «**بِاسْمِ اللهِ، وَضَعْتُ جَنْبِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَاخْسَأْ شَيْطَانِي، وَفُكَّ رِهَانِي، وَاجْعَلْنِي فِي النَّدِيِّ[1] الْأَعْلَى**»[2].

قَالَ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ فِي شَرْحِ مُشْكِلِ الْآثَارِ: وَهَذَا الْحَدِيثُ كَانَ قَبْلَ إِسْلَامِ شَيْطَانِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَسْلَمَ، اسْتَحَالَ أَنْ يَكُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو اللهَ فِيهِ بِذَلِكَ مَعَ إِسْلَامِهِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ[3].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُنَادِهِ فِي الْقُرْآنِ بِاسْمِهِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[4].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[5].

---

(١) النَّدِيِّ: بفتح النون المشددة: هُوَ النادي وهو المجلس المجتمع، والمعنى: اجعلني مع الملأ الأعلى من الملائكة. انظر النهاية (٥/٣١).
وفي رواية الحاكم في المستدرك: «**واجعلني في الملأ الأعلى**».

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب النوم ـ باب ما يُقال عند النوم ـ رقم الحديث (٥٠٥٤) ـ والطحاوي في شرح مشكل الآثار ـ رقم الحديث (١١٢) ـ والحاكم في المستدرك ـ رقم الحديث (٢٠٥٦).

(٣) انظر شرح مشكل الآثار (١/١٠٥) للإمام الطحاوي.

(٤) سورة المائدة آية (٦٧).

(٥) سورة الأنفال آية (٧٠).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾(٣).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾(٤).

* بِخِلَافِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَاطَبَهُمْ بِأَسْمَائِهِمُ الْمُجَرَّدَةِ:

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٥).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(٦).

---

(١) سورة الأحزاب آية (١).

(٢) سورة الأنفال آية (٦٤).

(٣) سورة المدثر آية (١ ـ ٤).

(٤) سورة المزمل آية (١ ـ ٤).

(٥) سورة الأعراف آية (١٩).

(٦) سورة الأعراف آية (١٤٤).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[1].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[3].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[4].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[5].

---

(١) سورة المائدة آية (١١٦).

(٢) سورة هود آية (٤٨).

(٣) سورة هود آية (٧٦).

(٤) سورة ص آية (٢٦).

(٥) سورة مريم آية (٧).

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[1].

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْرِيمُ نِدَائِهِ بِاسْمِهِ عَلَى الْأُمَّةِ:

بِخِلَافِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِنَّ أُمَمَهُمْ كَانَتْ تُخَاطِبُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُمْ: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[2].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ عَنْهُمْ: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

❁ وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ بَابِ الْأَدَبِ فِي مُخَاطَبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْكَلَامِ مَعَهُ[5].

---

(١) سورة مريم آية (١٢).
(٢) سورة الأعراف آية (١٣٨).
(٣) سورة المائدة آية (١١٢).
(٤) سورة النور آية (٦٣).
(٥) انظر تفسير ابن كثير (٦/٨٩).

وَقَالَ سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: وَالْمَعْنَى قُولُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فِي رِفْقٍ وَلِينٍ، وَلَا تَقُولُوا: يَا مُحَمَّدُ[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّ الْمَيِّتَ يُسْأَلُ عَنْهُ فِي قَبْرِهِ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ، فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ، وَلَا مَشْعُوفٍ[2]، ثُمَّ يُقَالَ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟**

فَيَقُولُ: فِي الْإِسْلَامِ، فَيُقَالَ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟

فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ**، فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: اُنْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ**، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةً إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا.**

فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَيُقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ»[3].

---

(١) انظر تفسير القرطبي (١٥/٣٦٠).

(٢) الشَّعَف: شدة الفزع، حتى يذهب بالقلب. انظر النهاية (٢/٤٣١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٥٠٨٩) ـ وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٢٦٩) وقَالَ: رواه أحمد بإسناد صحيح ـ وأصل الحديث في صحيح=

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَخْبَرَهُ بِالْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ**(1)**، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ**(2)**، وَتَظْهَرُ** ....

= البخاري ـ كتاب الجنائز ـ باب الميت يسمع خفق النِّعال ـ رقم الحديث (١٣٣٨) ـ وباب ما جاء في عذاب القبر ـ رقم الحديث (١٣٧٤) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر ـ رقم الحديث (٢٨٧٠).

(١) يفسر تقارب الزمان قوله ﷺ في الحديث الآخر الَّذِي أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ بسند صحيح - رقم الحديث (١٠٩٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ **«لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة»**.
قال الإمام السندي في شرح المسند (٣١٣/٦): المراد بتقارب الزمان نزع البركة من كل شيء من الزمان.
وقال الحافظ في الفتح (٥٠٨/١٤): والحق أنَّ المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان، وذلك من علامات قرب الساعة.

(٢) يفسر قبض العلم قوله ﷺ في الحديث الَّذِي رواه البخاري في صحيحه - رقم الحديث (١٠٠) ومسلم في صحيحه ـ رقم الحديث (٢٦٧٣) (١٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»**.
قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٨٣/١٦): هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث المطلقة ليس هُوَ محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه أنه يموت=

الْفِتَنُ(١)، وَيُلْقَى الشُّحُّ(٢)، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ ﷺ: «الْقَتْلُ»(٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمُ الْخَاصَّةِ**(٤)**، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعُ الْأَرْحَامِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَكِتْمَانُ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورُ الْقَلَمِ**»(٥).

= حملته ويتخذ الناس جهالاً يحكمون بجهالاتهم فيضلون ويُضلون.

وقال الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ (١٠٣١/٣) بعد أن ذكر طائفة من العلماء قَالَ: وما أوتوا من العلم إلا قليلاً، وأما اليوم، فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل في أناس قليل، ما أقل مَن يعمل منهم بذلك، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

قلت: إذا كان هذا في عصر الإمام الذهبي، فما بالكم بزمامنا هذا؟ والله المستعان.

(١) قال الحافظ في الفتح (٥٠٩/١٤): المراد بظهور الفتن كثرتها واشتهارها وعدم التكاتم بها، والله المستعان.

(٢) الشُّح: أشد البخل، وهو أبلغ في المنع من البُخل. انظر النهاية (٤٠١/٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الفتن ـ باب ظهور الفتن ـ رقم الحديث (٧٠٦١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب العلم ـ باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ـ رقم الحديث (٢٦٧٢) (١١).

(٤) قال الإمام السندي في شرح المسند (٣٤٥/٣): تسليم الخاصة أي تسليم المعارف فقط.

(٥) قال ابن الأثير في أسد الغابة (٣٥٧/٣): يعني يكثر الَّذِين يكتبون، فإن الكتابة كانت قليلة في العرب.

قلت: ويؤيد ذلك قوله ﷺ في الحديث الَّذِي رواه البخاري في صحيحه ـ رقم الحديث (١٩١٣) ـ ومسلم في صحيحه ـ رقم الحديث (١٠٨٠) (١٥) عن ابن عمر رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**إنا أمة أميَّةٌ لا نكتب ولا نحسب**». =

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْرِيمُ نِكَاحِ أَزْوَاجِهِ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾[1].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ قَاطِبَةً عَلَى أَنَّ مَنْ تُوُفِّيَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَزْوَاجِهِ أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى غَيْرِهِ تَزْوِيجُهَا مِنْ بَعْدِهِ، لِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[2].

وَقَالَ الْإِمَامُ السُّيُوطِيُّ: وَمِمَّا قِيلَ فِي تَعْلِيلِ ذَلِكَ: أَنَّهُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ فِي ذَلِكَ غَضَاضَةً[3] يُنَزَّهُ عَنْهَا مَنْصِبُهُ الشَّرِيفُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهَا[5] زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[6].

= أي الَّذي يكتب قليل، وسيكثر الَّذِين يكتبون، وقد ظهرت في زماننا هذا هذه العلامة ظهوراً بيِّناً، وانتشرت انتشاراً باهراً.

والحديث أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٣٨٧٠).

(١) سورة الأحزاب آية (٥٣).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٦/٤٥٥).

(٣) غضاضة: أي حرجًا وعيبًا. انظر المعجم الوسيط (٢/٦٥٤).

(٤) انظر الخصائص الكبرى ص (٣٥٩).

(٥) يريد عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ رقم الحديث (٣٧٧٢).

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «**أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟**».

قُلْتُ: بَلَى وَاللهِ، قَالَ: «**فَأَنْتِ زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»[1].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ بِصُورَتِهَا فِي خِرْقَةٍ[2] حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[3].

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: إِنَّمَا جُعِلَ الْمَوْتُ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهُنَّ بِمَنْزِلَةِ الْمُغَيَّبِ فِي حَقِّ غَيْرِهِ، لِكَوْنِهِنَّ أَزْوَاجًا لَهُ فِي الْآخِرَةِ قَطْعًا بِخِلَافِ سَائِرِ النَّاسِ، لِأَنَّ الرَّجُلَ لَا يُعْلَمُ كَوْنُهُ مَعَ أَهْلِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ، فَرُبَّمَا كَانَ أَحَدُهُمَا فِي الْجَنَّةِ وَالْآخِرُ فِي النَّارِ[4].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ـ كتاب إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مناقب الصحابة ـ باب ذكر الخبر أن عائشة زوجة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة ـ رقم الحديث (٧٠٩٥).

(٢) الخرقة: بكسر الخاء: هي القطعة من الثوب. انظر لسان العرب (٤/٧٢).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب المناقب ـ باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ رقم الحديث (٤٢١٨) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مناقب الصحابة ـ باب ذكر عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ رقم الحديث (٧٠٩٤).

(٤) انظر تفسير القرطبي (١٧/٢١١).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى تَوَلَّى تَبْرِئَتَهُ عَمَّا يَنْسُبُ إِلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[2].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾[3].

بِخِلَافِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَدْ كَانُوا يُدَافِعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَيَرُدُّونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، كَقَوْلِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[4].

---

(١) سورة القلم آية (٢ ـ ٤).
قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ في تفسير هذه الآية (٨/١٨٩): ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام، صار امتثال القرآن، أمراً ونهياً، سجيّة له، وخلقاً تَطَبّعَهَ، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل.
رَوَى الْإِمَامُ مسلم في صحيحه ـ رقم الحديث (٧٤٦) (١٣٩) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا سُئِلت عن خلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَتْ: كان خلقه القرآن.

(٢) سورة النجم آية (١ ـ ٤).

(٣) سورة يس آية (٦٩).

(٤) سورة الأعراف آية (٦١).

وَقَوْلِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]. وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ.

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ أَطْلَعَهُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**»[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحَيْهِمَا ـ وَاللَّفْظُ لِابْنِ حِبَّانَ ـ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَظَرْتُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا الْمَسَاكِينُ، وَنَظَرْتُ فِي النَّارِ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، وَإِذَا أَهْلُ الْجَدِّ[3] مَحْبُوسُونَ، وَإِذَا الْكُفَّارُ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ**»[4].

قَالَ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ: إِطْلَاعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مَعًا كَانَ

---

(١) سورة الأعراف آية (٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الرقاق ـ باب صفة الجنة والنار ـ رقم الحديث (٦٥٤٦) ـ وأخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ كتاب الرقاق ـ باب أكثر أهل الجنة الفقراء... ـ رقم الحديث (٢٧٣٧).

(٣) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٧/٤٤): الجد: بفتح الجيم، قيل: المراد به أصحاب البخت والحظ في الدنيا والغنى والوجاهة بها، وقيل: المراد أصحاب الولايات، ومعناه: محبوسون للحساب.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الرقاق ـ باب أكثر أهل الجنة الفقراء.... ـ رقم الحديث (٢٧٣٦) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مناقب الصحابة ـ باب وصف الجنة وأهلها ـ رقم الحديث (٧٤٥٦).

بِجِسْمِهِ، وَنَظَرُهُ الْعِيَانَ تَفَضُّلاً مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْهِ، وَفَرْقًا فَرَّقَ بِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِ الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[(١)].

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّهُ يَرَى مَنْ خَلْفَهُ فِي الصَّلَاةِ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ـ وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«اِسْتَوُوا، اسْتَوُوا، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِي، كَمَا أَرَاكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ»**[(٢)].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: **«أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وتَرَاصُّوا، فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي»**[(٣)].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالصَّوَابُ الْمُخْتَارُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَأَنَّ هَذَا الْإِبْصَارَ إِدْرَاكٌ حَقِيقِيٌّ خَاصٌّ بِهِ ﷺ، انْخَرَقَتْ لَهُ فِيهِ الْعَادَةُ، وَعَلَى هَذَا عَمَلُ الْمُصَنِّفِ ـ أَيِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ ـ فَأَخْرَجَ هَذَا الْحَدِيثَ

---

(١) انظر صحيح ابن حبان (١٦/٤٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب عِظة الإمام الناس في إتمام الصلاة ـ رقم الحديث (٤١٨) ـ وأخرجه في كتاب الأذان ـ باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها ـ رقم الحديث (٧١٧) ـ وباب إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف ـ رقم الحديث (٧١٩) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٣٨٣٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأذان ـ باب إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف ـ رقم الحديث (٧١٩).

فِي عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ، وَكَذَا نُقِل عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيتَاؤُهُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَمَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي**».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا[2].

قَالَ الْإِمَامُ الزُّهْرِيُّ: بَلَغَنِي أَنَّ جَوَامِعَ الْكَلِمِ أَنَّ اللهَ يَجْمَعُ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُكْتَبُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ فِي الْأَمْرِ الْوَاحِدِ، وَالْأَمْرَيْنِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ[3].

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: جَوَامِعُ الْكَلِمِ الَّتِي خُصَّ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِالْقَوْلِ الْمُوجَزِ الْقَلِيلِ اللَّفْظِ الْكَثِيرِ الْمَعَانِي[4].

---

(١) انظر فتح الباري (٢/٧٦).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٦/٢٣٣): تنتثلونها: بوزن تفتعلونها أي تستخرجونها.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**» ـ رقم الحديث (٢٩٧٧) ـ وأخرجه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أوتيت جوامع الكلم**» ـ رقم الحديث (٧٢٧٣) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ رقم الحديث (٥٢٣) (٦).

(٣) انظر كلام الإمام الزهري في صحيح البخاري ـ كتاب التعبير ـ باب المفاتيح في اليد ـ بعد الحديث ـ رقم (٧٠١٣).

(٤) انظر فتح الباري (١٥/١٧٢).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَرَبَ أَفْصَحُ الْأُمَمِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْصَحُهُمْ نُطْقًا، وَأَجْمَعُ لِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ مُطْلَقًا[1].

*** وَجَوَامِعُ الْكَلِمِ الَّتِي خُصَّ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَوْعَانِ:**

أَحَدُهُمَا: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: الْقُرْآنُ هُوَ الْغَايَةُ فِي إِيجَازِ اللَّفْظِ، وَاتِّسَاعِ الْمَعَانِي[2].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3].

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَجْمَعُ لِحَلَالٍ وَحَرَامٍ وَأَمْرٍ وَنَهْيٍ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ[4].

الثَّانِي: كَلَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ جَوَامِعِ الْكَلِمِ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ:

* حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ**

---

(١) انظر البداية والنهاية (٦/٦٧٨).

(٢) انظر فتح الباري (١٥/١٧٢).

(٣) سورة النحل آية (٩٠).

(٤) أخرج ذلك الإمام البخاري في الأدب المفرد ـ رقم الحديث (٣٧٦) ـ وإسناده حسن.

فِي أَمْرِنَا[1] هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»[2].

وَفِي لَفْظٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[3].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ ﷺ، فَإِنَّهُ صَرِيحٌ فِي رَدِّ كُلِّ الْبِدَعِ وَالْمُخْتَرَعَاتِ... وَهَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا يَنْبَغِي حِفْظُهُ وَاسْتِعْمَالُهُ فِي إِبْطَالِ الْمُنْكَرَاتِ وَإِشَاعَةِ الِاسْتِدْلَالِ بِهِ[4].

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَهَذَا الْحَدِيثُ مَعْدُودٌ مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ وَقَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِهِ، فَإِنَّهُ مَعْنَاهُ: مَنِ اخْتَرَعَ فِي الدِّينِ مَا لَا يَشْهَدُ لَهُ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِهِ فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ[5].

* حَدِيثُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٥/٦٤٣): والمراد به أمر الدين

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصلح ـ باب إذا اصطلحوا على صلح جَورٍ فالصلح مردود ـ رقم الحديث (٢٦٩٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الأقضية ـ باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور ـ رقم الحديث (١٧١٨) (١٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الأقضية ـ باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور ـ رقم الحديث (١٧١٨) (١٨).

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/١٥).

(٥) انظر فتح الباري (٥/٦٤٢).

مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»(١).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى عِظَمِ وَقْعِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَكَثْرَةِ فَوَائِدِهِ، وَأَنَّهُ أَحَدُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الْإِسْلَامِ(٢).

* وَأَمَّا مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ الْأَرْضِ:

فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي» يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا فُتِحَ لِأُمَّتِهِ وَجُنُودِهِ مِنَ الْخَزَائِنِ، كَخَزَائِنِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ: مَعَادِنَ الْأَرْضِ الَّتِي فِيهَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، أَيْ: سَتُفْتَحُ الْبُلْدَانُ الَّتِي فِيهَا هَذِهِ الْمَعَادِنُ وَالْخَزَائِنُ، فَتَكُونُ لِأُمَّتِهِ ﷺ(٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب فضل من استبرأ لدينه ـ رقم الحديث (٥٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب المساقاة ـ باب أخذ الحلال وترك الشبهات ـ رقم الحديث (١٥٩٩).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢٢/١١).

(٣) انظر شرح السنة (١٩٩/١٣).

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى[1] لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَإِنِّي أُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ»[2].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ مُعْجِزَاتٌ ظَاهِرَةٌ، وَقَدْ وَقَعَتْ كُلُّهَا بِحَمْدِ اللهِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ[4] مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»[5].

* * *

---

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١١/١٨): زَوَى: يعني جمع.

(٢) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١١/١٨): قال العلماء: المراد بالكنزين الذهب والفضة، والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام.

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ـ رقم الحديث (٢٨٨٩) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٢٣٩٤).

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١١/١٨).

(٤) قال السندي في شرح المسند (١٠/٣٨): المقصود بالأمر: أمر الدين، أي الإسلام.

(٥) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٦٩٥٧).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَاجِيَهُ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِين صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، إِذَا نَاجَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَدِّمُوا أَمَامَ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً تَتَصَدَّقُونَ بِهَا عَلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْحَاجَةِ ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يَقُولُ: وَتَقْدِيمُكُمُ الصَّدَقَةَ أَمَامَ نَجْوَاكُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لِقُلُوبِكُمْ مِنَ الْمَآثِمِ[2].

رَوَى الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، قَالَ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرُوا الْمَسَائِلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى شَقُّوا عَلَيْهِ، فَأَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُخَفِّفَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، امْتَنَعَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَفُّوا عَنِ الْمَسْأَلَةِ[4].

---

(١) سورة المجادلة آية (١٢).

(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبري (١٢/٢٠)

(٣) سورة المجادلة آية (١٢).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/٢١).

* هَذِهِ الْآيَةُ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه.

وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي سُورَةِ الْمُجَادِلَةِ ـ وَفِيهَا وُجُوبُ الصَّدَقَةِ قَبْلَ مُنَاجَاةِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم ـ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ثُمَّ نُسِخَ الْحُكْمُ، فَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ فِي كِتَابِ اللهِ لَآيَةً مَا عَمِلَ بِهَا أَحَدٌ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي، آيَةُ النَّجْوَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[1] قَالَ رضي الله عنه: كَانَ عِنْدِي دِينَارٌ فَبِعْتُهُ بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ فَنَاجَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، كُلَّمَا نَاجَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَايَ دِرْهَمًا، ثُمَّ نُسِخَتْ، فَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ، فَنَزَلَتْ: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[2].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: فَنُسِخَ وُجُوبُ ذَلِكَ عَنْهُمْ[3].

وَمِنْ خَصَائِصِهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ يَبِيتُ جَائِعًا وَيُصْبِحُ شَبْعَانَ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: نَهَى رَسُولُ اللهِ

(١) سورة المجادلة آية (١٢).

(٢) سورة المجادلة آية (١٣).

والخبر أخرجه الحاكم في المستدرك ـ رقم الحديث (٣٨٤٦).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٨/ ٥٠).

ﷺ عَنِ الْوِصَالِ[1] رَحْمَةً لَهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: «**إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ**»[2].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ فِي الصَّوْمِ؟

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللهِ.

فَقَالَ ﷺ: «**وَأَيُّكُمْ مِثْلِي؟ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ**»[3].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: المَقْصُودُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «**يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ**»: أَيْ يُشْغِلُنِي بِالتَّفَكُّرِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّمَلِّي بِمُشَاهَدَتِهِ، وَالتَّغَذِّي بِمَعَارِفِهِ، وَقُرَّةِ الْعَيْنِ بِمَحَبَّتِهِ، وَالِاسْتِغْرَاقِ فِي مُنَاجَاتِهِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ[4].

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «**يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ**» أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ مَا يُغَذِّيهِ اللهُ بِهِ مِنْ مَعَارِفِهِ، وَمَا يَفِيضُ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ لَذَّةِ مُنَاجَاتِهِ، وَقُرَّةِ

---

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٨٣/٧): الوصال هُوَ صوم يومين فصاعداً من غير أكل أو شرب بينهما.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصوم ـ باب الوصال ـ رقم الحديث (١٩٦٤) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الصيام ـ باب النهي عن الوصال في الصوم ـ رقم الحديث (١١٠٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصوم ـ باب التنكيل لمن أكثر الوصال ـ رقم الحديث (١٩٦٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الصيام ـ باب النهى عن الوصال في الصوم ـ رقم الحديث (١١٠٣).

(٤) انظر فتح الباري (٧٢٥/٤).

عَيْنِه بِقُرْبِهِ، وَتَنَعُّمِهِ بِحُبِّهِ، وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ، وَتَوابِعِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي هِيَ غِذَاءُ الْقُلُوبِ، وَنَعِيمُ الْأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعَيْنِ، وَبَهْجَةُ النُّفُوسِ وَالرُّوحِ وَالْقَلْبِ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ غِذَاءً وَأَجْوَدُهُ وَأَنْفَعُهُ، وَقَدْ يُقَوِّي هَذَا الْغِذَاءُ حَتَّى يُغْنِي عَنْ غِذَاءِ الْأَجْسَامِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ، كَمَا قِيلَ:

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرَاكَ تَشْغَلُهَا ... عَنِ الشَّرَابِ وَتُلْهِيهَا عَنِ الزَّادِ

لَهَا بِوَجْهِكَ نُورٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ ... وَمِنْ حَدِيثِكَ فِي أَعْقَابِهَا حَادِي

إِذَا شَكَتْ مِنْ كِلَالِ السَّيْرِ أَوْعَدَهَا ... رُوحُ الْقُدُومِ فَتَحْيَا عِنْدَ مِيعَادِ[1]

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ اخْتِصَاصُهُ بِشَرْحِ الصَّدْرِ، وَوَضْعِ الْوِزْرِ، وَرَفْعِ الذِّكْرِ[2]:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ[3] ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ[4] ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾[5].

---

(١) انظر زاد المعاد (٢/٣١).

(٢) المقصود برفع ذكره ﷺ هُوَ اقتران اسمه باسم الله تَعَالَى.

(٣) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ في تفسيره (٨/٤٢٩): يعني نورناه، وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً كقوله تَعَالَى في سورة الأنعام آية (١٢٥): ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شَرْعه فسيحاً واسعاً سمحاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق.

(٤) قال الإمام القرطبي في تفسيره (٢٢/٣٥٦): أي حططنا عنك ذنبك، وهذه الآية مثل قوله تَعَالَى في سورة الفتح آية (٢) ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

(٥) قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسير (١٢/٦٢٧): لا أُذكر إلا ذُكرت معي، وذلك قول:=

قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَغَـرُّ عَلَيْـهِ مِـنَ النُّبُـوَّةِ خَـاتَمٌ ... مِـنَ اللهِ مَشْـهُودٌ يَلُـوحُ وَيَشْـهَدُ

وَضَـمَّ الإِلَـهُ اسْـمَ النَّبِـيِّ إِلَـى اسْـمِهِ ... إِذَا قَـالَ فِي الْخَمْسِ الْمُـؤَذِّنُ أَشْـهَدُ

وَشَـقَّ لَـهُ مِـنِ اسْـمِهِ لِيُجِلَّـهُ ... فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَـذا مُحَمَّـدُ[1]

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: يَقُولُ لَهُ: لَا ذُكِرْتُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَالتَّشَهُّدِ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَيَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ الْأَضْحَى، وَأَيَّامَ التَّشْرِيقِ، وَيَوْمَ عَرَفَةَ، وَعِنْدَ الْجِمَارِ، وَعَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَفِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ، وَفِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً عَبَدَ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَصَدَّقَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَكُلِّ شَيْءٍ، وَلَمْ يَشْهَدْ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ وَكَانَ كَافِرًا[2].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: أَبْقَى اللهُ ذِكْرَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَأَوْجَبَ شَرْعَهُ عَلَى رِقَابِ الْعِبَادِ، مُسْتَمِرًّا عَلَى دَوَامِ الْآبَادِ، إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْمَعَادِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ[3].

= لا إله إلا الله محمد رسول الله.

والآيات من سورة الشرح ـ الآيات (١ ـ ٤).

(١) انظر ديوان حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ص ٥٤.

(٢) انظر تفسير القرطبي (٣٥٧/٢٢).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٥٠٥/٨).

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُلْجَمًا[1] مُسْرَجًا، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ[2]، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟

فَمَا رَكِبَكَ[3] أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنْهُ، قَالَ: «**فَارْفَضَّ عَرَقًا**»[4].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... **أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ**»[5].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَأَنَّهُ

---

(١) اللجام: هُوَ حبل أو عصا تدخل في فم الدابة، وتلزق إلى قفاه. انظر لسان العرب (١٢/٢٤٢).

(٢) قال السُهيلي في الروض الأنف (٢/١٩٤): إنما استصعب عليه لبعد عهد البراق بركوب الأنبياء قبله، وطول الفترة بين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٧/٦٠٧): فيه دلالة على أن البراق كان مُعَداً لركوب الأنبياء، خلافاً لمن نفى ذلك.

قلت: ويُؤيد ذلك ما رواه الإمام مسلم ـ رقم الحديث (١٦٢) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... **فربطته ـ أي البراق ـ بالحلقة الَّتِي يربط به الأنبياء**».

(٤) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٢٦٧٢) ـ والترمذي في جامعه ـ كتاب التفسير ـ باب ومن سورة بني إسرائيل ـ رقم الحديث (٣٣٩٧).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب المناقب ـ باب ما جاء في فضل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٣٩٣٧).

سَمِعَ شَيْئًا، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «مَنْ أَنَا»؟ قَالُوا: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَقَالَ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا، وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا»**(١).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّفْرِقَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي الْخِطَابِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾(٢).

وَقَالَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ**﴾(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٧٨٨) ـ والترمذي في جامعه ـ كتاب المناقب ـ باب فضل النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٣٩٣٥).

(٢) سورة ص آية (٢٦).

(٣) سورة النجم آية (٣).

روى أبو داود في سننه ـ رقم الحديث (٣٦٤٦) بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، =

قَالَ الْإِمَامُ السُّيُوطِيُّ: مُنَزِّهًا لَهُ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ الْإِقْسَامِ عَلَيْهِ[1].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2].

وَقَالَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾[3].

قَالَ الْإِمَامُ السُّيُوطِيُّ: فَكَنَّى عَنْ خُرُوجِهِ وَهِجْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَحْسَنِ الْعِبَارَاتِ، وَكَذَا نَسَبَ الْإِخْرَاجَ إِلَى عَدُوِّهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[4]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾[5].

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[6].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ

= فأومأ بإصبعه إلى فيه، فقَالَ: «أكتب، فوالَّذِي نفسي بيده، ما يخرج منه إلا حق».

(١) انظر الخصائص الكبرى ص (٢٦٤).

(٢) سورة الشعراء آية (٢١).

(٣) سورة الأنفال آية (٣٠).

(٤) سورة التوبة آية (٤٠).

(٥) سورة محمد آية (١٣) ـ وانظر الخصائص الكبرى ص (٢٦٤) للسيوطي.

(٦) سورة إبراهيم آية (٣٥).

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(1).

❁ **وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فِي طَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ وَفَرَائِضِهِ وَأَحْكَامِهِ وَوَعْدِهِ، تَشْرِيفًا عَظِيمًا:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(2).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(3).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾(4).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(5).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(6).

---

(١) سورة الأحزاب آية (٣٣).

(٢) سورة آل عمران آية (٣٢).

(٣) سورة آل عمران آية (١٣٢).

(٤) سورة النساء آية (٦٩).

(٥) سورة الأحزاب آية (٧٠ - ٧١).

(٦) سورة التوبة آية (١).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[2].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[4].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[5].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ

---

(١) سورة التوبة آية (٣).

(٢) سورة الأنفال آية (٢٤).

(٣) سورة الأنفال آية (٢٧).

(٤) سورة النساء آية (١٤).

(٥) سورة التوبة آية (١٦).

وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(٢).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾(٣).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾(٤).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٥).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ

---

(١) سورة الأنفال آية (٤١).
(٢) سورة النساء آية (٥٩).
(٣) سورة التوبة آية (٥٩).
(٤) سورة التوبة آية (٧٤).
(٥) سورة التوبة آية (٩٠).

أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَعْضَاءَهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي وَجْهِهِ ﷺ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى فِي لِسَانِهِ ﷺ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[3].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾[4].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى فِي عَيْنَيْهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[5].

(١) سورة الأحزاب آية (٣٧).
(٢) سورة البقرة آية (١٤٤).
(٣) سورة الدخان آية (٥٨).
(٤) سورة مريم آية (٩٧).
(٥) سورة طه آية (١٣١).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى فِي يَدِهِ وَعُنُقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[1].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى فِي صَدْرِهِ وَظَهْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[3].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَلْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾[4].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى فِي خُلُقِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[5].

---

(١) سورة الإسراء آية (٢٩).

(٢) سورة الأحزاب آية (٥٠).

(٣) سورة الشرح آية (١ ـ ٣).

(٤) سورة الشعراء آية (١٩٢ ـ ١٩٥).

(٥) سورة القلم آية (٤).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ تَفْضِيلُ أَصْحَابِهِ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ سِوَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ:

وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ لِثَنَاءِ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَوُرُودِ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الصَّحِيحَةِ فِي فَضْلِهِمْ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَيَا وَيْلَ مَنْ سَبَّهُمْ أَوْ أَبْغَضَ أَوْ سَبَّ بَعْضَهُمْ، وَلَاسِيَّمَا سَيِّدَ الصَّحَابَةِ بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ وَخَيْرَهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ، أَعْنِي الصِّدِّيقَ الْأَكْبَرَ وَالْخَلِيفَةَ الْأَعْظَمَ أَبَا بَكْرِ بنَ أَبِي قُحَافَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَإِنَّ الطَّائِفَةَ الْمَخْذُولَةَ مِنَ الرَّافِضَةِ يُعَادُونَ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ وَيُبْغِضُونَهُمْ

(١) سورة التوبة آية (١٠٠).

(٢) سورة التوبة آية (١١٧).

وَيَسُبُّونَهُمْ، عِيَاذًا بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُقُولَهُمْ مَعْكُوسَةٌ، وَقُلُوبَهُمْ مَنْكُوسَةٌ، فَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ، إِذْ يَسُبُّونَ مَنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ! وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يَتَرَضَّوْنَ عَمَّنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَيَسُبُّونَ مَنْ سَبَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَيُوَالُونَ مَنْ يُوَالِي اللهَ، وَيُعَادُونَ مَنْ عَادَى اللهَ، وَهُمْ مُتَّبِعُونَ لَا مُبْتَدِعُونَ، وَيَقْتَدُونَ وَلَا يَبْتَدِعُونَ، وَلِهَذَا هُمْ حِزْبُ اللهِ الْمُفْلِحُونَ وَعِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ[1].

وَرَوَى ابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ قَوِيٍّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً، خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ[2].

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَحَدِ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ـ قَالَ: لَمَشْهَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْبَرُّ فِيهِ وَجْهُهُ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي، بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ**»[4].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤/٢٠٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ـ كتاب السنة ـ باب فضائل الصحابة ـ رقم الحديث (١٦٢).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب السنة ـ باب الخلفاء ـ رقم الحديث (٤٦٥٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب فيمن يود رؤية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأهله وماله ـ رقم الحديث (٢٨٣٢).

قَالَ الْإِمَامُ السِّنْدِيُّ: أَيْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ صَرَفَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ فِي تَحْصِيلِ رُؤْيَتِهِ ﷺ[(١)].

قُلْتُ: هَذَا ثَمَنُ رُؤْيَتِهِ ﷺ، فَمَا بَالُكَ لَوْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ، وَنَظَرَ إِلَيْكَ، وَجَلَسْتَ مَعَهُ... أَقُولُ هَذَا لِنَعْرِفَ عِظَمَ فَضِيلَةِ صُحْبَتِهِ ﷺ، وَأَنَّهَا مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ اخْتَارَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَصْحَابِهِ ﷺ، وَلَنْ يُدْرِكَ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ أَحَدٌ جَاءَ بَعْدَهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ عَلَّمَهُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا الْخَمْسَ[(٢)] وَالرُّوحَ[(٣)]:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ[(٤)].

---

(١) انظر شرح السندي لمسند الإمام أحمد (١٢/٤٢٥).

(٢) الخمس هي في قوله تعالَى في سورة لقمان آية (٣٤): ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾.

(٣) قَالَ تَعَالَى في سورة الإسراء آية (٨٥): ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب القدر ـ باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً ـ رقم الحديث (٦٦٠٤) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ـ رقم الحديث (٢٨٩١) (٢٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا بِمَا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَعَاهُ مَنْ وَعَاهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْخَمْسَ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾»[2].

قَالَ الْإِمَامُ السِّنْدِيُّ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَفَاتِيحَ كُلِّ شَيْءٍ**»، يُرِيدُ: عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْخُصُوصُ، وَإِنْ كَانَ مُقْتَضَى الِاسْتِثْنَاءِ الْعُمُومُ، وَإِلَّا لَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ عِلْمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ مُتَنَاهٍ، وَأَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْغَيْبِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[3]، فَلْيُتَأَمَّلْ[4].

قُلْتُ: وَلِهَذَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ[5]، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٨٢٢٤).

(٢) سورة لقمان آية (٣٤).

والحديث أخرجه الإمام أحمد في مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٥٥٧٩).

(٣) سورة النمل آية (٦٥).

(٤) انظر شرح مسند الإمام أحمد للإمام السندي (٣/٢٧٢).

(٥) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٣/٨): الفرية بكسر الفاء وإسكان الراء هي الكذب.

مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ جَمَعَ لَهُ كُلَّ مَرَاتِبِ الْوَحْيِ:

الأُولَى: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ[2]:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ[3].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: الْمُرَادُ بِفَلَقِ الصُّبْحِ ضِيَاؤُهُ، وَخُصَّ بِالتَّشْبِيهِ لِظُهُورِهِ الْوَاضِحِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ[4].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب سورة النجم - رقم الحديث (٤٨٥٥) - ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب معنى قوله تعالَى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ - رقم الحديث (١٧٧)..

(٢) قال الحافظ في الفتح (٣٤/١): بُدئ بالرؤيا الصالحة ليكون تمهيداً وتوطئة لليقظة.
وفي رواية أخرى في صحيح البخاري ـ رقم الحديث (٦٩٨٢): قالت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: الرؤيا الصادقة.
قال الحافظ في الفتح (٣٧٧/١٤): وهما بمعنى واحد بالنسبة إلى أمور الآخرة في حق الأنبياء، وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا فالصالحة في الأصل أخص، فرؤيا النبي كلها صادقة، وقد تكون صالحة وهي الأكثر، وغير صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع في الرؤيا يوم أُحد.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب بدء الوحي ـ باب رقم (٣) ـ رقم الحديث (٣) ـ وأخرجه في كتاب التفسير ـ باب (١٢) ـ رقم الحديث (٤٩٢٣) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (١٦٠).

(٤) انظر فتح الباري (٣٤/١).

الثَّانِيَةُ: مَا كَانَ يُلْقِيهِ الْمَلَكُ فِي رُوعِهِ[1] وَقَلْبِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَاهُ، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «.. **إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللهِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**»[2].

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلَكُ رَجُلاً، فَيُخَاطِبُهُ حَتَّى يَعِيَ عَنْهُ مَا يَقُولُ لَهُ، وَفِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ كَانَ يَرَاهُ الصَّحَابَةُ أَحْيَانًا[3].

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَكَانَ أَشَدَّهُ عَلَيْهِ، فَيَتَلَبَّسُ بِهِ الْمَلَكُ حَتَّى إِنَّ جَبِينَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَتَفَصَّدُ[4] عَرَقًا فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، وَحَتَّى إِنَّ نَاقَتَهُ لَتَبْرُكُ بِهِ إِلَى الْأَرْضِ إِذَا كَانَ رَاكِبَهَا، وَلَقْد جَاءَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيُ كَذَلِكَ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِ زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَثَقُلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى كَادَتْ تَرُضُّهَا[5].

---

(١) الرُّوع: بضم الراء هي النفس. انظر النهاية (٢/٢٥٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ـ كتاب البيوع ـ باب إن الله لا ينال فضلُهُ بمعصية ـ رقم الحديث (٢١٨١) ـ وأبو نعيم في الحلية (١٠/٢٦) ـ وأخرجه ابن ماجه في سننه ـ كتاب التجارات ـ باب الاقتصاد في طلب المعيشة ـ رقم الحديث (٢١٤٤) ـ عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ وهو حديث صحيح.

(٣) انظر حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في: صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ـ رقم الحديث (٨)، وفيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل أتاكم يُعلمكم دينكم**».

(٤) يتفصَّدُ: أي يسيل. انظر النهاية (٣/٤٠٣).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٩/١٣٨): ترضُّها: أي تدقها.

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَفصِمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**».

قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ(١) فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: .. فَأَخَذَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ(٣) عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ(٤) مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ(٥).

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٣٢/١): وفي هذا دلالة على كثرة معاناة التعب، والكرب عند نزول الوحي، لما فيه من مخالفة العادة، وهو كثرة العرق في شدة البرد، فإنه يشعر بوجود أمر طارئ زائد على الطباع البشرية.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب عرق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البرد ـ رقم الحديث (٢٣٣٣).

(٣) البرحاء: أي شدة الكرب من ثقل الوحي. انظر النهاية (١١٣/١).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤١٨/٩): الجُمانُ بضم الجيم وتخفيف الميم هُوَ اللؤلؤ، فشبهت قطرات عرقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجُمان لمشابهتها في الصفات والحُسن.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تعَالَى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ..﴾ ـ رقم الحديث (٤٧٥٠) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب التوبة ـ باب في حديث الإفك ـ رقم الحديث (٢٧٧٠).

الْخَامِسَةُ: أَنَّهُ يَرَى الْمَلَكَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، فَيُوحِي إِلَيْهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يُوحِيَهُ، وَهَذَا وَقَعَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ**﴾[1].

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَمْ أَرَهُ** - يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - **عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**»[2].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: ... لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَمَرَّةً فِي جِيَادٍ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ[3].

السَّادِسَةُ: مَا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ مِنْ فَرْضِ الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا[4].

* وَزَادَ بَعْضُهُمْ مَرْتَبَةً سَابِعَةً، وَهِيَ: تَكْلِيمُ اللهِ تَعَالَى لَهُ فِي الْإِسْرَاءِ

---

(١) سورة النجم آية (١٣ ـ ١٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ـ رقم الحديث (١٧٧)

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب التفسير ـ باب ومن سورة النجم ـ رقم الحديث (٣٥٦٢).

(٤) أخرج ذلك البخاري في صحيحه ـ كتاب مناقب الأنصار ـ باب المعراج ـ رقم الحديث (٣٨٨٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات ـ رقم الحديث (١٦٢).

وَالْمِعْرَاجِ كِفَاحًا مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ، وَهَذا عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهِيَ مَسْأَلَةُ خِلافٍ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ[1].

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: الْوَحْيُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى أَنْوَاعٍ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ**﴾[2].

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ:

الوَحْيُ الْأَوَّلُ: مَا أَرَاهُمْ فِي الْمَنَامِ، قَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ[3]: رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ وقَرَأَ: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾[4].

وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ**﴾ كَمَا كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ حَتَّى قَالَ: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[5]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا**﴾ فَهُوَ إِرْسَالُ الرُّوحِ الْأَمِينِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**نَزَلَ بِهِ**

(١) انظر زاد المعاد لابن القيم (١/٧٩).

(٢) سورة الشورى آية (٥١).

(٣) قال الحافظ في الفتح (١/٣٢٢): عُبيد بن عمير من كبار التابعين، ولأبيه عمير بن قتادة صحبة.

(٤) سورة الصافات آية (١٠٢).

وأخرج هذا الأثر عن عُبيد بن عمير: البخاري في صحيحه ـ كتاب الوضوء ـ باب التخفيف في الوضوء ـ رقم الحديث (١٣٨).

(٥) سورة الأعراف آية (١٤٣).

﴿ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾[1].

* وَقَدْ كَانَ لِنَبِيِّنَا ﷺ جَمِيعُ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ، فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي رُؤْيَاهُ ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّ﴾[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ تَسْمِيَتُهُ أَحْمَدَ وَمُحَمَّدًا:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾[3].

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُعْطِيتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ**»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هُوَ؟

قَالَ: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُورًا، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَمِ**»[4].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ ﷺ أَحْمَدَ فَمِنْ بَابِ التَّفْضِيلِ،

---

(١) سورة الشعراء الآية (١٩٣ـ ١٩٤).

(٢) سورة الفتح آية (٢٨) ـ وانظر كلام الإمام البغوي في شرح السنة (١٣/٣٢٤).

(٣) سورة الصف آية (٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٧٦٣).

وَقِيلَ سُمِّيَ أَحْمَدَ لِأَنَّه عَلَمٌ مَنْقُولٌ مِنْ صِفَةٍ، وَهِيَ أَفْعُلُ التَّفْضِيلِ، وَمَعْنَاهُ أَحْمَدُ الْحَامِدِينَ، وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ بِمحَامِدَ لَمْ يُفْتَحْ بِهَا عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ[1]، وَقِيلَ الْأَنْبِيَاءُ حَمَّادُونَ، وَهُوَ أَحْمَدُهُمْ، أَيْ أَكْثَرُهُمْ حَمْدًا أَوْ أَعْظَمُهُمْ فِي صِفَةِ الْحَمْدِ[2].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ[3]: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي[4]، وَأَنَا الْعَاقِبُ**»[5].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنَّ لِي خَمْسَةَ

---

(١) أخرج ذلك البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ـ رقم الحديث ـ (٤٧١٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ـ رقم الحديث (١٩٤).

(٢) انظر فتح الباري (٢٤٦/٧).

(٣) قال السندي في شرح المسند (٤٩٠/٩): كثرة الأسماء تدل على عِظَم المسمى، فلذا يُقال عند التحقير: هذا شيء لا يُعرف له اسم ونحوه، وقد جاء أنه له أسماء أخرى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلعله خَصَّ هذه لشهرتها.

(٤) قال الإمام البغوي في شرح السنة (٢١٢/١٣): أي أنه يُحشر أول الناس، كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض**».

(٥) العاقب: فسَّره الإمام الزهري في صحيح مسلم (٨٥/١٥) بقوله: الذي ليس بعده نبي.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب ما جاء في أسماء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٣٥٣٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب ما جاء في أسمائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٢٣٥٤) (١٢٤).

أَسْمَاءٍ أَخْتَصُّ بِهَا لَمْ يُسَمَّ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي، أَوْ مُعَظَّمَةً أَوْ مَشْهُورَةً فِي الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، لَا أَنَّهُ أَرَادَ الْحَصْرَ فِيهَا(١).

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ فِي هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ ـ أَحْمَدُ وَمُحَمَّدُ ـ مِنْ عَجَائِبِ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَدَائِعِ آيَاتِهِ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ جَلَّ اسْمُهُ حَمَى أَنْ يُسَمَّى بِهِمَا أَحَدٌ قَبْلَ زَمَانِهِ(٢).

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ أَيْضًا: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْمَدُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدًا كَمَا وَقَعَ فِي الْوُجُودِ، لِأَنَّ تَسْمِيَتَهُ أَحْمَدَ وَقَعَتْ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ، وَتَسْمِيَتُهُ مُحَمَّدًا وَقَعَتْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ حَمِدَ رَبَّهُ قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَهُ النَّاسُ، وَكَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ يَحْمَدُ رَبَّهُ فَيُشَفِّعُهُ فَيَحْمَدُهُ النَّاسُ، وَقَدْ خُصَّ بِسُورَةِ الْحَمْدِ، وَبِلِوَاءِ الْحَمْدِ، وَبِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَشُرِعَ لَهُ الْحَمْدُ بَعْدَ الْأَكْلِ، وَبَعْدَ الشُّرْبِ، وَبَعْدَ الدُّعَاءِ، وَبَعْدَ الْقُدُومِ مِنَ السَّفَرِ، وَسُمِّيَتْ أُمَّتُهُ الْحَمَّادِينَ،

(١) انظر فتح الباري (٧/٢٤٧).

(٢) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/٢٠٠).

قلت: أما قول القاضي عياض رحمه الله أن اسم محمد لم يتسَمَّ به أحدٌ قبل زمانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فيه نظر ـ:

وقد تسمّى بمحمد قبله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك عندما شاع قبيل ميلاده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ نبيًّا سيبعث اسمه محمد، فسمَّى قومٌ قليل من العرب أبناءهم بذلك، منهم:

محمد بن أُحيحَةَ بن الجُلَاح الأوسي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، ومحمد بن سفيان بن مجاشع، وغيرهم، رجاءَ أن يكون أحدهم هو ـ والله أعلم حيث يجعل رسالته ـ ثم حمى الله كل من تسمى بمحمد أن يَدَّعِي النبوة أو يدَّعيها أحدٌ له، قبل نبيِّنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَجُمِعَتْ لَهُ مَعَانِي الْحَمْدِ وَأَنْوَاعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ بُيِّنَ لَهُ فِي أَمْرِ الدَّجَّالِ مَا لَمْ يُبَيَّنْ لِنَبِيٍّ قَبْلَهُ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»[(٢)].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالسِّرُّ فِي اخْتِصَاصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّنْبِيهِ الْمَذْكُورِ، مَعَ أَنَّهُ أَوْضَحُ الْأَدِلَّةِ فِي تَكْذِيبِ الدَّجَّالِ أَنَّ الدَّجَّالَ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي أُمَّتِهِ دُونَ غَيْرِهَا مِمَّنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأُمَمِ[(٣)].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدَّجَّالِ مَا سَأَلْتُهُ، وَإِنَّهُ قَالَ لِي: «**مَا يَضُرُّكَ مِنْهُ**»[(٤)]،

---

(١) انظر كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/٢٠٠) ـ وأورده الحافظ في الفتح (٧/٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الفتن ـ باب ذكر الدجال ـ رقم الحديث (٧١٢٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب ذكر ابن صياد ـ رقم الحديث (٢٩٣١) (١٦٩).

(٣) انظر فتح الباري (١٤/٦٠٧).

(٤) في رواية الإمام مسلم «**وما يُنصبك منه؟ إنه لا يضرّك**».

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٨/٥٩): **يُنصبك** هو بضم الياء على اللغة المشهورة أي ما يتعبك من أمره.

قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهْرَ مَاءٍ، فَقَالَ ﷺ: «**بَلْ هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ**»(١).

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ تَفْضِيلُ بَلَدِهِ (مَكَّةَ) عَلَى سَائِرِ الْبِلَادِ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَدِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ(٢) فِي سُوقِ مَكَّةَ يَقُولُ: «**وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»(٣).

قَالَ الْإِمَامُ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَكَّةَ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَحَبُّهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِذَلِكَ اسْتَدَلَّ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا أَفْضَلُ مِنَ الْمَدِينَةِ(٤).

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الفتن ـ باب ذكر الدجال ـ رقم الحديث (٧١٢٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الآداب ـ باب جواز قوله لغير ابنه: يا بني... ـ رقم الحديث (٢١٥٢) (٣٢) ـ وأخرجه في كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب في الدجال وهو أهون على الله عز وجل ـ رقم الحديث (٢٩٣٩) (١١٤).

(٢) الحزورة: بوزن قسورة موضع بمكة، وقد دخل هذا الموضع في المسجد الحرام لما زيد فيه. انظر معجم البلدان (٣/١٤٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٨٧١٥) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب المناسك ـ باب فضل مكة ـ رقم الحديث (٣١٠٨).

(٤) انظر نيل الأوطار (٩/٢٣٦).

ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ، مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ**»(١).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ**»(٢).

قُلْتُ: وَقَعَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي شَرْحِ مُشْكِلِ الْآثَارِ لِلطَّحَاوِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**...وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ**»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب المناقب ـ باب في فضل مكة ـ رقم الحديث (٤٢٦٨) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب فضل مكة ـ رقم الحديث (٣٧٠٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٤٦٩٤) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها ـ باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (١٤٠٦) ـ وأصل هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ـ باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ـ رقم الحديث (١١٩٠) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة ـ رقم الحديث (١٣٩٤) (١٣٩٦).

(٣) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ـ رقم الحديث (٥٩٩).

قَالَ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ عَقِبَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ: كَأَنَّهُ يَعْنِي مَسْجِدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

وَقَالَ الْإِمَامُ السِّنْدِيُّ فِي شَرْحِ الْمُسْنَدِ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ**» قِيلَ: كَذَا فِي بَعْضِ الْأُصُولِ، وَفِي بَعْضِهَا: «**مِنْ مِئَةِ صَلَاةٍ**»، وَالتَّوْفِيقُ بَيْنَهُمَا بِحَمْلِ مِئَةِ صَلَاةٍ عَلَى أَنَّهَا مِئَةٌ بِالنَّظَرِ إِلَى مَسْجِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَارَتْ مِئَةَ أَلْفٍ بِالنَّظَرِ عَلَى الْمَسَاجِدِ الْأُخْرَى، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الدَّجَّالَ لَا يَدْخُلُ بَلَدَيْهِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ[3] مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا، فَيَنْزِلُ بِالسَّبَخَةِ[4]، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ[5]، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**»[6].

---

(١) انظر شرح مشكل الآثار (٢/٦٢).

(٢) انظر شرح المسند للإمام السندي (٨/١٢٧).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤/٥٨٣): النَّقَب بفتح النون والقاف، والمراد بها المداخل، وقيل الأبواب، وأصل النقب الطريق بين الجبلين.

(٤) قال الحافظ في الفتح (١٤/٦١٥): السبخة: هي الأرض الرملة الَّتِي لا تُنبت لملوحتها، وهذه الصفة خارج المدينة من غير جهة الحرة.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤/٥٨٣): أي يحصل لها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصاً في إيمانه، ويبقى بها المؤمن الخالص فلا يُسلط عليه الدجال، ولا يُعارض هذا ما في حديث أبي بكرة ـ الَّذِي رواه البخاري في صحيحه ـ رقم الحديث (١٨٧٩) ـ أنه لا يدخل المدينة رعب الدجال، لأن المراد بالرعب ما يحدث من الفزع من ذكره والخوف من عتوه، لا الرجفة الَّتِي تقع بالزلزلة لإخراج من ليس بمخلص.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل المدينة ـ باب لا يدخل الدجال المدينة ـ=

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ الطَّاعُونَ لَا يَدْخُلُ مَدِينَتَهُ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالِ**»[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي عَسِيبٍ[2] مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ بِالْحُمَّى وَالطَّاعُونِ، فَأَمْسَكْتُ الْحُمَّى بِالْمَدِينَةِ، وَأَرْسَلْتُ الطَّاعُونَ إِلَى الشَّامِ، فَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي وَرَحْمَةٌ، وَرِجْسٌ عَلَى الْكَافِرِ**»[3].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالْحِكْمَةُ فِي إِمْسَاكِ الْحُمَّى بِالْمَدِينَةِ، وَإِرْسَالُ الطَّاعُونِ، أَنَّهُ ﷺ لَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ كَانَ فِي قِلَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَدَدًا وَمَدَدًا، وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ وَبِئَةً كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: ... وَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللهِ[4]، فَخُيِّرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ يَحْصُلُ بِكُلٍّ مِنْهُمَا الْأَجْرُ

= رقم الحديث (١٨٨١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب قصة الجساسة ـ رقم الحديث (٢٩٤٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل المدنية ـ باب لا يدخل الدجال المدينة ـ رقم الحديث (١٨٨٠) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها ـ رقم الحديث (١٣٧٩).

(٢) قال الحافظ في الفتح (١١/٣٤٦): عَسِيب بوزن عظيم.

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٠٧٦٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل المدينة ـ باب رقم (١٢) ـ رقم الحديث (١٨٨٩).

الْجَزِيلُ، فَاخْتَارَ الْحُمَّى حِينَئِذٍ لِقِلَّةِ الْمَوْتِ بِهَا غَالِبًا، بِخِلَافِ الطَّاعُونِ، ثُمَّ لَمَّا احْتَاجَ إِلَى جِهَادِ الْكُفَّارِ وَأُذِنَ لَهُ فِي الْقِتَالِ، كَانَتْ قَضِيَّةُ اسْتِمْرَارِ الْحُمَّى بِالْمَدِينَةِ أَنْ تُضْعِفَ أَجْسَادَ الَّذِينَ يَحْتَاجُونَ إِلَى التَّقْوِيَةِ لِأَجْلِ الْجِهَادِ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنَقْلِ الْحُمَّى مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْجُحْفَةِ كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها الْمَذْكُورِ، فَعَادَتِ الْمَدِينَةُ أَصَحَّ بِلَادِ اللهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ بِخِلَافِ ذَلِكَ، ثُمَّ كَانُوا مِنْ حِينَئِذٍ مَنْ فَاتَتْهُ الشَّهَادَةُ بِالطَّاعُونِ رُبَّمَا حَصَلَتْ لَهُ بِالْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ فَاتَهُ ذَلِكَ حَصَلَتْ لَهُ الْحُمَّى الَّتِي هِيَ حَظُّ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ[1]، ثُمَّ اسْتَمَرَّ ذَلِكَ بِالْمَدِينَةِ تَمْيِيزاً لَهَا عَنْ غَيْرِهَا لِتُحَقِّقَ إِجَابَةَ دَعْوَتِهِ ﷺ وَظُهُورَ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ الْعَظِيمَةِ بِتَصْدِيقِ خَبَرِهِ هَذِهِ الْمُدَّةَ الْمُتَطَاوِلَةَ، وَاللهُ أَعْلَمُ[2].

---

(١) رَوَى الْإِمَامُ أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٩٦٧٦) ـ وابن ماجه في سننه ـ رقم الحديث (٣٤٧٠) بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه عاد مريضاً من وَعْكٍ كان به، فقال رسول الله ﷺ: «**أبشر، فإن الله يقول: هي ناري ـ أي الحُمى ـ أُسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا، لتكون حظه من النار في الآخرة**».

الوَعْك: هُوَ الحُمى. انظر النهاية (١٧٩/٥).

ورَوَى الْإِمَامُ مسلم في صحيحه ـ رقم الحديث (٢٥٧٦) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دخل على أُم السائب، أو أُم المسيب، فقال لها: «**ما لَكِ يا أم السائب أو يا أم المسيب تُزفزفين**».

قَالَت: الحُمى، لا بارك الله فيها، فقال ﷺ: «**لا تسبي الحُمى، فإنها تُذهب خطايا بني آدم كما يُذهب الكير خبث الحديد**».

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٠٧/١٦): تُزفزفين: بزاءين معجمتين وفاءين والتاء مضمومة معناه: تتحركين حركة شديدة أي ترعدين.

(٢) انظر فتح الباري (٣٤٦/١١ ـ ٣٤٧).

﴿ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ تَعَالَى تَكَفَّلَ بِإِظْهَارِ دِينِهِ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[1].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: الْهُدَى: هُوَ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْإِخْبَارَاتِ الصَّادِقَةِ، وَالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ ـ وَدِينِ الْحَقِّ: هِيَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الصَّحِيحَةُ النَّافِعَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ**[3] **مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ**[4] **وَلَا وَبَرٍ**[5] **إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**». قَالَ تَمِيمٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرَ وَالشَّرَفَ وَالْعِزَّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلَّ وَالصَّغَارَ وَالْجِزْيَةَ[6].

---

(١) سورة التوبة آية (٣٣).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٤/١٣٦).

(٣) المقصود بالأمر: الإسلام

(٤) المدر: أهل القرى والأمصار. انظر النهاية (٤/٢٦٤).

(٥) الوبر: أهل البوادي، وهو من وبر الإبل: لأن بيوتهم يتخذونها منه. انظر النهاية (٥/١٢٧).

(٦) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٦٩٥٧).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيَدِينُونَ لَهَا»**(١).

قَالَ الْإِمَامُ السِّنْدِيُّ: أَيْ إِمَّا أَنْ يُسْلِمَ، أَوْ يُعْطِيَ الْجِزْيَةَ(٢).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْإِيمَانَ يَرْجِعُ إِلَى مَدِينَتِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ(٣) إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»**(٤).

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: أَيْ أَنَّهَا كَمَا تَنْتَشِرُ مِنْ جُحْرِهَا فِي طَلَبِ مَا تَعِيشُ بِهِ، فَإِذَا رَاعَهَا شَيْءٌ رَجَعَتْ إِلَى جُحْرِهَا كَذَلِكَ الْإِيمَانُ انْتَشَرَ فِي الْمَدِينَةِ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ سَائِقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ لِمَحَبَّتِهِ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَشْمَلُ ذَلِكَ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٣٨١٤).

(٢) انظر شرح المسند للإمام السندي (١٤/٧٠).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤/٥٨٠): يَأْرِزُ: بفتح أوله وسكون الهمزة وكسر الراء وقد تضم معناه ينضم ويجتمع.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل المدينة ـ باب الإيمان يأرز إلى المدينة ـ رقم الحديث (١٨٧٦) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وإنه يأرز بين المسجدين ـ رقم الحديث (١٤٧).

جَمِيعَ الْأَزْمِنَةِ لِأَنَّهُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلتَّعَلُّمِ مِنْهُ، وَفِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ لِلِاقْتِدَاءِ بِهَدْيِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ لِزِيَارَةِ مَسْجِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّلَاةِ فِيهِ(١).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَا بَيْنَ بَيْتِهِ وَمِنْبَرِهِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي**(٢) **وَمِنْبَرِي**...............................

---

(١) انظر فتح الباري (٤/٥٨٠).

(٢) وقع في رواية الطحاوي في شرح مشكل الآثار ـ رقم الحديث (٢٨٧٢) بسند صحيح عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ وابن أبي شيبة في مصنفه ـ رقم الحديث (٣٢٣١٦) بسند صحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: «**قبري**» بدل «**بيتي**».

قال الإمام الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧/٣٢٣): وفي هذا الحديث معنى يجب أن يُوقف عليه، وهو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**» على ما في أكثر هذه الآثار، وعلى ما في سواه، منها: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**»، فكان تصحيحهما يجب به أن يكون بيته هُوَ قبره، ويكون ذلك علامة من علامات النبوة جليلة المقدار، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أخفى على كل نفس سواه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأرض الَّتِي يموت فيها بقوله جَلّ وعز في كتابه في سورة لقمان آية (٣٤): ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾، فأعلمه عَزَّ وَجَلَّ الموضع الَّذِي فيه يموت، والموضع الَّذِي فيه قبره، حتى علم بذلك في حياته، وحتى أعلمه مَنْ أعلمه من أمته، فهذه منزلة لا منزلة فوقها، زاده الله شرفاً وخيراً.

وقال الحافظ في الفتح (٤/٥٨٩): وقع في حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البزار بسند رجاله ثقات وعند الطبراني من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «**القبر**»، فعلى هذا=

رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»[١].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: أَيْ كَرَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ فِي نُزُولِ الرَّحْمَةِ وَحُصُولِ السَّعَادَةِ بِمَا يَحْصُلُ مِنْ مُلَازَمَةِ حِلَقِ الذِّكْرِ لَاسِيَّمَا فِي عَهْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَكُونُ تَشْبِيهًا بِغَيْرِ أَدَاةٍ، أَوِ الْمَعْنَى أَنَّ الْعِبَادَةَ فِيهَا تُودِي إِلَى الْجَنَّةِ فَيَكُونُ مَجَازًا، أَوْ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ رَوْضَةٌ حَقِيقِيَّةٌ بِأَنْ يَنْتَقِلَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ بِعَيْنِهِ فِي الْآخِرَةِ إِلَى الْجَنَّةِ، هَذَا مُحَصَّلُ مَا أَوَّلَهُ الْعُلَمَاءُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَهِيَ عَلَى تَرْتِيبِهَا هَذَا فِي الْقُوَّةِ[٢].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مِنْبَرَهُ عَلَى حَوْضِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

= المراد بالبيت في قوله بيتي أحد بيوته لا كلها، وهو بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّذِي صار فيه القبر.

قلت: وهذان الحديثان ـ بيتي وقبري ـ يفيد الجمع بينهما أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيدفن في حُجرة من حجراته الشريفة لكن لا على التعيين، وأما الحديث الَّذِي رواه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم (٢٧) بسند صحيح بطرقه وشواهده عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه اختلاف الصحابة في أين يُدفن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما يُفيد تعيين الحجرة الَّتِي ينبغي أن يُدفن فيها، فلا تعارض، ولا إشكال.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل المدينة ـ باب (١٢) ـ رقم الحديث (١٨٨٨) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب ما بين القبر والبيت روضة من رياض الجنة ـ رقم الحديث (١٣٩١).

(٢) انظر فتح الباري (٤/٥٨٩).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»**(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قَوَائِمُ مِنْبَرِي رَوَاتِبُ**(٢) **فِي الْجَنَّةِ»**(٣).

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالنَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مِنْبَرِي هَذَا عَلَى تُرْعَةٍ**(٤) **مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ»**(٥).

* * *

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل المدينة ـ باب (١٢) ـ رقم الحديث (١٨٨٨) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب ما بين القبر والبيت روضة من رياض الجنة ـ رقم الحديث (١٣٩١).

(٢) قال الإمام السندي في شرح المسند (٤٢٢/١٤): الرتوب: الثبوت والدوام، والرواتب جمع راتبه، وهذا إما كناية عن ثبوت المنبر له في الجنة، أو بيان أن منبره الَّذِي كان له في الدنيا يُنقل إلى الجنة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٦٤٧٦) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب فضل المدينة ـ رقم الحديث (٣٧٤٩).

(٤) التُرعة في الأصل: الروضة على المكان المرتفع خاصة. قال القتيبي: معناه أن الصلاة والذكر في هذا الموضع يُوديان إلى الجنة، فكأنه قطعة منها. انظر النهاية (١٨٣/١).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ رقم الحديث (٨٧٢١) ـ والنسائي في السنن الكبرى ـ كتاب المواقيت ـ باب المنبر ـ رقم الحديث (٤٢٧٤).

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ الْمُصَلِّي يُخَاطِبُهُ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ للهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»(١).

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَهَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ(٢).

وَقَالَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ: حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ هُوَ أَصَحُّ حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّشَهُّدِ، وَالْعَمَلُ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأذان ـ باب التشهد في الآخرة ـ رقم الحديث (٨٣١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب التشهد في الصلاة ـ رقم الحديث (٤٠٢)، (٥٥).

(٢) انظر فتح الباري (٢/٥٧٨).

(٣) انظر جامع الترمذي (١/٣٤٣).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ، وَمِمَّنْ جَزَمَ بِذَلِكَ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ[1]، وَمِنْ رُجْحَانِهِ أَنَّهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَأَنَّ الرُّوَاةَ عَنْهُ مِنَ الثِّقَاتِ، لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي أَلْفَاظِه بِخِلَافِ غَيْرِهِ، وَأَنَّهُ[2] تَلَقَّاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تَلْقِينًا، فَرَوَى الطَّحَاوِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: **«أَخَذْتُ التَّشَهُّدَ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَقَّنَنِيهِ كَلِمَةً كَلِمَةً»**[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَكَانَ يَقُولُ: **«التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ للهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»**[4].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَمِنْ هَاهُنَا ذَهَبَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رحمه الله، إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُصَلِّي أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ، فَإِنْ تَرَكَهُ لَمْ تَصِحَّ صَلَاتُهُ، وَقَدْ شَرَعَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ يُشَنِّعُ

---

(١) انظر شرح السنة (٣/١٨٣).

(٢) أي ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر فتح الباري (٢/٥٨٠).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب التشهد في الصلاة ـ رقم الحديث (٤٠٣) (٦٠).

عَلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فِي اشْتِرَاطِهِ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ تَفَرَّدَ بِذَلِكَ، وَحَكَى الْإِجْمَاعَ عَلَى خِلَافِهِ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ، وَالطَّحَاوِيُّ، وَالْخَطَّابِيُّ، وَغَيْرُهُمْ، فِيمَا نَقَلَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ، وَقَدْ تَعَسَّفَ الْقَائِلُ فِي رَدِّهِ عَلَى الشَّافِعِيِّ، وَتَكَلَّفَ فِي دَعْوَاهُ الْإِجْمَاعَ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ مَا لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمًا، فَإِنَّهُ قَدْ رَوَيْنَا وُجُوبَ ذَلِكَ وَالْأَمْرَ بْالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ(١)، وَمُفَسَّرٌ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ: ابْنُ مَسْعُودٍ(٢)، وَأَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ(٣)، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ(٤)، وَمِنَ التَّابِعِينَ: الشَّعْبِيُّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ، لَا خَلَافَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ وَلَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ أَيْضًا، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَخِيرًا فِيمَا حَكَاهُ عَنْهُ أَبُو زُرْعَةَ

---

(١) هي قوله تَعَالَى في سورة الأحزاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ آية (٥٦) الآية.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأذان ـ باب التشهد في الآخرة ـ رقم الحديث (٨٣١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب التشهد في الصلاة ـ رقم الحديث (٤٠٢) (٥٥).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد التشهد ـ رقم الحديث (٤٠٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه ـ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في التشهد ـ رقم الحديث (٩٠٢) ـ والنسائي في السنن الكبرى ـ كتاب التطبيق ـ باب التشهد الأول ـ رقم الحديث (٧٦٥) ـ وإسناده ضعيف ـ ونسبة الحديث إلى جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا خطأ من أيمن بن نابل ـ أحد الرواة ـ والصواب إسناده إلى ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وحديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب التشهد في الصلاة ـ رقم الحديث (٤٠٣).

الدِّمَشْقِيُّ بِهِ، وَبِهِ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْه، وَالْفَقِيهُ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمَوَّازِ الْمَالِكِيُّ حَتَّى إِنَّ بَعْضَ أَئِمَّةِ الْحَنَابِلَةِ أَوْجَبَ أَنْ يُقَالَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ كَمَا عَلَّمَهُمْ أَنْ يَقُولُوا لَمَّا سَأَلُوهُ، وَحَتَّى إِنَّ بَعْضَ أَصْحَابِنَا أَوْجَبَ الصَّلَاةَ عَلَى الْآلِ مِمَّنْ حَكَاهُ الْبَنْدَنِيجِيُّ، وَسُلَيْمٌ الرَّازِيُّ، وَصَاحِبُهُ نَصْرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَقْدِسِيُّ، وَنَقَلَهُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَصَاحِبُهُ الْغَزَالِيُّ قَوْلاً عَنِ الشَّافِعِيِّ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ وَجْهٌ، عَلَى أَنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى خِلَافِهِ، وَحَكَوا الْإِجْمَاعَ عَلَى خِلَافِهِ، وَلِلْقَوْلِ بِوُجُوبِهِ ظَوَاهِرُ الْحَدِيثِ، وَاللهُ أَعْلَمُ(١).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ اخْتِصَاصُهُ بِفَرْضِ قِيَامِ اللَّيْلِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾(٢).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ، الْقَوْلُ الَّذِي ذَكَرْنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما(٣)، وَذَلِكَ أَنَّ

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٦/٤٦٠).

(٢) سورة الإسراء الآية (٧٩).

(٣) روى الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/١٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾، يعني بالنافلة أنها للنبي ﷺ خاصَّة، أُمر بقيام الليل وكُتِبَ عليه.

وضعف إسناده الحافظ في الفتح (٣/٣٠٦).

رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ اللهُ تَعَالَى قَدْ خَصَّهُ بِمَا فَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، دُونَ سَائِرِ أُمَّتِهِ، فَأَمَّا مَا ذُكِرَ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي ذَلِكَ[1]، فَقَوْلٌ لَا مَعْنَى لَهُ، لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُ أَكْثَرُ مَا كَانَ اسْتِغْفَارًا لِذُنُوبِهِ بَعْدَ نُزُولِ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[2]، وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[3]، عَامَ قُبِضَ، وَقِيلَ لَهُ فِيهَا: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[4]، فَكَانَ يُعَدُّ لَهُ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ اسْتِغْفَارُ مِئَةِ مَرَّةٍ[5]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللهَ لَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ إِلَّا لِمَا يُغْفَرُ لَهُ بِاسْتِغْفَارِ ذَلِكَ، فَبَيِّنٌ إِذَنْ وَجْهُ فَسَادِ مَا قَالَهُ مُجَاهِدٌ[6].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: اخْتُلِفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾، فَقِيلَ:

---

(١) روى الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (١٣٠/٨) - والبيهقي في دلائل النبوة (٤٨٧/٥) عن مجاهد بن جبر رحمه الله قال: النافلة للنبي ﷺ خاصة من أجل أنه قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما عمل من عمل سوى المكتوبة، فهو نافلة من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب، فهي نوافل وزيادة.
وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٣٠٦/٣).

(٢) سورة الفتح آية (٢).

(٣) سورة النصر آية (١).

(٤) سورة النصر آية (٣).

(٥) روى أبو داود في سننه - رقم الحديث (١٥١٦) بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن كنَّا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة «**ربِّ اغفر لي وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم**».

(٦) انظر تفسير الطبري (١٣٠/٨).

مَعْنَاهُ أَنَّكَ مَخْصُوصٌ بِوُجُوبِ ذَلِكَ وَحْدَكَ، فَجَعَلُوا قِيَامَ اللَّيْلِ وَاجِبًا فِي حَقِّهِ دُونَ الْأُمَّةِ، رَوَاهُ الْعُوفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهُوَ أَحَدُ قَوْلَي الْعُلَمَاءِ، وَأَحَدُ قَوْلَي الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقِيلَ: إِنَّمَا جُعِلَ قِيَامُ اللَّيْلِ فِي حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَافِلَةً عَلَى الْخُصُوصِ، لِأَنَّهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَغَيْرُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِنَّمَا يُكَفِّرُ عَنْهُ صَلَوَاتُهُ النَّوَافِلُ الذُّنُوبَ الَّتِي عَلَيْهِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ[1].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[2].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ: يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ هُوَ الْمُلْتَفُّ بِثِيَابِهِ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: يَأْمُرُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتْرُكَ التَّزَمُّلَ، وَهُوَ: التَّغَطِّي فِي اللَّيْلِ، وَيَنْهَضَ إِلَى الْقِيَامِ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[4]، وَكَذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُمْتَثِلاً مَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١٠٣/٥).

(٢) سورة المزمل الآيات (١ ـ ٤).

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٧٨/١٢).

(٤) سورة السجدة آية (١٦).

قِيَامِ اللَّيْلِ، وَقَدْ كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[1].

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ: اخْتُلِفَ هَلْ كَانَ قِيَامُهُ فَرْضًا وَحَتْمًا، أَوْ كَانَ نَدْبًا وَحَضًّا؟ وَالدَّلَائِلُ تُقَوِّي أَنَّ قِيَامَهُ كَانَ حَتْمًا وَفَرْضًا[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَسْجِدَهُ آخِرُ الْمَسَاجِدِ:

أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنِّي آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ مَسْجِدِي آخِرُ الْمَسَاجِدِ**»[3].

قَالَ الْإِمَامُ السِّنْدِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى سُنَنِ النَّسَائِيِّ: أَيْ آخِرُ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ الْمَشْهُودَةِ لَهَا بِالْفَضْلِ، أَوْ آخِرُ مَسَاجِدِ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ أَنَّهُ يَبْقَى آخِرَ الْمَسَاجِدِ، وَيَتَأَخَّرُ عَنِ الْمَسَاجِدِ الْأُخَرِ فِي الْفَنَاءِ.

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الشَّيْطَانِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[4].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٨/٢٤٩).

(٢) انظر تفسير القرطبي (٢١/٣١٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة ـ رقم الحديث (١٣٩٤) (٥٠٧) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب المساجد ـ رقم الحديث (١٦٢١).

(٤) سورة النجم آية (١ ـ ٤).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ، وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ[1]، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ[2]، فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ[3].

قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ[4].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالْحِكْمَةُ مِنْ شَقِّ صَدْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَغِيرٌ، نَزْعُ الْعَلَقَةِ السَّوْدَاءِ الَّتِي هِيَ حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْ كُلِّ بَشَرٍ، ثُمَّ إِخْرَاجُهَا بَعْدَ خَلْقِهَا كَرَامَةً رَبَّانِيَّةً، فَهُوَ أَدَلُّ عَلَى مَزِيدٍ مِنَ الرِّفْعَةِ وَالْكَرَامَةِ، وَبِنَزْعِهَا مِنْهُ نَشَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْعِصْمَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ[5].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ»**، قَالُوا:

---

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٨٧/٢) لَأَمَهُ: أي جمعه وضم بعضه على بعض.

(٢) الظئر: هي المرضعة غير ولدها. انظر النهاية (١٤٠/٣).
والمقصود بها: حليمة السعدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة.

(٣) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٨٧/٢): منتقع اللون: أي متغير اللون.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الإسراء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (١٦٢) (٢٦١).

(٥) انظر فتح الباري (٦٠٤/٧).

وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ ﷺ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ[(١)]، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»[(٢)].

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ مُجْتَمِعَةٌ عَلَى عِصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ فِي جِسْمِهِ وَخَاطِرِهِ وَلِسَانِهِ[(٣)].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ كُلَّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ[(٤)] مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا نَسَبُهُ وَسَبَبُهُ ﷺ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[(٥)].

---

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٧/١٣٠): «**فأسلم**»: برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قال معناه: أسلم أنا من شره وفتنته، ومن فتح قَالَ: إن القرين أسلم من الإسلام وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير، واختلفوا في الأرجح منهما، فقال الخطابي: الصحيح المختار الرفع، ورجح القاضي عياض الفتح، وهو المختار لقوله ﷺ: «**فلا يأمرني إلا بخير**».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ باب تحريش الشيطان... ـ رقم الحديث (٢٨١٤).

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/١٣٠).

(٤) السبب: الزواج، وأصله من السبب وهو الحبل الذي يُتوصل به إلى الماء، ثم استُعير لكل ما يُتوصل به إلى شيء، كقوله تعالى في سورة البقرة آية (١٦٦): ﴿**وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ**﴾ أي الوُصَل والمودَّات. انظر النهاية (٢/٢٩٧).

(٥) سورة المؤمنون آية (١٠١).

رَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ بِالشَّوَاهِدِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كُلُّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ سَبَبِي وَنَسَبِي»**(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ بِالشَّوَاهِدِ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الْأَنْسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَنْقَطِعُ غَيْرَ نَسَبِي وَسَبَبِي وَصِهْرِي»**(٢).

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجُوبُ مَحَبَّتِهِ أَكْثَرَ مِنَ النَّفْسِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾(٣).

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ: وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ حُبِّ اللهِ وَرَسُولِهِ،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ـ كتاب معرفة الصحابة ـ باب نكاح عمر بأم كلثوم وسببه ـ رقم الحديث (٤٧٣٨) ـ وأورد طرقه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة ـ رقم الحديث (٢٠٣٦) ـ وختم قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: وجملة القول، أن الحديث بمجموع هذه الطرق صحيح، والله أعلم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٨٩٠٧).

(٣) سورة التوبة آية (٢٤).

وَلَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْأُمَّةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مُقَدَّمٌ عَلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ[(١)].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**»[(٢)].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[(٣)].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ـ وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ ـ عَنْ زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ**»، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فَلَأَنْتَ الْآنَ وَاللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**»[(٤)].

---

(١) انظر تفسير القرطبي (١٠/١٤١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب حب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإيمان ـ رقم الحديث (١٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب حُب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإيمان ـ رقم الحديث (١٥).

(٤) قال السندي في شرح المسند (١٠/٤٧٠): قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الآن يا عمر**»: أي: كمل=

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: اللَّامُ فِيهِ لِلْعَهْدِ، وَالْمُرَادُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: «حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ»، وَإِنْ كَانَتْ مَحَبَّةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ مِنَ الْإِيمَانِ، لَكِنَّ الْأَحَبِّيَّةَ مُخْتَصَّةٌ بِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ جَمِيعَ أَسْمَائِهِ تَدُلُّ عَلَى صِفَاتِهِ:

مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللهُ بِهَا، وَاخْتَصَّهُ بِهَا عَمَّنْ سِوَاهُ، تِلْكَ الْأَسْمَاءُ الْعَدِيدَةُ، وَالصِّفَاتُ الْحَمِيدَةُ، ذَاتُ الْمَعَانِي الْفَرِيدَةِ، فَكَانَتْ أَسْمَاؤُهُ ﷺ دَالَّةً كُلَّ الدَّلَالَةِ عَلَى مَعَانِيهَا، وَمُتَجَسِّدَةً حَقِيقَةً فِي سُلُوكِهِ، وَشُؤُونِهِ.

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ**[2]**، وَأَنَا أَحْمَدُ**[3]**، وَأَنَا الْمَاحِي**

= الإيمان، والظاهر أن المراد: الحب غير الاختياري، إذ الاختياري كان حاصلاً لعمر قبل أيضاً بلا شك، والله أعلم.

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأيمان والنذور ـ باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ـ رقم الحديث (٦٦٣٢) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٨٠٤٧).

(١) انظر فتح الباري (١/٨٤).

(٢) قال ابن القيم في زاد المعاد (١/٨٧): أما محمد، فهو اسم مفعول، من حَمِدَ، فهو محمد، إذا كان كثير الخصال التي يُحمد عليها، ولذلك كان أبلغ من محمود، فإن محمودًا من الثلاثي المجرَّد، ومحمد من المضاعف للمبالغة، فهو يُحمد أكثر مما يُحمد غيره من البشر، ولهذا ـ والله أعلم ـ سُمِّي به في التوراة، لكثرة الخصال المحمودة التي وُصِفَ بها هو ودينه وأمته في التوراة.

(٣) قال ابن القيم في زاد المعاد (١/٩٠): وأما أحمد فهو أحمد الناس لربه، وعلى قول هؤلاء: أحق الناس وأولاهم بأن يُحمد، فيكون كمحمد في المعنى، إلا أن الفرق بينهما=

الذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي[1]**، وَأَنَا الْعَاقِبُ»**[2].

قَالَ الْإِمَامُ السِّنْدِيُّ: وَكَثْرَةُ الْأَسْمَاءِ تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ الْمُسَمَّى، فَلِذَا يُقَالُ عِنْدَ التَّحْقِيرِ: هَذَا شَيْءٌ لَا يُعْرَفُ لَهُ اسْمٌ وَنَحْوُهُ، وَقَدْ جَاءَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ أَسْمَاءٌ أُخَرُ، فَلَعَلَّهُ خَصَّ هَذِهِ لِشُهْرَتِهَا[3].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنَّ لِي خَمْسَةَ أَسْمَاءٍ أَخْتَصُّ بِهَا لَمْ يُسَمَّ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي، أَوْ مُعَظَّمَةٌ أَوْ مَشْهُورَةٌ فِي الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، لَا أَنَّهُ أَرَادَ الْحَصْرَ فِيهَا[4].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: **«أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ،**

= أن «محمدًا» هو كثير الخصال التي يُحمد عليها، وأحمد هو الذي يُحمد أفضل مما يُحمد غيره، فمحمد في الكثرة، وأحمد في الصفة والكيفية، فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره، وأفضل مما يستحق غيره، فيُحمد أكثر حمد، وأفضل حمد حمده البشر.

(١) قال الإمام البغوي في شرح السنة (١٣/٢١٢): أي يُحشر أول الناس.

(٢) العاقب: فسَّره الإمام الزهري في رواية الإمام مسلم في صحيحه (١٥/٨٦) بقوله: الذي ليس بعده نبي.
والحديث أخرجه البخاري ـ كتاب المناقب ـ باب ما جاء في أسماء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... ـ رقم الحديث (٣٥٣٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب في أسمائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٢٣٥٤) (١٢٥).

(٣) انظر شرح السندي للمسند (٩/٤٩٠).

(٤) انظر فتح الباري (٧/٢٤٧).

وَالْمُقَفِّي[(١)]، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ[(٢)]، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»[(٣)].

* **أَسْمَاؤُهُ ﷺ نَوْعَانِ:**

أَحَدُهُمَا: خَاصٌّ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الرُّسُلِ، كَمُحَمَّدٍ، وَأَحْمَدَ، وَالْعَاقِبِ، وَالْحَاشِرِ، وَالْمُقَفِّي.

وَالثَّانِي: مَا يُشَارِكُهُ فِي مَعْنَاهُ غَيْرُهُ مِنَ الرُّسُلِ، وَلَكِنَّهُ لَهُ مِنْهُ كَمَالُهُ، فَهُوَ مُخْتَصٌّ بِكَمَالِهِ دُونَ أَصْلِهِ، كَرَسُولِ اللهِ، وَنَبِيِّهِ، وَعَبْدِهِ، وَالشَّاهِدِ، وَالمُبَشِّرُ، وَالنَّذِيرُ[(٤)].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ مَنْ رَآهُ فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآهُ حَقًّا:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي...**»[(٥)].

---

(١) المقفي: هو المولي الذاهب، يعني أنه آخر الأنبياء المتبع لهم، فإذا قَفَّى فلا نبي بعده ﷺ. انظر: النهاية (٤/٨٢).

(٢) قال ابن القيم في زاد المعاد (١/٩٢): فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض.

(٣) قال ابن القيم في زاد المعاد (١/٩٣): فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم، أما المؤمنون، فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة، وأما الكفار، فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظلّه وتحت حبله وعهده.
والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب في أسمائه ﷺ ـ رقم الحديث (٢٣٥٥).

(٤) انظر: زاد المعاد (١/٨٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التعبير ـ باب من رأى النبي ﷺ في المنام ـ=

قُلْتُ: وَهَذِهِ الرُّؤْيَا لِلرَّسُولِ ﷺ فِي الْمَنَامِ مَشْرُوطَةٌ بِأَنْ يَرَاهُ الرَّائِي عَلَى صِفَتِهِ الْخَلْقِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ.

قَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: إِذَا رَآهُ فِي صُورَتِهِ[1].

هَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مُعَلَّقًا، وَقَدْ وَصَلَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ، فَقَالَ:

وَقَدْ رَوَيْنَاهُ مَوْصُولاً مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ وَهُوَ مِنْ شُيُوخِ الْبُخَارِيِّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: كَانَ مُحَمَّدٌ - يَعْنِي ابْنَ سِيرِينَ - إِذَا قَصَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: صِفْ لِيَ الَّذِي رَأَيْتَهُ، فَإِنْ وَصَفَ لَهُ صِفَةً لَا يَعْرِفُهَا قَالَ: لَمْ تَرَهُ. وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ[2].

وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ، قَالَ: صِفْهُ لِي، قَالَ: ذَكَرْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ[3] فَشَبَّهْتُهُ بِهِ، قَالَ: قَدْ رَأَيْتَهُ[4].

= رقم الحديث (٦٩٩٤) - وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه - كتاب الرؤيا - باب قول النبي ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني**» - رقم الحديث (٢٢٦٦) - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) علّقه البخاري في صحيحه - كتاب التعبير - باب من رأى النبي ﷺ في المنام.

(٢) انظر فتح الباري (٤١١/١٤).

(٣) الحسن بن علي بن أبي طالب، من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكان أشبه الناس بجده رسول الله ﷺ.

رَوَى الْإِمَامُ البخاري في صحيحه - رقم الحديث (٣٧٥٢) عن أنس رضي الله عنه قَالَ: لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك - كتاب تعبير الرؤيا - باب: قال النبي ﷺ: «**من رآني**=

* **فَائِدَةٌ هَامَّةٌ:**

قُلْتُ: نَقَلَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ عَنْ جَمَاعَةٍ أَنَّهُمْ رَأَوْا النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ ثُمَّ رَأَوْهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْيَقَظَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ.

وَتَعَقَّبَ الْحَافِظُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْيَقَظَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ، بِقَوْلِهِ: وَهَذا مُشْكِلٌ جِدًّا وَلَوْ حُمِلَ عَلَى ظَاهِرِهِ لَكَانَ هَؤُلَاءِ صَحَابَةٌ، وَلَأَمْكَنَ بَقَاءُ الصُّحْبَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُعَكِّرُ عَلَيْهِ أَنَّ جَمْعًا جَمًّا رَأَوْهُ فِي الْمَنَامِ ثُمَّ لَمْ يَذْكُرْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنَّهُ رَآهُ فِي الْيَقَظَةِ، وَخَبَرُ الصَّادِقِ لَا يَتَخَلَّفُ[1].

* **فَائِدَةٌ أُخْرَى:**

يُؤْخَذُ مِنْ أَحَادِيثِ رُؤْيَا الرَّسُولِ ﷺ فِي الْمَنَامِ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ النَّائِمَ لَوْ رَأَى الرَّسُولَ ﷺ يَأْمُرُهُ بِشَيْءٍ هَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ امْتِثَالُهُ وَلَابُدَّ، أَوْ لَابُدَّ أَنْ يَعْرِضَهُ عَلَى الشَّرْعِ الظَّاهِرِ؟

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: الثَّانِي هُوَ الْمُعْتَمَدُ[2].

= في المنام فقد رآني» ـ رقم الحديث (٨٢٤٧) ـ وأورده الحافظ في الفتح (٤١١/١٤) وجود إسناده.

(١) انظر فتح الباري (٤١٣/١٤).

(٢) انظر فتح الباري (٤١٨/١٤).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ مُضَاعَفَةُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ لِزَوْجَاتِهِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ۝٣٠ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾[1].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: يَقُولُ تَعَالَى وَاعِظًا نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ اللَّاتِي اخْتَرْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُنَّ تَحْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يُخْبِرَهُنَّ بِحُكْمِهِنَّ وَتَخْصِيصِهِنَّ دُونَ سَائِرِ النِّسَاءِ، بِأَنَّ مَنْ يَأْتِ مِنْهُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ـ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هِيَ النُّشُوزُ وَسُوءُ الْخُلُقِ ـ وَعَلى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَهُوَ شَرْطٌ، وَالشَّرْطُ لَا يَقْتَضِي الْوُقُوعَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[2]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[3]، فَلَمَّا كَانَتْ مَحَلَّتُهُنَّ رَفِيعَةً، نَاسَبَ أَنْ يَجْعَلَ الذَّنْبَ لَوْ وَقَعَ مِنْهُنَّ مُغَلَّظًا، صِيَانَةً لِجَنَابِهِنَّ وَحِجَابِهِنَّ الرَّفِيعِ، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾.

قَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَيْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

---

(١) سورة الأحزاب آية (٣٠ ـ ٣١).

(٢) سورة الزمر آية (٦٥).

(٣) سورة الأنعام آية (٨٨).

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ أَيْ: سَهْلاً هَيِّنًا.

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَدْلَهُ وَفَضْلَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أَيْ: يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْتَجِبْ ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ أَيْ: فِي الْجَنَّةِ، فَإِنَّهُنَّ فِي مَنَازِلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، فَوْقَ مَنَازِلِ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، فِي الْوَسِيلَةِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ مَنَازِلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْعَرْشِ[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ زَوَاجُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ فِي شَرِيعَتِهِ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَطُوفُ[2] عَلَى نِسَائِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعُ نِسْوَةٍ[3].

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: وَقَدْ دَلَّتْ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمُبَيِّنَةِ عَنِ اللهِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَجْمَعَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ[4].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا ـ أَيْ: زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ بِأَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ ـ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مِنْ خَصَائِصِ رَسُولِ اللهِ ﷺ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأُمَّةِ[5].

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَقَدِ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٦/٤٠٨).

(٢) قال الحافظ في الفتح (١/٥٠٢): قوله: يطوف وفي رواية أخرى: يدور: كناية عن الجماع.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الغسل ـ باب الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره ـ رقم الحديث (٢٨٤).

(٤) نقله عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/٢٠٩).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢٠٩).

الزِّيَادَةُ عَلَى أَرْبَعِ نِسْوَةٍ يَجْمَعُ بَيْنَهُنَّ[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ لِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هَلْ تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَتَزَوَّجْ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ[2] أَكْثَرُهَا نِسَاءً[3].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ مُرَادَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِالْخَيْرِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِالْأُمَّةِ أَخِصَّاءَ أَصْحَابِهِ، وَكَأَنَّهُ أَشَارَ إِلَى أَنَّ تَرْكَ التَّزْوِيجِ مَرْجُوحٌ، إِذْ لَوْ كَانَ رَاجِحًا مَا آثَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَهُ، وَكَانَ مَعَ كَوْنِهِ أَخْشَى النَّاسِ للهِ وَأَعْلَمَهُمْ بِهِ يُكْثِرُ التَّزْوِيجَ لِمَصْلَحَةِ تَبْلِيغِ الْأَحْكَامِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الرِّجَالُ، وَلِإِظْهَارِ الْمُعْجِزَةِ الْبَالِغَةِ فِي خَرْقِ الْعَادَةِ لِكَوْنِهِ كَانَ لَا يَجِدُ مَا يَشْبَعُ بِهِ مِنَ الْقُوتِ غَالِبًا، وَإِنْ وَجَدَ كَانَ يُؤْثِرُ بِأَكْثَرِهِ، وَيَصُومُ كَثِيرًا وَيُوَاصِلُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَكَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ، وَلَا يُطَاقُ ذَلِكَ إِلَّا مَعَ قُوَّةِ الْبَدَنِ، وَقُوَّةُ الْبَدَنِ تَابِعَةٌ لِمَا يَقُومُ بِهِ مِنِ اسْتِعْمَالِ الْمُقَوِّيَاتِ مِنْ مَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ، وَهِيَ عِنْدَهُ نَادِرَةٌ أَوْ مَعْدُومَةٌ[4].

*** الْحِكْمَةُ فِي زَوَاجِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ:**

أَحَدُهَا: أَنْ يَكْثُرَ مَنْ يُشَاهِدُ أَحْوَالَهُ الْبَاطِنَةَ فَيَنْتَفِي عَنْهُ مَا يَظُنُّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ

---

(١) انظر: فتح الباري (١٠/١٤٣).

(٢) قال الحافظ في الفتح (١٠/١٤٣): قَيّد بهذه الأمة ليخرج مثل سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإنه كان أكثر نساءً، وكذلك أبوه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب النكاح ـ باب كثرة النساء ـ رقم الحديث (٥٠٦٩).

(٤) انظر فتح الباري (١٠/١٤٣).

مِنْ أَنَّهُ سَاحِرٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ.

ثَانِيًا: لِتَتَشَرَّفَ بِهِ قَبَائِلُ الْعَرَبِ بِمُصَاهَرَتِهِ فِيهِمْ.

ثَالِثُهَا: لِلزِّيَادَةِ فِي تَأَلُّفِهِمْ لِذَلِكَ.

رَابِعُهَا: لِلزِّيَادَةِ فِي التَّكْلِيفِ حَيْثُ كُلِّفَ أَنْ لَا يَشْغَلَهُ مَا حُبِّبَ إِلَيْهِ مِنْهُنَّ عَنْ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّبْلِيغِ.

خَامِسُهَا: لِتَكْثُرَ عَشِيرَتُهُ مِن جِهَةِ نِسَائِهِ فَتُزَادُ أَعْوَانُهُ عَلَى مَنْ يُحَارِبُهُ.

سَادِسُهَا: نَقْلُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الرِّجَالُ.

سَابِعُهَا: الإِطْلَاعُ عَلَى مَحَاسِنِ أَخْلَاقِهِ الْبَاطِنَةِ، فَإِنَّهُ مُكَمَّلُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ تَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبُوهَا إِذَا ذَاكَ يُعَادِيهِ، وَصَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قَتَلَ أَبَاهَا وَعَمَّهَا وَزَوْجَهَا، فَلَوْ لَمْ يَطَّلِعْنَ مِنْ بَاطِنِ أَحْوَالِهِ عَلَى أَنَّهُ أَكْمَلُ الْخَلْقِ لَكَانَتِ الطِّبَاعُ الْبَشَرِيَّةُ تَقْتَضِي مَيْلَهُنَّ إِلَى آبَائِهِنَّ وَقَرَابَتِهِنَّ.

ثَامِنُهَا: خَرْقِ الْعَادَةِ لَهُ فِي كَثْرَةِ الْجِمَاعِ مَعَ التَّقَلُّلِ مِنَ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَكَثْرَةِ الصِّيَامِ وَالْوِصَالِ، وَقَدْ أَمَرَ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مُؤَنِ النِّكَاحِ بِالصَّوْمِ[1]، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ كَثْرَتَهُ تَكسِرُ شَهْوَتَهُ، فَانْخَرَقَتْ هَذِهِ الْعَادَةُ فِي

(١) روى البخاري في صحيحه ـ رقم الحديث (١٩٠٥) (٥٠٦٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ رقم الحديث (١٤٠٠) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:=

حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ وَعَدَهُ بِالْعِصْمَةِ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ بِعْثَتِهِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: أَيْ بَلِّغْ أَنْتَ رَسَالَتِي، وَأَنَا حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ وَمُؤَيِّدُكَ عَلَى أَعْدَائِكَ وَمُظَفِّرُكَ بِهِمْ، فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ، فَلَنْ يَصِلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَيْكَ بِسُوءٍ يُؤْذِيكَ[3].

وَكَانَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ يُحْرَسُ، فَقَدْ رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَهِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ لَيْلَةً، فَقَالَ: «**لَيْتَ رَجُلاً صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ**»،

= «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجَاء».

الباءة: الزواج. انظر النهاية (١/١٥٧).

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٩/١٤٨): وِجاء: بكسر الواو، والمراد: أن الصوم يقطع الشهوة.

(١) انظر فتح الباري (١٠/١٤٣ ـ ١٤٤).

(٢) سورة المائدة آية (٦٧).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣/١٥١).

قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ[1] سِلَاحٍ، فَقَالَ ﷺ «**مَنْ هَذَا؟**».

قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا جَاءَ بِكَ؟**».

قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ نَامَ[2].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ قَبْلَ نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾، لِأَنَّهُ ﷺ تَرَكَ الِاحْتِرَاسَ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالِانْصِرَافِ عَنْ حِرَاسَتِهِ[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا، فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ**»[4].

---

(١) الخشخشة: حركة لها صوت كصوت السلاح. انظر النهاية (٢/٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ـ رقم الحديث (٢٨٨٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب في فضل سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ رقم الحديث (٢٤١٠) (٤٠).

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/١٤٨).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب التفسير ـ باب ومن سورة المائدة ـ رقم الحديث (٣٢٩٥) ـ وأورده الحافظ في الفتح (٦/١٧٦) وحسن إسناده.

* وَكَانَ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْهُمْ مَنْ هُدِّدَ بِالْقَتْلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾(٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾(٣).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٤).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة آية (٩١).
(٢) سورة آل عمران آية (١٨١).
(٣) سورة آل عمران آية (١١٢).
(٤) سورة النساء آية (١٥٥).
(٥) سورة العنكبوت آية (٢٤).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ الْكَذِبَ عَلَيْهِ لَيْسَ مِثْلَ الْكَذِبِ عَلَى غَيْرِهِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَعْظِيمُ تَحْرِيمِ الْكَذِبِ عَلَيْهِ ﷺ، وَأَنَّهُ فَاحِشَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمُوبِقَةٌ كَبِيرَةٌ، وَلَكِنْ لَا يُكَفَّرُ بِهَذَا الْكَذِبِ إِلَّا أَنْ يَسْتَحِلَّهُ، هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ الْعُلَمَاءِ(٢).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ صَحَابِيًّا بِأَسَانِيدَ صِحَاحٍ وَحِسَانٍ، خَلَا الضَّعِيفَةَ وَالسَّاقِطَةَ، وَقَدِ اعْتَنَى جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُفَّاظِ بِجَمْعِ طُرُقِهِ، فَأَوَّلُ مَنْ وَقَفْتُ عَلَى كَلَامِهِ فِي ذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِي... وَقَدْ جَمَعَ طُرُقَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِ «الْمَوْضُوعَاتِ» فَجَاوَزَ التِّسْعِينَ... وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ: يَرْوِيهِ نَحْوُ مِئَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ... وَنَقَلَ النَّوَوِيُّ أَنَّهُ جَاءَ عَنْ مِائَتَيْنِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلِأَجْلِ كَثْرَةِ طُرُقِهِ أَطْلَقَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ أَنَّهُ مُتَوَاتِرٌ، وَنَازَعَ بَعْضُ مَشَايِخِنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ: لِأَنَّ شَرْطَ التَّوَاتُرِ اسْتِوَاءُ طَرَفَيْهِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي الْكَثْرَةِ، وَلَيْسَتْ مَوْجُودَةً فِي كُلِّ طَرِيقٍ مِنْهَا بِمُفْرَدِهَا، وَأُجِيبَ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِإِطْلَاقِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب العلم ـ باب إثم من كذب على النبي ﷺ ـ رقم الحديث (١١٠) ـ ومسلم في صحيحه ـ في المقدمة ـ رقم الحديث (٣).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١/٦٦).

كَوْنِهِ مُتَوَاتِرًا رِوَايَةُ الْمَجْمُوعِ عَنِ الْمَجْمُوعِ مِنِ ابْتِدَائِهِ إِلَى انْتِهَائِهِ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَهَذَا كَافٍ فِي إِفَادَةِ الْعِلْمِ(١).

فَإِنْ قِيلَ: الْكَذِبُ مَعْصِيَةٌ إِلَّا مَا اسْتُثْنِيَ فِي الْإِصْلَاحِ وَغَيْرِهِ، وَالْمَعَاصِي قَدْ تُوُعِّدَ عَلَيْهَا بِالنَّارِ، فَمَا الَّذِي امْتَازَ بِهِ الْكَاذِبُ عَلَى رَسُولِ ﷺ مِنَ الْوَعِيدِ عَلَى مَنْ كَذَبَ عَلَى غَيْرِهِ؟

فَالْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وَجْهَيْنِ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْكَذِبَ عَلَيْهِ يَكْفُرُ مُتَعَمِّدُهُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَهُوَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيُّ، لَكِنْ ضَعَّفَهُ ابْنُهُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ، وَمَنْ بَعْدَهُ، وَمَالَ ابْنُ الْمُنَيِّرِ إِلَى اخْتِيَارِهِ، وَوَجَّهَهُ بِأَنَّ الْكَذِبَ عَلَيْهِ فِي تَحْلِيلِ حَرَامٍ مَثَلاً لَا يَنْفَكُّ عَنِ اسْتِحْلَالِ ذَلِكَ الْحَرَامِ أَوِ الْحَمْلِ عَلَى اسْتِحْلَالِهِ، وَاسْتِحْلَالُ الْحَرَامِ كُفْرٌ، وَالْحَمْلُ عَلَى الْكُفْرِ كُفْرٌ، وَفِيمَا قَالَهُ نَظَرٌ لَا يَخْفَى، وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ إِلَّا إِذَا اعْتَقَدَ حِلَّ ذَلِكَ.

الثَّانِي: أَنَّ الْكَذِبَ عَلَيْهِ كَبِيرَةٌ، وَالْكَذِبَ عَلَى غَيْرِهِ صَغِيرَةٌ، فَافْتَرَقَا، وَلَا يَلْزَمُ مِنِ اسْتِوَاءِ الْوَعِيدِ فِي حَقِّ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ أَوْ كَذَبَ عَلَى غَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ مَقَرُّهُمَا وَاحِدًا، أَوْ طُولَ إِقَامَتِهِمَا سَوَاءٌ، فَقَدْ دَلَّ قَوْلُهُ ﷺ: «**فَلْيَتَبَوَّأْ**» عَلَى طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهَا، بَلْ ظَاهِرُهُ أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا لِأَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مَنْزِلاً غَيْرَهُ، إِلَّا

---

(١) انظر فتح الباري (١/٢٧٤ ـ ٢٧٥).

أَنَّ الْأَدِلَّةَ الْقَطْعِيَّةَ قَامَتْ عَلَى أَنَّ خُلُودَ التَّأْبِيدِ مُخْتَصٌّ بِالْكَافِرِينَ[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَعْظَمُ الْفِرَى[2] مَنْ يُقَوِّلُنِي مَا لَمْ أَقُلْ**»[3].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْرِيمُ رَفْعِ الصَّوْتِ فَوْقَ صَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾[4].

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: مَعْنَى الْآيَةِ الْأَمْرُ بِتَعْظِيمِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَوْقِيرِهِ، وَخَفْضِ الصَّوْتِ بِحَضْرَتِهِ، وَعِنْدَ مُخَاطَبَتِهِ، أَيْ: إِذَا نَطَقَ وَنَطَقْتُمْ فَعَلَيْكُمْ أَلَّا تَبْلُغُوا بِأَصْوَاتِكُمْ وَرَاءَ الْحَدِّ الَّذِي يَبْلُغُهُ بِصَوْتِهِ، وَأَنْ تَغُضُّوا مِنْهَا بِحَيْثُ يَكُونُ كَلَامُهُ عَالِيًا لِكَلَامِكُمْ، وَجَهْرُهُ بَاهِرًا لِجَهْرِكُمْ، حَتَّى تَكُونَ مَزِيَّتُهُ عَلَيْكُمْ لَائِحَةً، وَسَابِقَتُهُ وَاضِحَةً[5].

---

(١) انظر فتح الباري (١/٢٧٤).

(٢) الفِرى: بكسر الفاء جمع فِرْية وهي الكذبة. انظر النهاية (٣/٣٩٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٦٩٨٠) (١٦٩٨٣).

(٤) سورة الحجرات آية (٢ ـ ٤).

(٥) انظر تفسير القرطبي (١٩/٣٦١).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي التَّلْخِيصِ الْحَبِيرِ: وَجْهُ الدَّلَالَةِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّهُ تَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ بِإِحْبَاطِ الْعَمَلِ، فَدَلَّ عَلَى التَّحْرِيمِ، بَلْ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَغْلَظِ التَّحْرِيمِ[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] إِذَا حَدَّثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ[3] لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ[4].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ، فَحَصَبَنِي[5] رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمَا ـ أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟.

قَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا[6]، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[7].

---

(١) التلخيص الحبير (٥/٢٢٢٩).

(٢) بعد نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾.

(٣) قال الحافظ في الفتح (١٥/٢١٠): السِّرار: بكسر السين وتخفيف الراء، أي الكلام السر، ومنه المساررة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب ما يُكره من التعمق ـ رقم الحديث (٧٣٠٢).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٢/١٣٧): أي رماني بالحصباء.
والحصباء: هُوَ الحصى الصغار. انظر النهاية (١/٣٧٨).

(٦) قال الحافظ في الفتح (٢/١٣٧): زاد الإسماعيلي: «**جلداً**».

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب رفع الصوت في المساجد ـ رقم الحديث (٤٧٠).

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَاعْلَمْ أَنَّ حُرْمَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَتَوْقِيرَهُ وَتَعْظِيمَهُ، لَازِمٌ كَمَا كَانَ حَالَ حَيَاتِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذِكْرِ حَدِيثِهِ وَسُنَّتِهِ، وَسَمَاعِ اسْمِهِ وَسِيرَتِهِ[(١)].

* **فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ:**

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: يُكْرَهُ رَفْعُ الصَّوْتِ عِنْدَ قَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا كَانَ يُكْرَهُ فِي حَيَاتِهِ، لِأَنَّهُ مُحْتَرَمٌ حَيًّا وَفِي قَبْرِهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، دَائِمًا، ثُمَّ نَهَى عَنِ الْجَهْرِ لَهُ بِالْقَوْلِ كَمَا يَجْهَرُ الرَّجُلُ لِمُخَاطَبِهِ مِمَّنْ عَدَاهُ، بَلْ يُخَاطَبُ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَتَعْظِيمٍ[(٢)].

وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَنْ حَلَفَ عِنْدَ مِنْبَرِهِ كَاذِباً دَخَلَ النَّارَ:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ قَوِيٍّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَلَفَ بِيَمِينٍ آثِمَةٍ عِنْدَ مِنْبَرِي هَذَا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ عَلَى سِوَاكٍ أَخْضَرَ**»[(٣)].

وَرَوَى ابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَحْلِفُ عِنْدَ هَذَا الْمِنْبَرِ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ، عَلَى يَمِينٍ آثِمَةٍ،**

---

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٤٤).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٧/٣٦٨).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الإيمان والنذور ـ باب في تعظيم اليمين على منبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٣٢٤٦) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الأحكام ـ باب اليمين عند مقاطع الحدود ـ رقم الحديث (٢٣٢٥).

وَلَوْ عَلَى سِوَاكٍ رَطْبٍ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ»[1].

وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى بِسَنَدٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ حَلَفَ عِنْدَ مِنْبَرِي هَذَا بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، يَسْتَحِلُّ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ عَدْلاً**[2] **وَلَا صَرْفًا»**[3].

وَرَوَى الْكَرَابِيسِيُّ فِي أَدَبِ الْقَضَاءِ بِسَنَدٍ قَوِيٍّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: ادَّعَى مُدَّعٍ عَلَى آخَرَ أَنَّهُ اغْتَصَبَ لَهُ بَعِيرًا، فَخَاصَمَهُ إِلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَمَرَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَحْلِفَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، فَأَبَى أَنْ يَحْلِفَ، وَقَالَ: أَحْلِفُ لَهُ حَيْثُ شَاءَ غَيْرَ الْمِنْبَرِ، فَأَبَى عَلَيْهِ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ لَا يَحْلِفَ إِلَّا عِنْدَ الْمِنْبَرِ، فَغَرِمَ لَهُ بَعِيرًا مِثْلَ بَعِيرِهِ وَلَمْ يَحْلِفْ[4].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طِيبُ عَرَقِهِ وَرِيحِهِ وَلِينُ مَلْمَسِهِ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ[5] عِنْدَنَا، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ـ كتاب الأحكام ـ باب اليمين عند مقاطع الحدود ـ رقم الحديث (٢٣٢٦).

(٢) العَدْل: الفدية. انظر النهاية (١٧٣/٣).

(٣) الصَّرْف: التوبة. انظر النهاية (١٧٣/٣) ـ والحديث أخرجه النسائي في السنن الكبرى ـ كتاب القضاء ـ باب اليمين على منبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٥٩٧٤).

(٤) أورده الحافظ في الفتح (٦٢٠/٥) وقوى إسناده.

(٥) قال الإمام النووي في شرح مسلم (٧٠/١٥): فقَالَ: أي نام القيلولة.

تَسْلُتُ[1] الْعَرَق فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟**».

قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ[2].

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَابْنِ حِبَّانَ ـ وَاللَّفْظُ لِابْنِ حِبَّانَ ـ: قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْتِي أُمَّ سُلَيْمٍ فَيَقِيلُ عِنْدَهَا عَلَى نِطْعٍ[3]، وَكَانَ كَثِيرَ الْعَرَقِ، فَتَتَبَّعُ الْعَرَقَ مِنَ النِّطْعِ، فَتَجْعَلُهُ فِي قَوَارِيرَ مَعَ الطِّيبِ[4].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى[5]، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَأَمَّا أَنَا فَمَسح خَدِّي، فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهُ مِنْ جُؤْنَةِ[6] عَطَّارٍ[7].

---

(١) قال الإمام النووي في شرح مسلم (٧٠/١٥): تسلت: أي تمسح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب طيب عرق النبي ﷺ ـ رقم الحديث (٢٣٣١) (٨٣).

(٣) النِطع: بكسر النون هُوَ الجلد. انظر لسان العرب (١٨٦/١٤).

(٤) أخرجه البخاري ـ كتاب الاستئذان ـ باب من زار قوماً فقال عندهم ـ رقم الحديث (٦٢٨١) ـ وابن حبان في صحيحه ـ رقم الحديث (٦٣٠٥).

(٥) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٦٩/١٥): الصلاة الأولى هي صلاة الظهر.

(٦) الجُؤنة: بضم الجيم هي سُليلة مستديرة مغشّاة أَدَمًا ـ أي جلدًا ـ تكون مع العطارين. انظر لسان العرب (٤٢٨/٢).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب طيب رائحة النبي ﷺ ـ رقم الحديث (٢٣٢٩).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: كَانَتْ هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ صِفَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ لَمْ يَمَسَّ طِيبًا، وَمَعَ هَذَا فَكَانَ يَسْتَعْمِلُ الطِّيبَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ مُبَالَغَةً فِي طِيبِ رِيحِهِ لِمُلَاقَاةِ الْمَلَائِكَةِ، وَأَخْذِ الْوَحْيِ الْكَرِيمِ وَمُجَالَسَةِ الْمُسْلِمِينَ(١).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى أَكْمَلِ الصِّفَاتِ خُلُقًا وَخَلْقًا فَهُوَ كُلُّ الْكَمَالِ وَجُلُّ الْجَلَالِ وَجُمْلَةُ الْجَمَالِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ(٢).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا ـ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا مَسَسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ(٣) النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ وَلَا عَرْفًا(٤) قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرْفِ

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٦٩).

(٢) انظر فتح الباري (٤/٧٣٦).

(٣) قلت: قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ألين من كف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» يعارضه ما وقع في صحيح البخاري ـ رقم الحديث (٥٩١٠) ـ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شثن القدمين والكفين ـ وكذلك وقع في جامع الترمذي بسند حسن ـ رقم الحديث (٣٩٦٥) ـ عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ في صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أنه قَالَ: «شثن الكفين والقدمين».
قال الحافظ في الفتح (٧/٢٧٣): أي غليظهما في خشونة.
والجمع بينهما كما قال الحافظ في الفتح (٧/٢٧٣): أن المراد اللين في الجلد والغلظ في العظام، فيجتمع له نعومة البدن وقوته، أو حيث وُصِف باللين واللطافة حيث لا يعمل بهما شيئاً كان بالنسبة إلى أصل الخلقة، وحيث وصف بالغلظ والخشونة فهو بالنسبة إلى امتهانهما بالعمل، فإنه يتعاطى كثيراً من أموره بنفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٤) العَرْف: بفتح العين وسكون الراء هو الريح طيبة كانت أو خبيثة. انظر لسان العرب (٩/١٥٦).=

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

وروَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا ـ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا شَمِمْتُ عَنْبَرًا[2] قَطُّ وَلَا مِسْكًا وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَلْوِ مَاءٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ مَجَّ فِي الدَّلْوِ، ثُمَّ صَبَّ فِي الْبِئْرِ أَوْ شَرِبَ مِنَ الدَّلْوِ، ثُمَّ مَجَّ فِي الْبِئْرِ، فَفَاحَ مِنْهَا مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ[4].

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُصَلِّي إِجَابَتُهُ إِذَا دَعَاهُ فِي الْفَرِيضَةِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[5].

= ومثله قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسند حسن ـ رقم الحديث (٨٤٥٧) ـ: «**من تعلَّم علمًا مما يُبتغى به وجه الله، لا يتعلَّمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة**».

(١) رواه البخاري في صحيحه ـ كتب المناقب ـ باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٣٥٦١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب طيب رائحة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... ـ رقم الحديث (٢٣٣٠) (٨١).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/٢٧٣): العنبر: هُوَ طيب معمول من أخلاط يجمعها الزعفران.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصيام ـ باب ما يُذكر من صوم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإفطاره ـ رقم الحديث (١٩٧٣) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب طيب رائحة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... ـ رقم الحديث (٢٣٣٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٨٨٣٨).

(٥) سورة الأنفال آية (٢٤).

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾**»، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟**».

فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ قُلْتَ: لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أُبَيُّ**» وَهُوَ يُصَلِّي، فَالْتَفَتَ أُبَيٌّ فَلَمْ يُجِبْهُ، وَصَلَّى أُبَيٌّ فَخَفَّفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكَ السَّلَامُ، مَا مَنَعَكَ يَا أُبَيُّ أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنِ ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾**»، قَالَ: بَلَى، وَلَا أَعُودُ إِنْ شَاءَ اللهُ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب فاتحة الكتاب ـ رقم الحديث (٥٠٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ـ رقم الحديث (٣٠٩٢).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ مَنْ سَبَّهُ كَفَرَ وَيُقْتَلُ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[2].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى مُهَدِّدًا وَمُتَوَعِّدًا مَنْ آذَاهُ، بِمُخَالَفَةِ أَوَامِرِهِ، وَارْتِكَابِ زَوَاجِرِهِ وَإِصْرَارِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَأَذَى رَسُولِهِ ﷺ بِعَيْبٍ أَوْ تَنَقُّصٍ، عِيَاذًا بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ.... وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ آذَاهُ بِشَيْءٍ، وَمَنْ آذَاهُ فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ[3].

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ قَوِيٍّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ فَيَنْهَاهَا، فَلَا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ ﷺ وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ[4] فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ،

---

(١) سورة التوبة آية (٦١).

(٢) سورة الأحزاب آية (٥٧).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٦/٤٨٠).

(٤) المعول: بكسر الميم: شبه سيف قصير. انظر النهاية (٣/٣٥٦).

فَلَطَخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَمَعَ النَّاسَ، فَقَالَ: «**أَنْشُدُ اللهَ رَجُلاً فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ**»، فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا، فَلَا تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةُ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمِعْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ**»(١).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ لِغَيْرِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ، فَخَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ، فَأَبْطَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَمَهَا(٢).

* قَالَ الْإِمَامُ الْخَطَّابِيُّ فِي مَعَالِمِ السُّنَنِ: وَفِي الْحَدِيثِ بَيَانُ أَنَّ سَابَّ النَّبِيِّ ﷺ مُهْدَرُ الدَّمِ، وَذَلِكَ أَنَّ سَبَّ النَّبِيِّ ﷺ ارْتِدَادٌ عَنِ الدِّينِ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اخْتَلَفَ فِي وُجُوبِ قَتْلِهِ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ قَوِيٍّ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الحدود ـ باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ ـ رقم الحديث (٤٣٦١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الحدود ـ باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ ـ رقم الحديث (٤٣٦٢).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَتَغَيَّظَ عَلَى رَجُلٍ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: تَأْذَنُ لِي يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟

قَالَ: فَأَذْهَبَتْ كَلِمَتِي غَضَبَهُ، فَقَامَ فَدَخَلَ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَقَالَ: مَا الَّذِي قُلْتَ آنِفًا؟

قُلْتُ: ائْذَنْ لِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: أَكُنْتَ فَاعِلاً لَوْ أَمَرْتُكَ؟

قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: لَا وَاللهِ، مَا كَانَتْ لِبَشَرٍ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ: أَيْ لَمْ يَكُنْ لِأَبِي بَكْرٍ أَنْ يَقْتُلَ رَجُلاً إِلَّا بِإِحْدَى الثَّلَاثِ الَّتِي قَالَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُفْرٌ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ زِنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ**»[2]، وَكَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْتُلَ[3].

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي الْمُحَلَّى: أَرَادَ أَيْضًا مَعْنًى آخَرَ كَمَا رُوِّيْنَاهُ مُبَيَّنًا بِلَا إِشْكَالٍ... ثُمَّ سَاقَ بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي السَّوَّارِ الْقَاضِي عَنْ أَبِي بَرْزَةَ قَالَ: أَغْلَظَ رَجُلٌ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الحدود ـ باب الحكم فيمن سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٤٣٦٣) ـ والإمام أحمد في مسنده ـ رقم الحديث (٥٤).

(٢) أخرج هذا الحديث: الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٤٣٧) وإسناده صحيح على شرط الشيخين ـ وأخرجه بنحوه: الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب الديات ـ باب قول الله تَعَالَى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ رقم الحديث (٦٨٧٨) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ـ باب ما يباح به دم المسلم ـ رقم الحديث (١٦٧٦).

(٣) أورد هذا الأثر عن الإمام أحمد: أبو داود في سننه (٦/٤١٩) بإزاء الحديث المتقدم.

لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قُلْتُ: أَلَا أَقْتُلُهُ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَيْسَ هَذَا إِلَّا لِمَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَبَيَّنَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَا يُقْتَلُ مَنْ شَتَمَهُ، لَكِنْ يُقْتَلُ مَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ أَحَلَّ لَهُ الْقِتَالَ فِي مَكَّةَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾[(٢)].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ، يَعْنِي مَكَّةَ، يَقُولُ: أَنْتَ بِهِ حَلَالٌ تَصْنَعُ فِيهِ مِنْ قَتْلِ مَنْ أَرَدْتَ قَتْلَهُ، وَأَسْرِ مَنْ أَرَدْتَ أَسْرَهُ، مُطْلَقٌ ذَلِكَ لَكَ[(٣)].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ: «**إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ**

---

(١) انظر المحلى (١١/٤١٠).

(٢) سورة البلد آية (١ ـ ٢).

(٣) انظر تفسير الطبري (١٢/٥٨٥).

وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً[1] مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ»[2].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مَكَّةَ، فَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِيَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ**»[3].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ شَرَفُ مَكَّةَ، وَإِثْبَاتُ خَصَائِصِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتِوَاءُ الْمُسْلِمِينَ مَعَهُ فِي الْحُكْمِ إِلَّا مَا ثَبَتَ تَخْصِيصُهُ بِهِ[4].

❊ ❊ ❊

(١) قال الحافظ في الفتح (١/٢٦٨): أي مقداراً من الزمان، والمراد به يوم الفتح، وكان من طلوع الشمس إلى العصر، كما وقع في رواية الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ بسند حسن ـ رقم الحديث (٦٦٨١) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قَالَ: لما فُتحت مكة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: «**كُفوا عن السلاح إلا خزاعة عن بني بكر**»، فأذن لهم، حتى صلى العصر، ثم قَالَ: «**كفوا السلاح**».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب العلم ـ باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب... ـ رقم الحديث (١٠٤) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب تحريم مكة وصيدها وخلاها... ـ رقم الحديث (١٣٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب جزاء الصيد ـ باب لا يُنفر صيد الحرم ـ رقم الحديث (١٨٣٣) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب تحريم مكة وصيدها وخلاها... ـ رقم الحديث (١٣٥٣) (٤٤٥).

(٤) انظر فتح الباري (١/٢٦٩).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبَاحَةُ النَّظَرِ لِلْأَجْنَبِيَّاتِ وَالْخَلْوَةِ بِهِنَّ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ خَالِدِ بْنِ ذَكْوَانَ عَنِ الرُّبَيِّعِ[1] بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ بُنِيَ[2] عَلَيَّ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ[3] مِنِّي، وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُولِي هَكَذَا[4] وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ**»[5].

قَالَ الْكَرْمَانِيُّ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٥٠/٨): الرُّبيع: بالتشديد.

(٢) البناء بالزوجة: هُوَ الدخول بها. انظر النهاية (١٥٦/١).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٢٥٥/١٠): كمجلسك: بكسر اللام أي مكانك.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٢٥٥/١٠): إنما أنكر عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ذُكر من الإطراء حيث أطلقن علم الغيب له، وهو صفة تختص بالله سبحانه وتعالَى، كما قَالَ تعَالَى في سورة النمل آية (٦٥): ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.
وقال سبحانه لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سورة الأعراف آية (١٨٨): ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾.
وسائر ما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر به من الغيوب بإعلام الله تعَالَى إياه لا أنه يستقل بعلم ذلك كما قَالَ تعَالَى في سورة الجن آية (٢٦ ـ ٢٧): ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب المغازي ـ باب (١٢) ـ رقم الحديث (٤٠٠١) ـ وأخرجه في كتاب النكاح ـ باب ضرب الدف في النكاح والوليمة ـ رقم الحديث (٥١٤٧).

كَانَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ، أَوْ كَانَ قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ الْحِجَابِ، أَوْ جَازَ النَّظَرُ لِلْحَاجَةِ أَوْ عِنْدَ الْأَمْنِ مِنَ الْفِتْنَةِ.

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالْأَخِيرُ هُوَ الْمُعْتَمَدُ، وَالَّذِي وَضَحَ لَنَا بِالْأَدِلَّةِ الْقَوِيَّةِ أَنَّ مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَازُ الْخَلْوَةِ بِالْأَجْنَبِيَّةِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهَا، وَهُوَ الْجَوَابُ الصَّحِيحُ عَنْ قِصَّةِ أُمِّ حَرَامِ بِنْتِ مِلْحَانٍ فِي دُخُولِهِ عَلَيْهَا وَنَوْمِهِ عِنْدَهَا وَتَفْلِيَتِهَا رَأْسَهُ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا مَحْرَمِيَّةٌ وَلَا زَوْجِيَّةٌ[1].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامِ بِنْتِ مِلْحَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَتُطْعِمُهُ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَأَطْعَمَتْهُ، ثُمَّ جَلَسَتْ تَفْلِي[2] رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . .»[3].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ تَطَوُّعَهُ فِي الصَّلَاةِ قَاعِدًا كَتَطَوُّعِهِ قَائِمًا:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: حُدِّثْتُ أَنَّ

---

(١) انظر فتح الباري (١٠/٢٥٥).

(٢) قال الحافظ في الفتح (١٢/٣٤٥): تفلي بفتح التاء وسكون الفاء وكسر اللام أي تفتش ما فيه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء ـ رقم الحديث (٢٧٨٨) (٢٧٨٩) ـ وأخرجه في كتاب الاستئذان ـ باب من زار قوماً فقال عندهم ـ رقم الحديث (٦٢٨٢) (٦٢٨٣) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإمارة ـ باب فضل الغزو في البحر ـ رقم الحديث (١٩١٢) (١٦٠).

رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**صَلَاةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا نِصْفُ الصَّلَاةِ**»، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُه يُصَلِّي جَالِسًا، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى رَأْسِي، فَقَالَ: «**مَالَكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو؟**»

قُلْتُ: حُدِّثْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ قُلْتَ: «**صَلَاةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا عَلَى نِصْفِ الصَّلَاةِ**»، وَأَنْتَ تُصَلِّي قَاعِدًا! قَالَ ﷺ: «**أَجَلْ، وَلَكِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ**»[1].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّ صَلَاةَ الْقَاعِدِ فِيهَا نِصْفُ ثَوَابِ الْقَائِمِ، فَيَتَضَمَّنُ صِحَّتَهَا وَنُقْصَانَ أَجْرِهَا، وَهَذَا الْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى صَلَاةِ النَّفْلِ قَاعِدًا مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْقِيَامِ، فَهَذَا لَهُ نِصْفُ ثَوَابِ الْقَائِمِ، وَأَمَّا إِذَا صَلَّى النَّفْلَ قَاعِدًا بِعَجْزِهِ عَنِ الْقِيَامِ فَلَا يَنْقُصُ ثَوَابُهُ بَلْ يَكُونُ كَثَوَابِهِ قَائِمًا، وَأَمَّا الْفَرْضُ فَإِنَّ الصَّلَاةَ قَاعِدًا مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الْقِيَامِ لَمْ يَصِحَّ، فَلَا يَكُونُ فِيهِ ثَوَابٌ بَلْ يَأْثَمُ بِهِ، وَإِنْ صَلَّى الْفَرْضَ قَاعِدًا لِعَجْزِهِ عَنِ الْقِيَامِ أَوْ مُضْطَجِعًا لِعَجْزِهِ عَنِ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ، فَثَوَابُهُ كَثَوَابِهِ قَائِمًا لَمْ يَنْقُصْ، فَيَتَعَيَّنُ حَمْلُ الْحَدِيثِ فِي تَنْصِيفِ الثَّوَابِ عَلَى مَنْ صَلَّى النَّفْلَ قَاعِدًا مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الْقِيَامِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «**لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ**» فَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيِّ ﷺ، فَجُعِلَتْ نَافِلَتُهُ قَاعِدًا مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْقِيَامِ كَنَافِلَتِهِ قَائِمًا تَشْرِيفًا لَهُ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب جواز النافلة قائماً وقاعداً ـ رقم الحديث (٧٣٥).

كَمَا خُصَّ بِأَشْيَاءَ مَعْرُوفَةٍ فِي كُتُبِ أَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لَهُ وَلَا لِأَهْلِ بَيْتِهِ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ**[2]، **وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ**»[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَى بِالتَّمْرِ عِنْد صِرَامِ[4] النَّخْلِ، فَيَجِيءُ هَذَا بِتَمْرِهِ وَهَذَا مِنْ تَمْرِهِ، حَتَّى يَصِيرَ عِنْدَهُ كَوْمًا[5] مِنْ تَمْرٍ، فَجَعَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَلْعَبَانِ بِذَلِكَ التَّمْرِ، فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا تَمْرَةً فَجَعَلَهُ فِي فِيهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٦/١٣).

(٢) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٧/١٥٨): تنبيه على العلة في تحريمها على بني هاشم وبني المطلب وأنها لكرامتهم وتنزيههم عن الأوساخ، ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم، كما قَالَ تَعَالَى في سورة التوبة آية (١٠٣): ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الزكاة ـ باب ترك استعمال آل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصدقة ـ رقم الحديث (١٠٧٢) (١٦٨).

(٤) الصِّرام: قطع الثمرة واجتناؤها من النخلة. انظر النهاية (٣/٢٥).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤/١١٨): الكوم بفتح الكاف وسكون الواو، وأصله القطعة العظيمة من الشيء، والمراد به هنا ما اجتمع من التمر.

فَأَخْرَجَهَا مِنْ فِيهِ، وَقَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ**[1] **لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ**»[2].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَخْ كَخْ**[3] **إِرْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟**»[4].

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّا لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ؟**»[5].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِعْطَاؤُهُ مَعَ النُّبُوَّةِ فَضِيلَةَ الشَّهَادَةِ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «**يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ**

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٤/١٢١): المراد بالآل بنو هاشم وبنو عبد المطلب على الأرجح من أقوال العلماء.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الزكاة ـ باب أخذ صدقة التمر عند صرام النخل... ـ رقم الحديث (١٤٨٥).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤/١٢٢): كخ: بفتح الكاف وكسرها وسكون الخاء هي كلمة تقال لردع الصبي عند تناوله ما يستقذر.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الزكاة ـ باب ما يُذكر في الصدقة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (١٤٩١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الزكاة ـ باب تحريم الزكاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله... ـ رقم الحديث (١٠٦٩).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الزكاة ـ باب تحريم الزكاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله... رقم الحديث (١٠٦٩).

الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي[1] مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ»[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَقَالَتْ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تَتَّهِمُ بِنَفْسِكَ؟ فَإِنِّي لَا أَتَّهِمُ إِلَّا الطَّعَامَ الَّذِي أَكَلَ مَعَكَ بِخَيْبَرَ، وَكَانَ ابْنُهَا بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ مَاتَ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنَا لَا أَتَّهِمُ غَيْرَهُ، هَذَا أَوَانُ انْقِطَاعِ أَبْهَرِي»[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ تِسْعًا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُتِلَ قَتْلًا[4]، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ وَاحِدَةً، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا، وَجَعَلَهُ شَهِيدًا[5].

---

(١) الأبهر: هُوَ عرق في الظهر موصول بالقلب فإذا انقطع لم تبق معه حياة. انظر النهاية (١/٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المغازي ـ باب مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفاته ـ رقم الحديث (٤٤٢٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٣٩٣٣) ـ وأبو داود في سننه ـ كتاب الديات ـ باب فيمن سَقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟ ـ رقم الحديث (٤٥١٣) ـ وانظر تفاصيل أكل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشاة المسمومة يوم خيبر في كتابنا: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (٣/٤٥٥ ـ ٤٦١).

(٤) قال الإمام السندي في شرح المسند (٣/٢٤٧): ولا ينافي ذلك قوله تعَالَى في سورة المائدة آية (٦٧) ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ إذ يكفي فيه العصمة عن القتل على الوجه المعتاد فيه، وقد عُصم منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا ريب.

(٥) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٣٦١٧) ـ والحاكم في المستدرك ـ رقم الحديث (٤٤٥٠).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَانَ بَقِيَ أَثَرُهَا ـ أَيْ أَثَرُ السُّمِّ ـ مَعَ ضَعْفِهِ لِمَا يُرِيدُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ تَكْمِيلِ مَرَاتِبِ الْفَضْلِ كُلِّهَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ إِكْرَامَهُ بِالشَّهَادَةِ، ظَهَرَ تَأْثِيرُ ذَلِكَ الْأَثَرِ الْكَامِنِ مِنَ السُّمِّ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً[١].

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبَاحَةُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْعَصْرِ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: رَكْعَتَانِ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَعُهُمَا سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً: رَكْعَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ الْعَصْرِ[٢].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا ـ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ عِنْدِي قَطُّ[٣].

وَكَانَ سَبَبُ مُحَافَظَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ

---

(١) انظر زاد المعاد (٤/١١٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب مواقيت الصلاة ـ باب ما يُصلى بعد العصر من الفوائت ونحوها ـ رقم الحديث (٥٩٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب معرفة الركعتين اللتين كان يُصليهما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد العصر ـ رقم الحديث (٨٣٥) (٣٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب مواقيت الصلاة ـ باب ما يُصلى بعد العصر من الفوائت ونحوها ـ رقم الحديث (٥٩١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب معرفة الركعتين اللتين كان يصليهما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد العصر ـ رقم الحديث (٨٣٥) (٢٩٩).

بْنَ عَبَّاسٍ وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَزْهَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَرْسَلُوهُ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالُوا: اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنَّا جَمِيعًا وَسَلْهَا عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَقُلْ لَهَا: إِنَّا أُخْبِرْنَا أَنَّكِ تُصَلِّينَهُمَا، وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْهَا، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَكُنْتُ أَضْرِبُ النَّاسَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَنْهَا، فَقَالَ كُرَيْبٌ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَبَلَّغْتُهَا مَا أَرْسَلُونِي، فَقَالَتْ: سَلْ أُمَّ سَلَمَةَ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ بِقَوْلِهَا، فَرَدُّونِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِمِثْلِ مَا أَرْسَلُونِي بِهِ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى عَنْهَا، ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ وَعِنْدِي نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي حَرَامٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ، فَقُلْتُ: قُومِي بِجَنْبِهِ قُولِي لَهُ: تَقُولُ لَكَ أُمُّ سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللهِ سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا، فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَأْخِرِي عَنْهُ، فَفَعَلَتِ الْجَارِيَةُ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ، فَاسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ**[1]**، سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ**[2]**، فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، فَهُمَا هَاتَانِ**»[3].

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٣/٤٣٩): هُوَ والد أم سلمة ـ واسمها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هند بنت أبي أمية بن المغيرة.

(٢) انظر تفاصيل قدوم وفد عبد القيس على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتابنا: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (٤/٢٤٧ ـ ٢٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب السهو ـ باب إذا كُلِّم وهو يُصلي فأشار بيده واستمع=

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ بَيْتِي، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صَلَّيْتَ صَلَاةً لَمْ تَكُنْ تُصَلِّيهَا، فَقَالَ: **«قَدِمَ عَلَيَّ مَالٌ، فَشَغَلَنِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ كُنْتُ أَرْكَعُهُمَا بَعْدَ الظُّهْرِ، فَصَلَّيْتُهُمَا الْآنَ»**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَنَقْضِيهِمَا إِذَا فَاتَتْنَا؟ قَالَ: **«لَا»**[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ عَنِ السَّجْدَتَيْنِ اللَّتَيْنِ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيهِمَا بَعْدَ الْعَصْرِ؟

فَقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ يُصَلِّيهِمَا قَبْلَ الْعَصْرِ، ثُمَّ إِنَّهُ شُغِلَ عَنْهُمَا أَوْ نَسِيَهُمَا فَصَلَّاهُمَا بَعْدَ الْعَصْرِ، ثُمَّ أَثْبَتَهُمَا، وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَثْبَتَهَا[2].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: الأَصَحُّ الْأَشْهَرُ أَنَّ هَذَا[3] مِنْ خَصَائِصِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4].

= ـ رقم الحديث (١٢٣٣) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب معرفة الركعتين اللتين كان يُصليهما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد العصر ـ (٨٣٤).

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٦٦٧٨) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب ذكر البيان بأن من فاتته ركعتا الظهر إلى أن يُصلي العصر ليس عليه إعادتهما ـ رقم الحديث (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب معرفة الركعتين اللتين كان يُصليهما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد العصر ـ رقم الحديث (٨٣٥) (٢٩٨).

(٣) أي صلاة ركعتين بعد العصر.

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٦/١٠٦).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَأَمَّا مُوَاظَبَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَا كَانَ يَتَثَاءَبُ:

لِأَنَّ التَّثَاؤُبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ مَعْصُومٌ مِنَ الشَّيْطَانِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللهَ كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»**[2].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ [3]: وَمِنَ الْخَصَائِصِ النَّبَوِيَّةِ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ بِسَنَدٍ مُرْسَلٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ قَالَ: مَا تَثَاءَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةٍ قَطُّ[4].

* * *

---

(١) انظر فتح الباري (٢/٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأدب ـ باب إذا تثاءب فليضع يده على فيه ـ رقم الحديث (٦٢٢٦).

(٣) انظر فتح الباري (١٢/٢٦٠).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ـ رقم الحديث (٨٠٦٥).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ تَبْلِيغُهُ السَّلَامَ مِنْ أُمَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ، يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِيَ السَّلَامَ**»[1].

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**»[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ لَهُ النِّكَاحَ بِلَفْظِ الْهِبَةِ بِلَا مَهْرٍ ابْتِدَاءً وَانْتِهَاءً:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٣٦٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب المناسك ـ باب في الصلاة على النبي ﷺ ـ رقم الحديث (٢٠٤١) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٠٨١٥).

(٣) سورة الأحزاب آية (٥٠).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: أَيْ وَيَحِلُّ لَكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ الْمَرْأَةَ الْمُؤْمِنَةَ إِذَا وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَكَ أَنْ تَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ مَهْرٍ إِنْ شِئْتَ ذَلِكَ(١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قَالَ عِكْرِمَةُ: أَيْ لَا تَحِلُّ الْمَوْهُوبَةُ لِغَيْرِكَ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ لَمْ تَحِلَّ لَهُ حَتَّى يُعْطِيَهَا شَيْئًا(٢).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: أَيْ إِنَّهَا إِذَا فَوَّضَتِ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا إِلَى رَجُلٍ، فَإِنَّهُ مَتَى دَخَلَ بِهَا وَجَبَ لَهَا عَلَيْهِ مَهْرُ مِثْلِهَا، كَمَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَرْوَعَ(٣) بِنْتِ وَاشِقٍ لَمَّا فَوَّضَتْ، فَحَكَمَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَدَاقِ مِثْلِهَا

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٦/٤٤٢).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٦/٤٤٥).

(٣) قال الإمام ابن الأثير في جامع الأصول ـ قسم التراجم ـ (١/٢٢٣): بَرْوَع، أهل الحديث يوردونها بكسر الباء وسكون الراء وفتح الواو، وأما أهل اللغة فيفتحون الباء، ويقولون: إنه ليس في العربية فِعْوَل إلا خِروع لهذا النبت المعروف.
واشق: بكسر الشين.
وأما قصتها فقد أخرجها أبو داود في سننه ـ رقم الحديث (٢١١٤) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٨٤٦٠) بسند صحيح عن عبد الله بن عتبة قَالَ: أُتي ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رجل تزوج امرأة، فمات عنها، ولم يفرض لها، ولم يدخل بها، فسُئل عنها شهراً، فلم يَقُلْ فيها شيئاً، ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أقول فيها برأي، فإن يك خطأ فمني ومن الشيطان، وإن يك صواباً، فمن الله، لها صدقة إحدى نسائها، ولا الميراث، وعليها العدة، فقام رجل من أشجع، فقَالَ: أشهد لقضيت فيها بقضاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بَرْوع ابنة واشِق، ففرح عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فرحاً شديداً، حيث وافق قضاؤه قضاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لَمَّا تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا، وَالْمَوْتُ وَالدُّخُولُ سَوَاءٌ فِي تَقْرِيرِ الْمَهْرِ وَثُبُوتِ مَهْرِ الْمِثْلِ فِي الْمُفَوِّضَةِ لِغَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا هُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِلْمُفَوِّضَةِ شَيْءٌ وَلَوْ دَخَلَ بِهَا، لِأَنَّ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِغَيْرِ صَدَاقٍ وَلَا وَلِيٍّ وَلَا شُهُودٍ، كَمَا فِي قِصَّةِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[1].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ[2] لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَقُولُ: أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا؟

فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تُرْجِي[3] مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ[4] وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ[5] وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾، قُلْتُ: وَاللهِ مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ[6].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٦/٤٤٥).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٩/٤٨١): هذا ظاهر في أن الواهبة أكثر من واحدة.
رَوَى الْإِمَامُ الطبري في تفسيره (١٠/٣١١) بسند حسن عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لم يكن عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امرأة وهبت نفسها.
وعَلَّق الحافظ في الفتح (٩/٤٨١) على كلام ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بقوله: المراد أنه لم يدخل بواحدة ممن وهبت نفسها له، وإن كان مباحاً له لأنه راجع إلى إرادته لقوله تَعَالَى: ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾.

(٣) رَوَى الْإِمَامُ البخاري في صحيحه ـ معلقاً ـ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: تُرجي: تُؤخر.

(٤) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ في تفسيره (٦/٤٤٥): أي: من الواهبات أنفسهن.

(٥) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ في تفسيره (٦/٤٤٥): أي: من شئت قبلتها، ومن شئت رددتها، ومن رددتها فأنت فيها أيضاً بالخيار بعد ذلك، إن شئت عُدْت فيها فآويتها، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾.

(٦) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٠/٤٣): معناه يخفف عنك ويوسع عليك=

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: هَذَا مِنْ خَصَائِصِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ زَوَاجُ مَنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ بِلَا مَهْرٍ[(١)].

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَهَذَا مَذْكُورٌ مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّهُ يَتَزَوَّجُ بِلَا وَلِيٍّ وَلَا شُهُودٍ كَمَا وَقَعَ فِي قِصَّةِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا[(٢)].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَقْسَمَ بِبَلَدِهِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[(٣)].

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: الْبَلَدُ هِيَ مَكَّةُ، أَجْمَعُوا عَلَيْهِ، أَيْ: أُقْسِمُ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، لِكَرَامَتِكَ عَلَيَّ وَحُبِّي لَكَ[(٤)].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾، يَعْنِي: مَكَّةَ، «**وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**» يَعْنِي: أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُقَاتِلَ بِهِ، وَكَذَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ

= في الأمور، ولهذا خيرك.

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تعَالَى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ رقم الحديث (٤٧٨٨) ـ وأخرجه في كتاب النكاح ـ باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد؟ ـ رقم الحديث (٥١١٣) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الرضاع ـ باب جواز هبتها نوبتها لضرتها ـ رقم الحديث (١٤٦٤) (٤٩).

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٠/٤٣).

(٢) انظر فتح الباري (١٠/١٦١).

(٣) سورة البلد آية (١ ـ ٢).

(٤) انظر تفسير القرطبي (٢٢/٢٨٩).

جُبَيْرٍ، وَأَبِي صَالِحٍ، وَعَطِيَّةَ، وَالضَّحَّاكِ، وَقَتَادَةَ، وَالسُّدِّيِّ[1].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَالُوهُ قَدْ وَرَد بِهِ الْحَدِيثُ الْمُتَّفَقُ عَلَى صِحَّتِهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»**[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصْطِفَاؤُهُ مِنَ الْغَنِيمَةِ غَيْرَ الْخُمُسِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ:

وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِالصَّفِيِّ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَغَانِمِ شَيْءٌ يَصْطَفِيهِ لِنَفْسِهِ عَبْدًا أَوْ أَمَةً أَوْ فَرَسًا، أَوْ سَيْفًا، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ مُحَمَّدُ بنُ سِيرِينَ، وَعَامِرٌ الشَّبْعِيُّ، وَتَبِعَهُمَا عَلَى ذَلِكَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ[3].

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَائِشَةَ

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٨/٤٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب العلم ـ باب ليبلغ العِلم الشاهد الغائب ـ رقم الحديث (١٠٤) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها... ـ رقم الحديث (١٣٥٤) ـ وانظر كلام الحافظ بن كثير في تفسيره (٨/٤٠٢).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٤/٦١).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَتْ صَفِيَّةُ[(١)] مِنَ الصَّفِيِّ[(٢)].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ الشِّخِّيرِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ مُطَرِّفٍ فِي سُوقِ الْإِبِلِ، فَجَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ مَعَهُ قِطْعَةُ أَدِيمٍ[(٣)]، أَوْ جِرَابٌ[(٤)]، فَقَالَ: مَنْ يَقْرَأُ؟ أَوْ فِيكُمْ مَنْ يَقْرَأُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَخَذْتُهُ، فَإِذَا فِيهِ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ، لِبَنِي زُهَيْرِ بْنِ أُقَيْشٍ - حَيٍّ مِنْ عُكْلٍ - أَنَّهُمْ إِنْ شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَفَارَقُوا الْمُشْرِكِينَ، وَأَقَرُّوا بِالْخُمُسِ فِي غَنَائِمِهِمْ، وَسَهْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفِيِّه، فَإِنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللهِ وَرَسُولِهِ**»[(٥)].

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتِصَاصُهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[(٦)].

---

(١) هي صفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الخراج - باب ما جاء في سهم الصفي - رقم الحديث (٢٩٩٤) - وابن حبان في صحيحه - كتاب السير - باب ذكر ما خص الله جل وعلا صفيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رقم الحديث (٤٨٢٢).

(٣) الأديم: الجلد. انظر لسان العرب (٩٦/١).

(٤) الجراب: بكسر الجيم هُوَ وعاء من جلد الشاء. انظر لسان العرب (٢٢٨/٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ - رقم الحديث (٢٠٧٣٧).

(٦) سورة الحجر آية (٨٧).

اختلف العلماء في السبع المثاني: =

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ

= * فثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها سورة الفاتحة، فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه ـ رقم الحديث (٤٧٠٤) ـ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم»**.

ورَوَى الْإِمَامُ البخاري في صحيحه ـ رقم الحديث (٤٤٧٤) عن أبي سعيد بن المعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:... **«الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الَّذِي أُوتيته»**.

وروى النسائي في السنن الكبرى ـ رقم الحديث (١١٢١٢) بسند صحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أنه قال في قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾.

قَالَ: البقرة، وآل عمران، والنساء، والأعراف، والأنعام، والمائدة، ونسي بعض رواته السابعة، وحفظها آخرون كما عند أبي عبيد في «فضائل القرآن»، وهي: يونس.

وروى أبو داود في سننه ـ رقم الحديث (١٤٥٩) بسند صحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أُوتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبعاً من المثاني الطُّول، وأُوتي موسى ستاً، فلما ألقى الألواح رُفعت ثنتان وبقي أربع.

قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٣٩/٧): وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قَالَ: عُني بالسبع المثاني: السبع اللواتي هُنّ آيات أم الكتاب، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره (٢٥٢/١٢): والصحيح الأول، لأنه نص، وقد قدمنا في الفاتحة أنه ليس في تسميتها بالمثاني ما يمنع من تسمية غيرها بذلك، إلا أنه إذا ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وثبت عنه نص في شيء لا يحتمل التأويل، كان الوقوف عنده.

وقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ في تفسيره (٥٤٧/٤): فهذا نص ـ من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ في أن الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم، ولكن لا ينافي وصف غيرها من السبع الطُّوَل بذلك، لما فيها من هذه الصفة، كما لا ينافي وصف القرآن بكامله بذلك أيضاً، كما قَالَ اللهُ تَعَالَى في سورة الزمر آية (٢٣): ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾، فهو مثاني من وجه، ومتشابه من وجه، وهو القرآن العظيم أيضاً.

قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ نَقِيضًا[1] مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتِصَاصُهُ بِالسَّبْعِ الطِّوَالِ، وَالْمُفَصَّلِ، وَالْمِئِينَ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدَيْهِمَا بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِي، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ**»[3].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ:

السَّبْعُ الطِّوَالُ: الْبَقَرَةُ، وَآلُ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءُ، وَالْمَائِدَةُ، وَالْأَنْعَامُ، وَالْأَعْرَافُ، وَيُونُسَ، فِي قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّوَرُ السَّبْعَ الطِّوَالَ، لِطُولِهَا عَلَى سَائِرِ سُوَرِ الْقُرْآنِ.

---

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٦/٨٠): نقيضاً: أي صوتاً كصوت الباب إذا فُتِح.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب فضل سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ـ رقم الحديث (٨٠٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٦٩٨٢) ـ والطيالسي فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١١٠٥) ـ والطحاوي في شرح شكل الآثار ـ رقم الحديث (١٣٧٩).

وَأَمَّا الْمِئُونَ: فَهِيَ مَا كَانَ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ عَدَدَ آيِهِ مِئَةُ آيَةٍ، أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهَا شَيْئًا أَوْ تَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا يَسِيرًا.

وَأَمَّا الْمَثَانِي: فَإِنَّهَا مَا ثَنَّى الْمِئِينَ فَتَلَاهَا، وَكَانَ الْمِئُونَ لَهَا أَوَائِلَ، وَكَانَ الْمَثَانِي لَهَا ثَوَانِي، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمَثَانِيَ سُمِّيَتْ مَثَانِيَ، لِتَثْنِيَةِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيهَا الْأَمْثَالَ وَالْخَبَرَ وَالْعِبَرَ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَأَمَّا الْمُفَصَّلُ[1]: فَإِنَّهَا سُمِّيَتْ مُفَصَّلاً لِكَثْرَةِ الْفُصُولِ الَّتِي بَيْنَ سُوَرِهَا

---

(١) اختُلِف في تحديد أول سُور المفصّل، والصحيح أنه يبدأ من سورة «ق».
قال الحافظ في الفتح (٥١/١٠): الراجح في المفصّل أنه من أول سورة «ق» إلى آخر القرآن.
وقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ في تفسيره (٣٩٢/٧) في مطلع سورة «ق»: وهذه السورة هي أول الحزب المفصّل على الصحيح، وقيل الحجرات، وأما ما يقوله العامة: إنه من «عَمَّ» فلا أصل له، ولم يقله أحد من العلماء المعتبرين فيما نعلم، والدليل على أن هذه السورة ـ سورة «ق» ـ هي أول المفصَّل ما رواه أبو داود في سننه ـ رقم الحديث (١٣٩٣) ـ وابن ماجه في سننه ـ رقم الحديث (١٣٤٥) ـ بسند ضعيف ـ عن أوس بن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سألت أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف تُحزِّبون القرآن؟
قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصّل وحده.
إذا عُلِم هذا، فإذا عددت ثمانياً وأربعين سورة، فالَّتِي بعدهن سورة «ق» وبيان ذلك:
* ثلاث: البقرة، وآل عمران، والنساء.
* وخمس: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة.
* وسبع: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل.
* وتسع: الإسراء، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان.
* وإحدى عشرة: الشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان،=

بـ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّهُ إِذَا سَبَّ أَحَدًا كَانَ ذَلِكَ كَفَّارَةً لَهُ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ قُرْبَةً إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَفَعَ إِلَى حَفْصَةَ ابْنَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَجُلاً، فَقَالَ لَهَا: «**احْتَفِظِي بِهِ**»، قَالَ: فَغَفَلَتْ حَفْصَةُ، وَمَضَى الرَّجُلُ، فَدَخَلَ

= والم السجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس.

* وثلاث عشرة: الصافات، وص، والزمر، وغافر، وفُصِّلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، ومحمد، والفتح، والحجرات، ثم بعد ذلك الحزب المفصّل.

وروى الطحاوي في شرح مشكل الآثار ـ رقم الحديث (١٣٧٠) ـ بسند قوي ـ عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ على رسوله ﷺ المفصّل بمكة، فكُنَّا حِججاً ـ أي سنوات ـ نقرؤه لا ينزل غيره.

قال الإمام الطحاوي في شرح شكل الآثار (٣٩٧/٣)، ففي هذا الحديث ما قد دَلّ على أن سورة الحجرات ليست منه ـ أي المفصّل ـ وأنها مدنية، وأن المفصّل ما بعدها إلى آخر القرآن.

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري (٧١/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الدعوات ـ باب قول النبي ﷺ: «**من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة**» ـ رقم الحديث (٦٣٦١).

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «**يَا حَفْصَةُ، مَا فَعَلَ الرَّجُلُ؟**».

قَالَتْ: غَفَلْتُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ فَخَرَجَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَطَعَ اللهُ يَدَكِ**»، فَرَفَعَتْ يَدَيْهَا هَكَذَا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكِ يَا حَفْصَةُ؟**».

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْتَ قَبْلُ؛ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ لَهَا: «**ضَعِي يَدَيْكِ، فَإِنِّي سَأَلْتُ اللهَ: أَيُّمَا إِنْسَانٍ مِنْ أُمَّتِي دَعَوْتُ اللهَ عَلَيْهِ، أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ مَغْفِرَةً**»[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ، شَتَمْتُهُ، لَعَنْتُهُ، جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً**[2] **وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ، فَرَآهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**أَنْتِ هِيَ؟ لَقَدْ كَبِرْتِ، لَا كَبِرَ سِنُّكِ**»، فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَالَكِ يَا بُنَيَّةُ؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٢٤٣١).

(٢) المقصود بالصلاة هنا: الدعاء. انظر النهاية (٣/٤٦).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب البر والصلة ـ باب من لعنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو سبه أو دعا عليه... ـ رقم الحديث (٢٦٠١).

قَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلَيَّ نَبِيُّ اللهِ ﷺ أَنْ لَا يَكْبُرَ سِنِّي، فَالْآنَ لَا يَكْبُرُ سِنِّي أَبَدًا، فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ[1] خِمَارَهَا حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَالَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ**»؟

قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِي؟

قَالَ ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ**».

قَالَتْ: زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ عَلَيْهَا أَنْ لَا يَكْبُرَ سِنُّهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَبِّي؟**

إِنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٌ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ تَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَدْعُو عَلَى مَنْ لَيْسَ هُوَ بِأَهْلٍ لِلدُّعَاءِ عَلَيْهِ أَوْ يَسُبُّهُ أَوْ يَلْعَنُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ؟

فَالْجَوَابُ مَا أَجَابَ بِهِ الْعُلَمَاءُ، وَمُخْتَصَرُهُ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمُرَادَ لَيْسَ بِأَهْلٍ لِذَلِكَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، وَفِي بَاطِنِ الْأَمْرِ،

---

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٢٧/١٦): تلوث: أي تديره على رأسها.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب البر والصلة ـ باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه... ـ رقم الحديث (٢٦٠٣) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب التاريخ ـ باب ذِكر ما جعل الله جل وعلا دعوة المصطفى ﷺ... رقم الحديث (٦٥١٤).

وَلَكِنْ فِي الظَّاهِرِ مُسْتَوْجِبٌ لَهُ، فَيَظْهَرُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتِحْقَاقُهُ لِذَلِكَ بِأَمَارَةٍ شَرْعِيَّةٍ، وَيَكُونُ فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ لَيْسَ أَهْلاً لِذَلِكَ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَأْمُورٌ بِالْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ، وَاللهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ.

وَالثَّانِي: أَنَّ مَا وَقَعَ مِنْ سَبِّهِ وَدُعَائِهِ وَنَحْوِهِ لَيْسَ بِمَقْصُودٍ، بَلْ هُوَ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ فِي وَصْلِ كَلَامِهَا بِلَا نِيَّةٍ، كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَرِبَتْ يَمِينُكَ**»[1]، «**وَعَقْرَى حَلْقَى**»[2]، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: «**لَا كَبِرَتْ سِنُّكِ**»، وَفِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ**»[3]، وَنَحْوِ ذَلِكَ لَا يَقْصُدُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَقِيقَةَ الدُّعَاءِ، فَخَافَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَادِفَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِجَابَةً، فَسَأَلَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَغِبَ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ رَحْمَةً وَكَفَّارَةً وَقُرْبَةً وَطَهُورًا وَأَجْرًا، وَإِنَّمَا كَانَ يَقَعُ هَذَا مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّادِرِ وَالشَّاذِّ مِنَ الْأَزْمَانِ، وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا لَعَّانًا، وَلَا مُنْتَقِمًا لِنَفْسِهِ، وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: ادْعُ عَلَى دَوْسٍ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا**»[4]، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الحيض ـ باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها ـ رقم الحديث (٣١٣) من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
وأخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الرضاع ـ باب تحريم الرضاعة من ماء الفحل ـ رقم الحديث (١٤٤٥) (٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب الإدلاج من المُحصَّب ـ رقم الحديث (١٧٧١) (١٧٧٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب بيان وجوه الإحراج... ـ رقم الحديث (١٢١١) (١٢٨).

(٣) سيأتي تخريج هذا الحديث بعد قليل.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب الدعاء للمشركين بالهُدى=

اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»[١]، وَاللهُ أَعْلَمُ[٢].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَوَارَيْتُ[٣] خَلْفَ بَابٍ، فَجَاءَ فَحَطَأَنِي[٤] حَطْأَةً، وَقَالَ: «**اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ**»، قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، ثُمَّ قَالَ لِي: «**اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ**»، قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ**»[٥].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: وَأَمَّا دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ لَا يَشْبَعَ حِينَ تَأَخَّرَ، فَفِيهِ جَوَابَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ جَرَى عَلَى اللِّسَانِ بِلَا قَصْدٍ.

الثَّانِي: أَنَّهُ عُقُوبَةٌ لَهُ لِتَأَخُّرِهِ، وَقَدْ فَهِمَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ

= ليتألفهم ـ رقم الحديث (٢٩٣٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة... ـ رقم الحديث (٢٥٢٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب (٥٤) ـ رقم الحديث (٣٤٧٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب غزوة أُحد ـ رقم الحديث (١٧٩٢).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/١٢٤ ـ ١٢٥).

(٣) توارى: أي استتر. انظر لسان العرب (١٥/٢٨٣).

(٤) حطأني: أي دفعني بكفه، وإنما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا بابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ملاطفة وتأنيساً. انظر النهاية (١/٣٨٨).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب البر والصلة ـ باب من لعنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو سبه أو دعا عليه.... ـ رقم الحديث (٢٦٠٤).

أَنَّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا لِلدُّعَاءِ عَلَيْهِ، فَلِهَذَا أَدْخَلَهُ فِي هَذَا الْبَابِ[1] وَجَعَلَهُ غَيْرُهُ مِنْ مَنَاقِبِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ يَصِيرُ دُعَاءً لَهُ[2].

وَقَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ: فَسَّرَهُ بَعْضُ الْمُحِبِّينَ[3]، فَقَالَ: لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ، حَتَّى لَا يَكُونَ مِمَّنْ يَجُوعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ الْخَبَرَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**أَطْوَلُ النَّاسِ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[4].

قُلْتُ ـ الْقَائِلُ الذَّهَبِيُّ ـ: هَذَا مَا صَحَّ[5]، وَالتَّأْوِيلُ رَكِيكٌ، وَأَشْبَهُ مِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ مَنْ سَبَبْتُهُ أَوْ شَتَمْتُهُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَاجْعَلْهَا لَهُ رَحْمَةً**» أَوْ كَمَا قَالَ[6].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَدِ انْتَفَعَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ:

* **أَمَّا فِي دُنْيَاهُ**: فَإِنَّهُ لَمَّا صَارَ إِلَى الشَّامِ أَمِيرًا، كَانَ يَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ سَبْعَ

---

(١) باب من لعنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو سَبَّه أو دعا عليه، وليس هُوَ أهلاً لذلك، كان له زكاة وأجراً ورحمة.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/١٢٨).

(٣) هو عبد الله بن جعفر كما وقع في رواية الطيالسي فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٨٦٩).

(٤) أخرج هذا الحديث: الترمذي في جامعه ـ كتاب صفة القيامة والرقائق ـ باب في الجشاء ـ رقم الحديث (٢٦٤٦) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الأطعمة ـ باب الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع ـ رقم الحديث (٣٣٥٠) (٣٣٥١) ـ وإسناده ضعيف.

(٥) أي حديث «**أطول الناس شبعاً في الدنيا...**» لم يصح.

(٦) انظر سير أعلام النبلاء (٣/١٢٣ ـ ١٢٤).

مَرَّاتٍ يُجَاءُ بِقَصْعَةٍ فِيهَا لَحْمٌ كَثِيرٌ وَبَصَلٌ فَيَأْكُلُ مِنْهَا، وَيَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ سَبْعَ أَكَلَاتٍ بِلَحْمٍ، وَمِنَ الْحَلْوَى وَالْفَاكِهَةِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَيَقُولُ: وَاللهِ مَا أَشْبَعُ وَإِنَّمَا أَعْيَا، وَهَذِهِ نِعْمَةٌ وَمَعِدَةٌ يَرْغَبُ فِيهَا كُلُّ الْمُلُوكِ.

* **وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ:** فَقَدْ أَتْبَعَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ هَذَا الْحَدِيثَ بِالْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُمَا مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّمَا عَبْدٌ سَبَبْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ أَوْ دَعَوْتُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لِذَلِكَ أَهْلاً، فَاجْعَلْ ذَلِكَ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

فَرَكَّبَ مُسْلِمٌ مِنَ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ، وَهَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةً لِمُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، وَلَمْ يُورِدْ لَهُ غَيْرَ ذَلِكَ[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ قَسَمُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ[3] لَهُ، لِيُحَقِّقَ مَكَانَتَهُ عِنْدَهُ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الدعوات ـ باب قول النبي ﷺ: «**من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة**» ـ رقم الحديث (٦٣٦١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب البر والصلة ـ باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه... رقم الحديث (٢٦٠٤).

(٢) انظر البداية والنهاية (٨/٥١٤).

(٣) جَدُّهُ: أي عظمته. انظر النهاية (١/٢٣٦).

ومنه حديث الاستفتاح في الصلاة، ولفظه: «**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جَدُّك، ولا إله غيرك**».

رواه أبو داود في سننه ـ رقم الحديث (٧٧٦) وهو حديث حسن.

وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾[(١)].

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ: تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ تَعَالَى لَهُ ﷺ، وَتَنْوِيهِهِ بِهِ، وَتَعْظِيمِهِ إِيَّاهُ سِتَّةَ وُجُوهٍ:

* **الْأَوَّلُ**: الْقَسَمُ لَهُ عَمَّا أَخْبَرَهُ بِهِ مِنْ حَالِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، أَيْ وَرَبِّ الضُّحَى، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَبَرَّةِ.

* **الثَّانِي**: بَيَانُ مَكَانَتِهِ ﷺ وَحُظْوَتِهِ لَدَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، أَيْ مَا تَرَكَكَ وَمَا أَبْغَضَكَ، وَقِيلَ: مَا أَهْمَلَكَ بَعْدَ أَنِ اصْطَفَاكَ.

* **الثَّالِثُ**: قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾، أَيْ مَالَكَ فِي مَرْجِعِكَ عِنْدَ اللهِ أَعْظَمُ مِمَّا أَعْطَاكَ مِنْ كَرَامَةِ الدُّنْيَا.

* **الرَّابِعُ**: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾، وَهَذِهِ آيَةٌ جَامِعَةٌ لِوُجُوهِ الْكَرَامَةِ، وَأَنْوَاعِ السَّعَادَةِ، وَشَتَاتِ الْإِنْعَامِ فِي الدَّارَيْنِ وَالزِّيَادَةُ.

* **الْخَامِسُ**: مَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَقَرَّرَهُ مِنْ آلَائِهِ قِبَلَهُ فِي بَقِيَّةِ السُّورَةِ، مِنْ هِدَايَتِهِ إِلَى مَا هَدَاهُ لَهُ، أَوْ هِدَايَةِ النَّاسِ بِهِ عَلَى اخْتِلَافِ التَّفَاسِيرِ، وَلَا مَالَ لَهُ، فَأَغْنَاهُ بِمَا آتَاهُ، أَوْ بِمَا جَعَلَهُ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْقَنَاعَةِ وَالْغِنَى،

---

(١) سورة الضحى كاملة.

وَيَتِيمًا فَحَدِبَ عَلَيْهِ[1] عَمَّهُ وَآوَاهُ إِلَيْهِ.

* **السَّادِسُ**: أَمْرُهُ بِإِظْهَارِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَشُكْرِ مَا شَرَّفَهُ بِنَشْرِهِ، وَإِشَادَةِ ذِكْرِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، فَإِنَّ مِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ الْحَدِيثُ بِهَا، وَهَذَا خَاصٌّ لَهُ، عَامٌّ لِأُمَّتِهِ[2].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[3].

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِمَا أَقْسَمَ بِهِ مِنْ عَظِيمِ قَسَمِهِ عَلَى تَنْزِيهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا غَمَصَتْه[4] الْكَفَرَةُ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ، وَأَنَّسَهُ، وَبَسَطَ أَمَلَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

وَهَذِهِ نِهَايَةُ الْمَبَرَّةِ فِي الْمُخَاطَبَةِ، وَأَعْلَى دَرَجَاتِ الْآدَابِ فِي الْمُحَاوَرَةِ، ثُمَّ أَعْلَمَهُ بِمَا لَهُ عِنْدَهُ مِنْ نَعِيمٍ دَائِمٍ، وَثَوَابٍ غَيْرِ مُنْقَطِعٍ، لَا يَأْخُذُهُ عَدٌّ، وَلَا يُمْتَنُّ بِهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾.

---

(١) حدب عليه: عطف وأشفق عليه. انظر لسان العرب (٣/٧٤).
(٢) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/٤٠).
(٣) سورة القلم، الآيات (١ ـ ١٨).
(٤) غَمَصَه: احتقره وعابه. انظر لسان العرب (١٠/١٢٢).

ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا مَنَحَهُ مِنْ هِبَاتِهِ، وَهَدَاهُ إِلَيْهِ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ تَتْمِيمًا لِلتَّمْجِيدِ، بِحَرْفَيِ التَّأْكِيدِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَوْلَادَ بَنَاتِهِ يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ بِخِلَافِ بَنَاتِ غَيْرِهِ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيهِ أُخْرَى، وَيَقُولُ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»[2].

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا وُلِدَ الْحَسَنُ سَمَّيْتُهُ حَرْباً، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**أَرُونِيَ ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟**».

قَالَ: قُلْتُ: حَرْباً، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ هُوَ حَسَنٌ**»، فَلَمَّا وُلِدَ الْحُسَيْنُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**أَرُونِيَ ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟**».

قَالَ: قُلْتُ: حَرْبًا، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ هُوَ حُسَيْنٌ**»، فَلَمَّا وُلِد الثَّالِثُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**أَرُونِيَ ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟**».

---

(١) انظر الشفا بتعرف حقوق المصطفى (١/٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصلح ـ باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحسن بن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إن ابني هذا سيد**» ـ رقم الحديث (٢٧٠٤).

قَالَ: قُلْتُ: حَرْبًا، فَقَالَ ﷺ: «بَلْ هُوَ مُحَسِّنٌ»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «سَمَّيْتُهُمْ بِأَسْمَاءِ وَلَدِ هَارُونَ: شَبَّرٌ وَشَبِيرٌ وَمُشَبِّرٌ»[1].

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ حِلْيَةٌ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ، أَهْدَاهَا لَهُ، فِيهَا خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ، فِيهِ فُصٌّ حَبَشِيٌّ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِعُودٍ بِبَعْضِ أَصَابِعِهِ، مُعْرِضًا عَنْهُ، ثُمَّ دَعَا أُمَامَةَ بِنْتَ أَبِي الْعَاصِ ابْنَةَ ابْنَتِهِ[2]، فَقَالَ: «تَحَلَّيْ بِهَذَا يَا بُنَيَّةُ»[3].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّهُ يَخُصُّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ مِنَ الْأَحْكَامِ:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ أَنَّ عَمَّهُ حَدَّثَهُ ـ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ـ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَ[4] فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ، فَاسْتَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَقْضِيَهُ ثَمَنَ فَرَسِهِ، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَشْيَ، وَأَبْطَأَ الْأَعْرَابِيُّ، فَطَفِقَ[5] رِجَالٌ يَعْتَرِضُونَ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٧٦٩) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ـ باب ذكر الحسن والحسين ـ رقم الحديث (٦٩٥٨) ـ وأورده الحافظ في الإصابة (٦/١٩٢) وصحح إسناده.

(٢) زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٤٨٨٠) ـ وأبو داود في سننه ـ كتاب الخاتم ـ باب ما جاء في الذهب للنساء ـ رقم الحديث (٤٢٣٥).

(٤) اتباع الشيء: اشتراه. انظر لسان العرب (١/٥٥٧).

(٥) طَفِقَ: أي جَعَلَ. انظر لسان العرب (٨/١٧٤).

الْأَعْرَابِيَّ فَيُسَاوِمُونَ بِالْفَرَسِ، وَلَا يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَهُ، حَتَّى زَادَ بَعْضُهُمُ الْأَعْرَابِيَّ فِي السَّوْمِ عَلَى ثَمَنِ الْفَرَسِ الَّذِي ابْتَاعَهُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَادَى الْأَعْرَابِيُّ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ مُبْتَاعًا هَذَا الْفَرَسَ فَابْتَعْهُ، وَإِلَّا بِعْتُهُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ سَمِعَ نِدَاءَ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ: «**أَوَلَيْسَ قَدِ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ؟**».

قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا وَاللهِ مَا بِعْتُكَ.

فَقَالَ ﷺ: «**بَلَى قَدِ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ**»، فَطَفِقَ النَّاسُ يَلُوذُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَالْأَعْرَابِيِّ وَهُمَا يَتَرَاجَعَانِ، فَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ: هَلُمَّ شَهِيدًا يَشْهَدُ أَنِّي بَايَعْتُكَ، فَمَنْ جَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ: وَيْلَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ لِيَقُولَ إِلَّا حَقًّا، حَتَّى جَاءَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ لِمُرَاجَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمُرَاجَعَةِ الْأَعْرَابِيِّ، فَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ: هَلُمَّ شَهِيدًا يَشْهَدُ أَنِّي بَايَعْتُكَ، فَقَالَ خُزَيْمَةُ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ، فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خُزَيْمَةَ، فَقَالَ: «**بِمَ تَشْهَدُ؟**».

قَالَ: بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ـ وَاللَّفْظُ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الأقضية ـ باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد... ـ رقم الحديث (٣٦٠٧) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢١٨٨٣).

لِأَحْمَدَ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَنَّ أَبَا حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَبَنَّى سَالِمًا، كَمَا تَبَنَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا[١]، وَكَانَ مَنْ تَبَنَّى رَجُلاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ دَعَاهُ النَّاسُ ابْنَهُ، وَوَرِثَ مِنْ مِيرَاثِهِ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾[٢]، فَرُدُّوا إِلَى آبَائِهِمْ، فَمَنْ لَمْ يُعْلَمْ لَهُ أَبٌ، فَمَوْلَى وَأَخٌ فِي الدِّينِ، فَجَاءَتْ سَهْلَةُ[٣]، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، كُنَّا نَرَى سَالِمًا وَلَدًا، يَأْوِي مَعِي وَمَعَ أَبِي حُذَيْفَةَ، وَيَرَانِي فُضُلاً[٤]، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ مَا قَدْ عَلِمْتَ؟

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْضِعِيهِ خَمْسَ رَضَعَاتٍ»، فَكَانَ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ[٥].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْضِعِيهِ»، قَالَتْ: وَكَيْفَ أُرْضِعُهُ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ؟[٦].

---

(١) هو زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سورة الأحزاب آية (٥).

(٣) هي سهلة بنت سهيل بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زوج أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة.

(٤) فُضُلاً: أي متبذلة في ثياب مهنتي. انظر النهاية (٣/٤٠٨).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الرضاع ـ باب رضاعة الكبير ـ رقم الحديث (١٤٥٣) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٥٦٥٠).

(٦) في رواية أخرى في صحيح مسلم: قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إنه ذو لحية.

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «**قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ**»(١).

*** فَائِدَةٌ:**

ثَبَتَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَرَى رَضَاعَ الْكَبِيرِ يُؤَثِّرُ فِي التَّحْرِيمِ، فَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْكِ الْغُلَامُ الْأَيْفَعُ(٢) الَّذِي مَا أُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَمَا لَكِ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْوَةٌ؟

إِنَّ امْرَأَةَ أَبِي حُذَيْفَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ سَالِمًا يَدْخُلُ عَلَيَّ وَهُوَ رَجُلٌ، وَفِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْهُ شَيْءٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَرْضِعِيهِ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْكِ**»(٣).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ.

وَأَبَى ذَلِكَ سَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَأَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الْخَصَائِصِ، فَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَبَى سَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُدْخِلْنَ عَلَيْهِنَّ أَحَدًا بِتِلْكَ الرَّضَاعَةِ، وَقُلْنَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الرضاع ـ باب رضاعة الكبير ـ رقم الحديث (١٤٥٣) (٢٦).

(٢) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٠/٣٠): الغلام الأيفع: هُوَ الَّذِي قارب البلوغ ولم يبلغ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الرضاع ـ باب رضاعة الكبير ـ رقم الحديث (١٤٥٣) (٢٩).

وَاللهِ مَا نَرَى هَذَا إِلَّا رُخْصَةً أَرْخَصَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَالِمٍ خَاصَّةً، فَمَا هُوَ بِدَاخِلٍ عَلَيْنَا أَحَدٌ بِهَذِهِ الرَّضَاعَةِ[1].

وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَحُجَّةُ الْجُمْهُورِ ـ مِنْهُمُ الْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ، وَالْفُقَهَاءُ السَّبْعَةُ، وَالْأَكَابِرُ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَسَائِرُ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِوَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**انْظُرْنَ مَا إِخْوَانُكُنَّ**[2]**، فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ**»[3].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ السِّوَاكَ فِي حَقِّهِ وَاجِبًا عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْغَسِيلِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أُمِرَ بِالْوُضُوءِ لِكُلِّ صَلَاةٍ طَاهِرًا كَانَ أَوْ غَيْرَ طَاهِرٍ، فَلَمَّا شَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الرضاع ـ باب رضاعة الكبير ـ رقم الحديث (١٤٥٤).

(٢) قال الحافظ في الفتح (١٠/١٨٤): المعنى تأملن ما وقع من ذلك هل هُوَ رضاع صحيح بشرطه: من وقوعه في زمن الرضاعة، ومقدار الارتضاع.

(٣) قال الحافظ في الفتح (١٠/١٨٥): أي الرضاعة الَّتِي تثبت بها الحرمة وتحل بها الخلوة هي حيث يكون الرضيع طفلاً لسد اللبن جوعته، لأن معدته ضعيفة يكفيها اللبن وينبت بذلك لحمه فيصير كجزء من المرضعة فيشترك في الحرمة مع أولادها.

والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب النكاح ـ باب من قَالَ: لارضاع بعد حولين ـ رقم الحديث (٥١٠٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الرضاع ـ باب إنما الرضاعة من المجاعة ـ رقم الحديث (١٤٥٥) ـ وانظر كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/٦٣٤).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرَ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَوُضِعَ عَنْهُ الْوُضُوءُ إِلَّا مِنْ حَدَثٍ[(١)].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ[(٢)]، فَيَبْعَثُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ[(٣)].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ يَمْلَأُ الْقُبُورَ نُورًا بِبَرَكَةِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ[(٤)] الْمَسْجِدَ، فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقَالُوا: مَاتَتْ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«**أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي**»[(٥)]، قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا**»، فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢١٩٦٠) ـ وأبو داود في سننه ـ كتاب الطهارة ـ باب السواك ـ رقم الحديث (٤٨).

(٢) الطَهُور: بفتح الطاء هُوَ الماء الَّذِي يُتطهر به. انظر النهاية (٣/١٣٣).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب جامع صلاة الليل... ـ رقم الحديث (٧٤٦) (١٣٩) ـ الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٤٢٦٩).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٢/١٢٦): تَقُمُّ: بقاف مضمومة أي تجمع القمامة.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٢/١٢٧): آذنتموني: أي أعلمتموني.

مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»[1].

قَالَ السِّنْدِيُّ فِي شَرْحِ الْمُسْنَدِ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»؛ أُخِذَ مِنْهُ خُصُوصُ الصَّلَاةِ عَلَى الْقَبْرِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا وَرَدْنَا الْبَقِيعَ، إِذَا هُوَ بِقَبْرٍ جَدِيدٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقِيلَ: فُلَانَةٌ، فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: «أَلَا آذَنْتُمُونِي بِهَا»؟

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كُنْتُ قَائِلاً[3] صَائِمًا، فَكَرِهْنَا أَنْ نُؤْذِنَكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَفْعَلُوا، لَا يَمُوتَنَّ فِيكُمْ مَيِّتٌ مَا كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ إِلَّا آذَنْتُمُونِي بِهِ، فَإِنَّ صَلَاتِي عَلَيْهِ لَهُ رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتَى الْقَبْرَ، فَصَفَّنَا خَلْفَهُ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا[4].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَخْفِيفُ الْعَذَابِ عَلَى مَنْ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب الصلاة على القبر ـ رقم الحديث (٩٥٦) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٩٠٣٧) ـ وأخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب كنس المسجد... ـ رقم الحديث (٤٥٨) ـ دون ذكر: إن هذه القبور... الخ.

(٢) انظر شرح المسند للسندي (٦/١٧٦).

(٣) قائلاً: من القيولة، وهي نوم نصف النهار. انظر النهاية (٤/١١٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٩٤٥٢) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الجنائز ـ باب ما جاء في الصلاة على القبر ـ رقم الحديث (١٥٢٨).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ[1]، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**[2]، **أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ**[3] **مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»[4]، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ فَعَلْتَ؟

قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»[5].

قَالَ الْإِمَامُ الْخَطَّابِيُّ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ دَعَا لَهُمَا بِالتَّخْفِيفِ مُدَّةَ بَقَاءِ النَّدَاوَةِ، لَا أَنَّ فِي الْجَرِيدَةِ مَعْنًى يَخُصُّهُ، وَلَا أَنَّ فِي

---

(١) زاد ابن ماجه في سننه: «جديدين».

(٢) زاد البخاري في رواية أخرى في صحيحه ـ رقم الحديث (٢١٦): ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بلى».
وصَرّح بذلك البخاري في ـ كتاب الأدب ـ باب النميمة من الكبائر ـ رقم الحديث (٦٠٥٥) من طريق عبد بن حميد عن منصور، فقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وما يعذبان في كبير، وإنه لكبير**».

(٣) في رواية أخرى في صحيح مسلم ـ رقم الحديث ـ (٢٩٢): «**لا يستنزه**».
قال الحافظ في الفتح (١/٤٢٤): فعلى رواية الأكثر معنى الاستتار: أنه لا يجعل بينه وبين بوله سترة يعني لا يتحفظ منه، فتوافق رواية لا يستنزه لأنها من التنزه وهو الإبعاد.

(٤) النميمة: هي نقل الحديث من قوم إلى قوم، على وجهة الإفساد والشر. انظر النهاية (٥/١٠٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الوضوء ـ باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله ـ رقم الحديث (٢١٦) (٢١٨) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الطهارة ـ باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ـ رقم الحديث (٢٩٢) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الطهارة ـ باب التشديد في البول ـ رقم الحديث (٣٤٧).

الرَّطْبِ مَعْنًى لَيْسَ فِي الْيَابِسِ[1].

وَقَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: وَأَمَّا وَضْعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَرِيدَتَيْنِ عَلَى الْقَبْرِ، فَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ الشَّفَاعَةَ لَهُمَا، فَأُجِيبَتْ شَفَاعَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّخْفِيفِ عَنْهُمَا إِلَى أَنْ يَيْبَسَا[2] ـ كَمَا سَيَأْتِي فِي حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْآتِي ـ.

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: فِي الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ، وَفِيهِ: ثُمَّ أَقْبَلَ ـ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ قَالَ: **«يَا جَابِرُ! هَلْ رَأَيْتَ مَقَامِي؟»**.

قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **«فَانْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، فَأَقْبِلْ بِهِمَا، حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي، فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ»**.

قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجَرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَسَرْتُهُ[3]، فَانْذَلَقَ[4] لِي، فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ، فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجُرُّهُمَا حَتَّى قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَرْسَلْتُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِي،

(١) انظر فتح الباري (٢/٤٢٧).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٣/١٧٢).

(٣) حسرته: أي قشره بالحجر. انظر النهاية (١/٣٦٩).

(٤) فانذلق: أي صار له حد يقطع. انظر النهاية (٢/١٥٣).

ثُمَّ لَحِقْتُهُ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَمَّ ذَاكَ؟

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرَفَّهَ[1] عَنْهُمَا، مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ»[2].

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْرِيفُ اللهِ تَعَالَى لِأَوْلَادِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَآلِ بَيْتِهِ مِنْ أَجْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾[3].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[4].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: هَذَا نَصٌّ فِي دُخُولِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ هَاهُنَا، لِأَنَّهُنَّ سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ[5].

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ فِي

---

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٨/١١٣): يُرَفَّهَ: أي يخفف.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الزهد والرقائق ـ باب حديث جابر الطويل... ـ رقم الحديث (٣٠١٢) ـ وابن حبان في صحيحه ـ رقم الحديث (٦٥٢٤).

(٣) سورة الأحزاب آية (٣١).

(٤) سورة الأحزاب آية (٣٣).

(٥) انظر تفسير ابن كثير (٦/٤١٠).

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَزَلَتْ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً[1].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: ـ مُعَلِّقًا عَلَى كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: إِنْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّهُنَّ كُنَّ سَبَبَ النُّزُولِ دُونَ غَيْرِهِنَّ فَصَحِيحٌ، وَإِنْ أُرِيدَ أَنَّهُنَّ الْمُرَادُ فَقَطُ دُونَ غَيْرِهِنَّ، فَفِي هَذَا نَظَرٌ، فَإِنَّهُ قَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا[3]، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: **«وَأَهْلُ بَيْتِي: أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»**، فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟

(١) أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦/٤١٠).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٦/٤١١).

(٣) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٥/١٤٦): خُمًّا: بضمِّ الخاء وتشديد الميم.

قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ[1] الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟

قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِم الصَّدَقَةَ؟

قَالَ: نَعَمْ[2].

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: الْمُرَادُ بِالْآلِ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى الْأَرْجَحِ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ[3].

ورَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَارَّنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **«أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ»**[4].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ

---

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٥/١٤٦): حُرِم هُوَ بضم الحاء وتخفيف الراء، والمراد بالصدقة الزكاة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ رقم الحديث (٢٤٠٨) (٣٦) ـ وأخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٩٢٦٥).

(٣) انظر فتح الباري (٤/١٢١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب علامات النبوة في الإسلام ـ رقم الحديث (٣٦٢٤) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضائل فاطمة بنت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٢٤٥٠) (٩٨).

حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... **إِنَّ هَذَا مَلَكٌ لَمْ يَنْزِلِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، وَيُبَشِّرَنِي بِأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ**(٣)**، وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَيْنِ**(٤) **تُكْمِلَانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ**»(٥).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: مَعْنَى تُكْمِلَانِ رَضَاعَهُ أَيْ تُتِمَّانِهِ سَنَتَيْنِ، فَإِنَّهُ تُوُفِّيَ وَلَهُ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ، فَتُرْضِعَانِهِ بَقِيَّةَ السَّنَتَيْنِ(٦).

وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَصَحَّحَهُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب المناقب ـ باب مناقب الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ رقم الحديث (٤١١٥) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٣٣٢٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٠٩٩٩).

(٣) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٥/٦١): معناه مات وهو في سن رضاع الثدي، أو في حال تغذّيه بلبن الثدي.

(٤) الظِّئر، بكسر الظاء هي المرضعة غير ولدها. انظر النهاية (٣/١٤٠).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصبيان والعيال ـ رقم الحديث (٢٣١٦) ـ وأخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٢١٠٢).

(٦) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٦٢).

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ»[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْرِيفُهُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[2].

قَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: صَلَاةُ اللهِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يُصَلُّونَ: يُبَرِّكُونَ[3].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، بِأَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، لِيَجْتَمِعَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمَيْنِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ جَمِيعًا[4].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ـ كتاب معرفة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ باب من قام إلى إمام جائر للحق فقتله... رقم الحديث (٤٩٣٦) ـ وأورد طرقه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة ـ رقم الحديث (٣٧٤) ـ وختم قوله: وهذه ترجمة هامة، وبالوقوف عليها اطمأن القلب لثبوت الحديث، فاقتضى ذلك إيراده في هذه السلسلة، والحمد لله على توفيقه وفضله.

(٢) سورة الأحزاب آية (٥٦).

(٣) علقه الإمام البخاري في صحيحه (٤٨٩/٩).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٤٥٧/٦).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»**[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ»**[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَامِرِ بنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ»**[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا شِئْتَ»**، قُلْتُ: الرُّبُعُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ»**، قُلْتُ: فَالنِّصْفُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ»**، قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ»**، قُلْتُ:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد التشهد ـ رقم الحديث (٤٠٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١١٩٩٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٥٦٨٠).

أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ ﷺ: «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»[1].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ الْقَيِّمِ «**جِلَاءُ الأَفْهَامِ**» سُئِلَ شَيْخُنَا أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: كَانَ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُعَاءٌ يَدْعُو بِهِ لِنَفْسِهِ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: هَلْ يَجْعَلُ لَهُ مِنْهُ رُبْعَهُ صَلَاةً عَلَيْهِ ﷺ؟.

فَقَالَ ﷺ: «**إِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، فَقَالَ لَهُ: النِّصْفُ؟

فَقَالَ ﷺ: «**إِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، إِلَى أَنْ قَالَ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي، أَيْ أَجْعَلُ دُعَائِي كُلَّهُ صَلَاةً عَلَيْكَ؟

قَالَ ﷺ: «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»، لِأَنَّ مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، وَمَنْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ كَفَاهُ هَمَّهُ، وَغَفَرَ لَهُ ذَنْبَهُ[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ الِاقْتِدَاءِ بِهِ مُطْلَقًا:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب صفة القيامة والرقائق ـ باب (١٩) ـ رقم الحديث (٢٦٢٥) ـ وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) انظر جلاء الأفهام (ص١٤٩).

(٣) سورة الأحزاب آية (٢١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ[1].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

قَالَ الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ: لَمَّا نَهَى ـ اللهُ سُبْحَانَهُ ـ عَنْ مُوَالَاةِ الكُفَّارِ، ذَكَرَ قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ مِنْ سِيرَتِهِ التَّبَرُّؤُ مِنَ الْكُفَّارِ، أَيْ: فَاقْتَدُوا بِهِ وَأْتَمُّوا، إِلَّا فِي اسْتِغْفَارِهِ لِأَبِيهِ... وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ، لِأَنَّا حِينَ أُمِرْنَا بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ أُمِرْنَا أَمْرًا مُطْلَقًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3]، وَحِينَ أُمِرْنَا بِالِاقْتِدَاءِ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَثْنَى بَعْضَ أَفْعَالِهِ[4].

* * *

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٦/٣٩١).

(٢) سورة الممتحنة آية (٤).

(٣) سورة الحشر آية (٧).

(٤) انظر تفسير القرطبي (٢٠/٤٠٣ ـ ٤٠٤).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ الْحُكْمُ وَالْفَتْوَى فِي حَالَةِ الْغَضَبِ لِأَنَّهُ مَأْمُونٌ عَلَيْهِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا ـ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ ـ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَحْكُمُ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانٌ**»(١).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ النَّهْيُ عَنِ الْقَضَاءِ فِي حَالِ الْغَضَبِ(٢).

أَمَّا فِي حَقِّ الرَّسُولِ ﷺ فَلَا يُكْرَهُ لِأَنَّهُ لَا يُخَافُ عَلَيْهِ فِي الْغَضَبِ، مَا يُخَافُ عَلَيْنَا، وَهَذا مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ.

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ اللُّقَطَةِ(٣)؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَرِّفْهَا سَنَةً، ثُمَّ اعْرِفْ وِكَاءَهَا(٤) وَعِفَاصَهَا(٥)**،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأحكام ـ باب هل يقضي القاضي أو يُفتي وهو غضبان؟ ـ رقم الحديث (٧١٥٨) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الأقضية ـ باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان ـ رقم الحديث (١٧١٧).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/١٤).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٥/٣٦١): اللُّقطة: هُوَ الشيء الَّذِي يُلتقط وهو بضم اللام وفتح القاف.

(٤) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٢/٢٠): الوكاء هُوَ الخيط الَّذِي يشد فيه الوعاء.

(٥) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٢/٢٠): العفاص: بكسر العين هُوَ الوعاء=

ثُمَّ اسْتَنْفِقْ[1] **بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا**[2] **فَأَدِّهَا إِلَيْهِ**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ فَضَالَّةُ الْغَنَمِ؟

قَالَ ﷺ: «**خُذْهَا، فَإِنَّمَا هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ فَضَالَّةُ الْإِبِلِ؟

فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ[3] ـ أَوِ احْمَرَّ وَجْهُهُ ـ ثُمَّ قَالَ: «**مَا لَكَ وَلَهَا؟ مَعَهَا حِذَاؤُهَا**[4] **وَسِقَاؤُهَا**[5] **حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا**»[6].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ سَالِمٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ[7]، فَذَكَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَتَغَيَّظَ

= الَّتِي تكون فيه النفقة جلداً كان أو غيره.

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٢٢/١٢): معنى استنفق بها تملكها ثم أنفقها على نفسك.

(٢) ربها: هُوَ صاحبها ومالكها. انظر النهاية (١٦٥/٢).

(٣) الوجنة: أعلى الخد. انظر النهاية (١٣٨/٥).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٣٦٧/٥): الحذاء بكسر الحاء أي خفها.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٣٦٧/٥): سقاؤها: أي جوفها وقيل عنقها، وأشار بذلك إلى استغنائها عن الحفظ لها بما رُكِّب في طباعها من الجلادة على العطش وتناول المأكول بغير تعب لطول عنقها فلا تحتاج إلى ملتقط.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب اللقطة ـ باب ضالة الإبل ـ رقم الحديث (٢٤٢٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب اللقطة ـ رقم الحديث (١٧٢٢) (٢).

(٧) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٥٢/١٠): أجمعت الأمة على تحريم طلاق الحائض الحائل بغير رضاها، فلو طلقها أثم، ووقع طلاقه ويؤمر بالرجعة لحديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا المذكور.

فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «**لِيُرَاجِعْهَا ثُمَّ يُمْسِكْهَا، حَتَّى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيضَ فَتَطْهُرَ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا**»[1].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شِرَاجِ[2] الْحَرَّةِ[3] الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرِّحِ[4] الْمَاءَ يَمُرُّ، فَأَبَى عَلَيْهِ، فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ: «**اِسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ**»، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ، فَتَلَوَّنَ[5] وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «**اِسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ**»[6]،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأحكام ـ باب هل يقضي القاضي أو يفتى وهو غضبان؟ ـ رقم الحديث (٧١٦٠) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الطلاق ـ باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها ـ رقم الحديث (١٤٧١) (٤).

(٢) شِراج: بكسر الشين جمع شَرْج بفتح أوله وسكون الراء هُوَ مسيل الماء من الحرة إلى السهل. انظر النهاية (٢/٤٠٨).

(٣) الحرة: هي أرض بظاهر المدينة بها حجارة سوداء كثيرة. انظر النهاية (١/٣٥١).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٥/٣٠٩): سَرِّح فعل أمر من التسريح أي أطلقه، وإنما قال له ذلك لأن الماء كان يمر بأرض الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل أرض الأنصاري فيحبسه لإكمال سقي أرضه ثم يرسله إلى أرض جاره، فالتمس منه الأنصاري تعجيل ذلك فامتنع.

(٥) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٥/٨٨): فتلون أي تغير وجهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغضب لانتهاك حرمات النبوة، وقبح كلام هذا الإنسان.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٥/٣١٠): الجَدْر بفتح الجيم وسكون الدال هُوَ المسناة، وهو ما وضع بين شربات النخل كالجدار، وقيل المراد الحواجز الَّتِي تحبس الماء.

فَقَالَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللهِ إِنِّي لَأَحْسَبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾(١).

قَالَ الْإِمَامُ الْخَطَّابِيُّ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: إِنَّمَا حَكَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَنْصَارِيِّ فِي حَالِ غَضَبِهِ مَعَ نَهْيِهِ أَنْ يَحْكُمَ الْحَاكِمُ وَهُوَ غَضْبَانٌ، لِأَنَّ النَّهْيَ مُعَلَّلٌ بِمَا يُخَافُ عَلَى الْحَاكِمِ مِنَ الْخَطَأِ وَالْغَلَطِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَأْمُونٌ لِعِصْمَتِهِ مِنْ ذَلِكَ حَالَ السُّخْطَ(٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَوْمَأَ(٣) بِإِصْبَعِهِ إِلَيَّ فِيهِ(٤)، فَقَالَ: «**اكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا يَخْرُجُ مِنْهُ(٥) إِلَّا حَقٌّ**»(٦).

---

(١) سورة النساء آية (٦٥) ـ والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المساقاة ـ باب سَكرِ الأنهار ـ رقم الحديث (٢٣٥٩) (٢٣٦٠) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب وجوب اتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٢٣٥٧).

(٢) انظر فتح الباري (٥/٣١٢).

(٣) الإيماء: الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب. انظر النهاية (١/٨٢).

(٤) أي فمه.

(٥) في رواية الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ «مني».

(٦) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٦٥١٠) ـ وأبو داود في سننه ـ كتاب العلم=

* قِصَّةٌ لَا تَثْبُتُ:

رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَ: اخْتَصَمَ رَجُلَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَضَى بَيْنَهُمَا، فَقَالَ الَّذِي قَضَى عَلَيْهِ: رُدَّنَا إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْطَلِقَا إِلَيْهِ**».

فَلَمَّا أَتَيَا إِلَيْهِ قَالَ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، قَضَى لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: رُدَّنَا إِلَى عُمَرَ، فَرَدَّنَا إِلَيْكَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَكَذَاكَ؟

قَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ، فَقَالَ عُمَرُ: مَكَانَكُمَا حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْكُمَا فَأَقْضِيَ بَيْنَكُمَا، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا مُشْتَمِلاً عَلَى سَيْفِهِ، فَضَرَبَ عُنُقَ الَّذِي قَالَ رُدَّنَا إِلَى عُمَرَ فَقَتَلَهُ، وَأَدْبَرَ الْآخَرُ فَارًّا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَتَلَ عُمَرُ وَاللهِ صَاحِبِي، وَلَوْلَا أَنِّي أَعْجَزْتُهُ لَقَتَلَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَجْتَرِئَ عُمَرُ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾...، فَهَدَرَ دَمَ ذَلِكَ الرَّجُلِ، وَبَرِئَ عُمَرُ مِنْ قَتْلِهِ، فَكَرِهَ اللهُ أَنْ يُسَنَّ ذَلِكَ بَعْدُ، فَأَنْزَلَ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[1].

= ـ باب في كتاب العلم ـ رقم الحديث (٣٦٤٦).

(١) سورة النساء آية (٦٦) ـ وأورد هذه القصة الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/٣٥١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: هَذَا أَثَرٌ غَرِيبٌ، وَهُوَ مُرْسَلٌ، وَابْنُ لَهِيعَةَ ضَعِيفٌ(١).

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ بَنَاتَهُ لَا يُتَزَوَّجُ عَلَيْهِنَّ فِي حَيَاتِهِنَّ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ يَقُولُ: «**أَمَّا بَعْدُ أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي**(٢)**، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ**(٣) **مِنِّي، وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا، وَاللهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ**»(٤).

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/٣٥١).

(٢) قال ابن الأثير في جامع الأصول (١١/٥٠٤): هذا المشار إليه بالوعد والوفاء هُوَ: أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان أُسر في غزوة بدر الكبرى، فنفذت زينب فداءه من مكة، فعرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الَّذِي نفذته قِلادةً كانت لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَرَقَّ لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقة شديدة، واستطلق أسيرها من المسلمين، وشرط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي العاص بن الربيع أن يُنفذ زينب إليه إذا وصل إلى مكة، ففعل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) البضعة: بفتح الباء: هي القطعة من اللحم، وقد تُكسر، أي أنها جزء منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أن القطعة من اللحم جزء من اللحم. انظر النهاية (١/١٣٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ باب ذكر أصهار=

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَنِي هِشَامِ بنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُوا فِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلَا آذَنُ، ثُمَّ لَا آذَنُ، ثُمَّ لَا آذَنُ، إِلَّا أَنْ يُرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي يُرِيبُنِي مَا أَرَابَهَا، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا»[1].

وَفِي لَفْظٍ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي، وَأَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا»، ثُمَّ ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِهْرًا[2] لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ[3]، فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ، قَالَ: «حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي، وَإِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالاً، وَلَا أُحِلُّ حَرَاماً، وَلَكِنْ وَاللهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ أَبَدًا»، فَتَرَكَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْخِطْبَةَ[4].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: أَيْ هِيَ لَهُ حَلَالٌ لَوْ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ فَاطِمَةُ، وَأَمَّا

= النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٣٧٢٩) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ باب فضائل فاطمة بنت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٢٤٤٩) (٩٦).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب النكاح ـ باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف ـ رقم الحديث (٥٢٣٠) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب فاطمة بنت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٢٤٤٩) (٩٣).

(٢) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٦/٤): الصهر يُطلق على الزوج وأقاربه، وأقارب المرأة.

(٣) هو أبو العاص بن الربيع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ زوج زينب بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فرض الخمس ـ باب ما ذُكر من درع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعصاه... ـ رقم الحديث (٣١١٠) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضائل فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٢٤٤٩) (٩٥).

الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا الَّذِي يَسْتَلْزِمُ تَأَذِّيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَأَذِّي فَاطِمَةَ بِهِ فَلَا، وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّهُ لَا يَبْعُدُ أَنْ يُعَدَّ فِي خَصَائِصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يُتَزَوَّجَ عَلَى بَنَاتِهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ خَاصًّا بِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَا يَنْتَقِضُ وُضُوؤُهُ بِالنَّوْمِ الْعَمِيقِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَوَضَّأَ مِنْ شَنٍّ[2] مُعَلَّق وُضُوءً خَفِيفًا، وَقَامَ يُصَلِّي، فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَحَوَّلَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ[3]، ثُمَّ أَتَاهُ الْمُنَادِي فَآذَنَهُ[4] بِالصَّلَاةِ، فَقَامَ مَعَهُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَصَلَّى، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ[5].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: هَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) انظر فتح الباري (١٠/٤١٢).

(٢) الشَّنّ: بفتح الشين وتشديد النون هي القربة. انظر النهاية (٢/٤٥٣).

(٣) في رواية أخرى في صحيح البخاري ـ رقم الحديث (١١٧) ـ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ثم نام حتى سمعت غطيطه.
الغطيط: هُوَ الصوت الَّذِي يخرج مع نفس النائم. انظر النهاية (٣/٣٣٥).

(٤) قال الحافظ في الفتح (١/٣٢٢): آذنه أي أعلمه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الوضوء ـ باب التخفيف في الوضوء ـ رقم الحديث (١٣٨) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ـ رقم الحديث (٧٦٣) (١٨٦).

أَنَّ نَوْمَهُ مُضْطَجِعًا لَا يَنْقُضُ الْوُضُوءَ لِأَنَّ عَيْنَيْهِ تَنَامَانِ، وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، فَلَوْ خَرَجَ حَدَثٌ لَأَحَسَّ بِهِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ[1].

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ نَوْمِهِ لَا يَنْقُضُ وُضُوءَهُ أَنْ لَا يَقَعَ مِنْهُ حَدَثٌ وَهُوَ نَائِمٌ، نَعَمْ خُصُوصِيَّتُهُ أَنَّهُ إِنْ وَقَعَ شَعَرَ بِهِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ جَمَعَ لَهُ بَيْنَ القبلتين:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣) قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[3].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٤٠).

(٢) انظر فتح الباري (١/ ٣٨٦).

(٣) سورة البقرة آية (١٤٢ - ١٤٤).

شَهْرًا[١]، ثُمَّ صُرِفْنَا نَحْوَ الْكَعْبَةِ[٢].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ بَعْدُ[٣].

وَكانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِمَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَجْعَلُ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيُصِيبُ الْقِبْلَتَيْنِ مَعًا، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَهُوَ بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالْكَعْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعْدَمَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفَ إِلَى الْكَعْبَةِ[٤].

❊ فَائِدَةٌ:

رَوَى النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

---

(١) قال الحافظ في الفتح (١/١٣٤): والجمع بين الروايتين سهل بأن يكون من جزم بستة عشر لفَّق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً وألغى الزائد، ومن جزم بسبعة عشر شهراً عَدَّهما معاً، ومن شك تردد في ذلك، وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الصلاة من الإيمان ـ رقم الحديث (٤٠) ـ وأخرجه في كتاب الصلاة ـ باب التوجه نحو القبلة حيث كان ـ رقم الحديث (٣٩٩) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ـ رقم الحديث (٥٢٥) (١٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٢٥٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٩٩١).

أَوَّلُ مَا نُسِخَ مِنَ الْقُرْآنِ الْقِبْلَةُ[1].

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مَدَحَهُ وَزَكَّاهُ:

زَكَّى اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَقْلِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[2].

وَزَكَّى اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَصَرِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[3].

وَزَكَّى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صِدْقِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[4].

وَزَكَّى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُعَلِّمِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[5].

وَزَكَّى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[6].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ـ رقم الحديث (٥٦٧٤) ـ وأورده ابن الأثير في جامع الأصول ـ رقم الحديث (٥٩٤٧).

(٢) سورة النجم آية (٢).

(٣) سورة النجم آية (١٧).

(٤) سورة النجم آية (٣).

(٥) سورة النجم آية (٥).

(٦) سورة الشرح آية (١).

وَزَكَّى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طُهْرِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾(١).

وَزَكَّى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِكْرِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(٢).

وَزَكَّى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِلْمِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

وَزَكَّى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُلُقِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٤).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ صُحْبَتَهُ تَثْبُتُ وَلَوِ اجْتُمِعَ بِهِ لَحْظَةً:

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْإِصَابَةِ: الصَّحَابِيُّ هُوَ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤْمِنًا بِهِ، ومَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَيَدْخُلُ فِيمَنْ لَقِيَهُ مَنْ طَالَتْ مُجَالَسَتُهُ لَهُ أَوْ قَصُرَتْ، وَمَنْ رَوَى عَنْهُ أَوْ لَمْ يَرْوِ، وَمَنْ غَزَا مَعَهُ أَوْ لَمْ يَغْزُ، وَمَنْ رَآهُ رُؤْيَةً وَلَوْ لَمْ يُجَالِسْهُ، وَمَنْ لَمْ يَرَهُ لِعَارِضٍ كَالْعَمَى(٥).

وَهَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ فَلَا يَكُونُ صَاحِبًا لَهُ

---

(١) سورة الشرح آية (٢).

(٢) سورة الشرح آية (٤).

(٣) سورة التوبة آية (١٢٨).

(٤) سورة القلم آية (٤).

(٥) انظر الإصابة (١٥٨/١).

إِلَّا مَنْ لَازَمَهُ مُدَّةً طَوِيلَةً يَسْتَحِقُّ بِهَا أَنْ يَنْطَبِقَ عَلَيْهِ وَصْفُ صَاحِبٍ.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: نَصَّ عَلَى أَنَّ مُجَرَّدَ الرُّؤْيَةِ كَافٍ فِي إِطْلَاقِ الصُّحْبَةِ: الْبُخَارِيُّ[1]، وَأَبُو زُرْعَةَ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ صَنَّفَ فِي أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ، كَابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ[2]، وَابْنِ مَنْدَةَ، وَأَبِي مُوسَى الْمَدِينِيِّ، وَابْنِ الْأَثِيرِ فِي كِتَابِهِ: أُسْدِ الْغَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ[3]، وَهُوَ أَجْمَعُهَا وَأَكْثَرُهَا فَوَائِدَ وَأَوْسَعُهَا[4].

*** رِوَايَةٌ مُخَالِفَةٌ:**

سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ غَيْرُكَ؟

قَالَ: نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ رَأَوْهُ، فَأَمَّا مَنْ صَحِبَهُ فَلَا.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: إِنَّمَا نَفَى أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِ الصُّحْبَةَ الْخَاصَّةَ، وَلَا يُنْفَى مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنْ أَنَّ مُجَرَّدَ الرُّؤْيَةِ كَافٍ فِي إِطْلَاقِ الصُّحْبَةِ،

---

(١) قال الإمام البخاري في صحيحه: باب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن صحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.
وقال الحافظ في الفتح (٣٤٩/٧): وهذا الذي ذكره البخاري هو الراجح... والذي جزم به البخاري هو قول أحمد والجمهور من المحدثين.

(٢) انظر الاستيعاب (١١٨/١).

(٣) انظر أسد الغابة (٨/١).

(٤) انظر الباعث الحثيث ص ١٦١.

لِشَرَفِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ، وَقَدْرِ مَنْ رَآهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ(١).

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْرِيمُ التَّكَنِّي بِكُنْيَتِهِ - عَلَى خِلَافٍ فِيهَا -:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: نَادَى رَجُلٌ رَجُلاً بِالْبَقِيعِ(٢): يَا أَبَا الْقَاسِمِ! فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي لَمْ أَعْنِكَ، إِنَّمَا دَعَوْتُ فُلَاناً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تَسَمَّوْا بِاسْمِي، وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي»**(٣).

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَجْمَعَ أَحَدٌ بَيْنَ اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ(٤).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا غُلَامٌ فَسَمَّاهُ الْقَاسِمَ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: لَا نَكْنِيكَ أَبَا الْقَاسِمِ وَلَا نُنْعِمُكَ عَيْنًا، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ وُلِدَ لِي غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ الْقَاسِمَ،

---

(١) انظر الباعث الحثيث ص ١٦١.

(٢) في رواية أخرى في صحيح البخاري ـ رقم الحديث (٢١٢٠) ـ والترمذي في جامعه (١١٦/٥): في السوق.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب البيوع ـ باب ما ذُكر في الأسواق ـ رقم الحديث (٢١٢١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الآداب ـ باب النهى عن التكني بأبي القاسم... ـ رقم الحديث (٢١٣١).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب الاستئذان والآداب ـ باب ما جاء في كراهية الجمع بين اسم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكنيته ـ رقم الحديث (٣٠٥٣).

فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: لَا نَكْنِيكَ أَبَا الْقَاسِمِ وَلَا نُنْعِمُكَ عَيْنًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَحْسَنَتِ الْأَنْصَارُ، فَسَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي**»[١].

قَالَ السِّنْدِيُّ فِي شَرْحِ الْمُسْنَدِ: مُقْتَضَاهُ أَنَّ عِلَّةَ النَّهْيِ الِالْتِبَاسُ الْمُتَرَتِّبُ عَلَيْهِ الإِيذَاءُ حِينَ مُنَادَاةِ بَعْضِ النَّاسِ، وَالِالْتِبَاسُ لَا يَتَحَقَّقُ فِي الِاسْمِ، لِأَنَّهُمْ نُهُوا عَنْ نِدَائِهِ ﷺ بِالِاسْمِ، فَقَال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا...**﴾[٢]، وَلِلتَّعْلِيمِ الْفِعْلِيِّ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ، حَيْثُ لَمْ يُخَاطِبْهُ فِي كَلَامِهِ إِلَّا بِمِثْلِ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ**﴾، وَأَمَّا الْمُنَادَاةُ بِالْكُنْيَةِ، فَجَائِزَةٌ، فَالِاشْتِرَاكُ فِيهَا يُوجِبُ الِالْتِبَاسَ، نَعَمْ هَذَا الِالْتِبَاسُ إِنَّمَا هُوَ فِي حَيَاتِهِ ﷺ، فَلِذَلِكَ خَصَّ بَعْضُهُمُ النَّهْيَ بِحَالِ حَيَاتِهِ ﷺ، وَأَخَذَ بَعْضُهُمْ بِعُمُومِهِ[٣].

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ قَوِيٍّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وُلِدَ لِي بَعْدَكَ، أُسَمِّيهِ مُحَمَّدٌ وَأَكْنِيهِ بِكُنْيَتِكَ؟ قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَكَانَتْ رُخْصَةً لِي[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فرض الخمس ـ باب قول الله تَعَالَى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ ـ رقم الحديث (٣١١٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الآداب ـ باب النهي عن التكني بأبي القاسم... ـ رقم الحديث (٢١٣٣) (٧).

(٢) سورة النور آية (٦٣).

(٣) انظر شرح المسند للإمام السندي (١٨٤/٥).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الأدب ـ باب في الرخصة في الجمع بينهما ـ أي بين=

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ: اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي التَّكَنِّي بِكُنْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ وَطَاوُوسَ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ.

وَكَرِهَ قَوْمٌ الْجَمْعَ بَيْنَ اسْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنْيَتِهِ، وَجَوَّزَ التَّكَنِّي بِأَبِي الْقَاسِمِ إِذَا لَمْ يَكُنِ اسْمُهُ مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ، لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ السَّالِفِ ـ **«لَا تَجْمَعُوا بَيْنَ اسْمِي وَكُنْيَتِي»**.

وَرَخَّصَ بَعْضُهُمْ فِي الْجَمْعِ، وَقَالَ: إِنَّمَا كُرِهَ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِئَلَّا يُشْتَبَهَ، يُرْوَى ذَلِكَ عَنْ مَالِكٍ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ يُكْنَى أَبَا الْقَاسِمِ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَمُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ، جَمَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَيْنَ اسْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنْيَتِهِ.

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ: وَالْأَحَادِيثُ فِي النَّهْيِ الْمُطْلَقِ أَصَحُّ[1].

❊ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

= اسم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكنيته ـ رقم الحديث (٤٩٦٧) ـ والترمذي في جامعه ـ كتاب الاستئذان والآداب ـ باب ما جاء في كراهية الجمع بين اسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكنيته ـ رقم الحديث (٣٠٥٦).

(١) انظر شرح السنة (١٢/٣٣١ ـ ٣٣٢).

جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ وَلَدْتُ غُلَامًا فَسَمَّيْتُهُ مُحَمَّدًا وَكَنَّيْتُهُ أَبَا الْقَاسِمِ، فَذُكِرَ لِي أَنَّكَ تَكْرَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ ﷺ: «**مَا الَّذِي أَحَلَّ اسْمِي وَحَرَّمَ كُنْيَتِي؟ أَوْ مَا الَّذِي حَرَّمَ كُنْيَتِي وَأَحَلَّ اسْمِي؟**»(١).

فَهَذَا الْحَدِيثُ مُنْكَرٌ، وَقَدْ نَصَّ عَلَى نَكَارَةِ مَتْنِهِ الذَّهَبِيُّ فِي مِيزَانِ الِاعْتِدَالِ(٢)، وَالْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ(٣).

❁ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ جَوَازُ التَّبَرُّكِ بِآثَارِهِ:

لَا شَكَّ أَنَّ التَّبَرُّكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَبِآثَارِهِ مَشْرُوعٌ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُبَارَكٌ فِي ذَاتِهِ وَآثَارِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ، وَأَقَرَّهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى ذَلِكَ ـ كَمَا سَيَأْتِي ـ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ ﷺ.

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: هَذِهِ جُبَّةُ(٤) رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حَتَّى قُبِضَتْ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٥٠٤٠) ـ وأبو داود في سننه ـ كتاب الأدب ـ باب في الرخصة في الجمع بينهمَا ـ أي بين اسم النبي ﷺ وكنيته ـ رقم الحديث (٤٩٦٨).

(٢) انظر ميزان الاعتدال (٤/٢٢٦).

(٣) انظر تهذيب التهذيب (٣/٦٦٦).

(٤) الجُبَّة: نوع من الثياب. انظر لسان العرب (٢/١٦١).

فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُهَا، فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه وَمَرْوَانِ بنِ الْحَكَمِ قَالَا: ـ فِي الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ فِي قِصَّةِ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ ـ: ... فَجَعَلَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ[2] يَرْمُقُ[3] أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ[4].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَالْحَلَّاقُ يَحْلِقُهُ، وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلَّا فِي يَدِ رَجُلٍ[5].

ورَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب اللباس والزينة ـ باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء ـ رقم الحديث (٢٠٦٩) (١٠).

(٢) عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه في ذلك الوقت ـ أيام صلح الحديبية ـ كان مشركاً، ثم إنه أسلم بعد فتح مكة رضي الله عنه وحسن إسلامه. انظر الإصابة (٤/٤٠٦).

(٣) يرمق: بفتح الياء وضم الميم أي ينظر. انظر لسان العرب (٥/٣١٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الشروط ـ باب الشروط في الجهاد ـ رقم الحديث (٢٧٣١) (٢٧٣٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب قرب النبي ﷺ من الناس، وتبركهم به ـ رقم الحديث (٢٣٢٥).

اللهِ ﷺ فِي قُبَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ[1]، وَرَأَيْتُ بِلَالاً أَخَذَ وَضُوءَ[2] رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَبْتَدِرُونَ[3] ذَاكَ الوَضُوءَ، فَمَنْ أَصَابَ مِنْهُ شَيْئاً تَمَسَّحَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ شَيْئًا أَخَذَ مِنْ بَلَلِ يَدِ صَاحِبِهِ[4].

وَبَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: بَابُ الشُّرْبِ مِنْ قَدَحِ النَّبِيِّ ﷺ وَآنِيَتِه[5]، ثُمَّ سَاقَ حَدِيثَ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه، وَقَوْلِهِ لِأَبِي بُرْدَةَ: أَلَا أَسْقِيكَ فِي قَدَحٍ شَرِبَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ[6].

وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ جَعَلَ فِي حَنُوطِهِ صُرَّةً مِنْ مِسْكٍ أَوْ سُكٍّ[7] فِيهِ شَعَرٌ مِنْ شَعَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[8].

* * *

(١) الأَدَم: بفتح الهمزة هُوَ الجلد. انظر لسان العرب (٩٦/١).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٣٩/٢): الوَضوء بفتح الواو هُوَ الماء الَّذِي يتوضأ به.

(٣) بدرت إلى الشيء: أسرعت. انظر لسان العرب (٣٤٠/١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب الصلاة في الثوب الأحمر ـ رقم الحديث (٣٧٦) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب سترة المصلي ـ رقم الحديث (٥٠٣) (٢٥٠).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٢٣٤/١١): أي تبركًا به.

(٦) انظر صحيح البخاري ـ كتاب الأشربة ـ باب الشرب من قَدَح النبي ﷺ وآنيته.

(٧) السُك: بضم السين هُوَ نوع من الطيب يُركَّب من مسك ورامك عربي. انظر لسان العرب (٣١١/٦).

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ـ رقم الحديث (١١١٤١).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ:

وَهِيَ مُعْجِزَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ فِي حَيَاتِهِ ﷺ وَخَلَّدَ اللهُ ذِكْرَ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ الْعَظِيمَةِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾[1].

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ[2] بَيْنَهُمَا[3].

ورَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمِنًى[4]، فَقَالَ ﷺ: «**اشْهَدُوا**»[5]،

---

(١) سورة القمر آية (١ ـ ٥).

(٢) حِراء: بكسر الحاء جبل معروف بمكة. انظر النهاية (٣٦٢/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب انشقاق القمر ـ رقم الحديث (٣٨٦٨) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ باب انشقاق القمر ـ رقم الحديث (٢٨٠٢) (٤٦).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٥٧٩/٧): وهذا لا يعارض قول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ذلك كان بمكة، لأنه لم يُصَرِّح بأن النبي ﷺ كان ليلتئذ بمكة، وعلى تقدير تصريحه، فمنى من جُملة مكة فلا تعارض.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٥٧٩/٧): أي اضبطوا هذا القدر بالمشاهدة.

وَذَهَبَتْ فِرْقَةٌ نَحْوَ الْجَبَلِ[1].

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: انْشِقَاقُ الْقَمَرِ مِنْ أُمَّهَاتِ مُعْجِزَاتِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَقَدْ رَوَاهَا عِدَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ مَعَ ظَاهِرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَسِيَاقِهَا[2].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى وُقُوعِ ذَلِكَ فِي زَمَنِهِ ﷺ، وَجَاءَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ تُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ مَنْ أَحَاطَ بِهَا، وَنَظَرَ فِيهَا[3].

وَرَوَى الطَّحَاوِيُّ فِي شَرْحِ مُشْكِلِ الْآثَارِ، وَالطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ[4]، وَقَالُوا: انْتَظِرُوا مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَّارُ[5]، فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب انشقاق القمر ـ رقم الحديث (٣٨٦٩) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ باب انشقاق القمر ـ رقم الحديث (٢٨٠٠).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/١١٩).

(٣) انظر البداية والنهاية (٣/١٢٩).

(٤) قال الحافظ في الفتح (١/٥٨): ابن أبي كبشة أرادوا به رسول الله ﷺ، وأبو كبشة هُوَ الحارث بن عبد العزى والد رسول الله ﷺ من الرضاعة، زوج حليمة السعدية.

(٥) السُّفَّار: أي المسافرون. انظر النهاية (٢/٣٣٥).

فَجَاءَ السُّفَّارُ، فَقَالُوا: ذَاكَ[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّهُ يَرَى وَيَسْمَعُ مَا لَا يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ غَيْرُهُ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَشْرَفَ[2] النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُطُمٍ[3] مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟

قَالُوا: لَا، قَالَ: **«فَإِنِّي لَأَرَى الْفِتَنَ تَقَعُ خِلَالَ[4] بُيُوتِكُمْ كَوَقْعِ الْقَطْرِ»**[5].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: وَتَشْبِيهُ الْفِتَنِ بِمَوَاقِعِ الْقَطْرِ فِي الْكَثْرَةِ وَالْعُمُومِ، أَيْ أَنَّهَا كَثِيرَةٌ، وَتَعُمُّ النَّاسَ لَا تَخْتَصُّ بِهَا طَائِفَةٌ[6].

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَإِنَّمَا اخْتُصَّتِ الْمَدِينَةُ بِذَلِكَ لِأَنَّ قَتْلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ بِهَا، ثُمَّ انْتَشَرَتِ الْفِتَنُ فِي الْبِلَادِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَالْقِتَالُ بِالْجَمَلِ وَبِصُفِّينَ

---

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ـ رقم الحديث (٦٩٧) ـ والطيالسي فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٩٣).

(٢) قال الحافظ في الفتح (١٤/٥٠٣): أشرف: أي طلع من علو.

(٣) قال السندي في شرح المسند (١٣/٥): الأُطُم: بضمتين أو سكون الثاني وهو البناء المرتفع، ويُسمى حصناً.

(٤) قال الحافظ في الفتح (١٤/٥٠٤): الخلال: النواحي.

(٥) قال السندي في شرح المسند (١٣/٥): القطر: المطر، والمراد: كثرة الفتن.

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الفتن ـ باب قول النبي ﷺ: **«ويل للعرب من شر قد اقترب»** ـ رقم الحديث (٧٠٦٠) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب نزول الفتن كمواقع القطر ـ رقم الحديث (٢٨٨٥).

(٦) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/٧).

كَانَ بِسَبَبِ قَتْلِ عُثْمَانَ، وَالْقِتَالُ بِالنَّهْرَوَانِ كَانَ بِسَبَبِ التَّحْكِيمِ بِصُفِّينَ، وَكُلُّ قِتَالٍ وَقَعَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ إِنَّمَا تَوَلَّدَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَوْ عَنْ شَيْءٍ تَوَلَّدَ عَنْهُ[1].

وَرَوَى الطَّحَاوِيُّ فِي شَرْحِ مُشْكِلِ الْآثَارِ بِسَنَدٍ قَوِيٍّ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ: **«هَلْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟»**.

قَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطَ[2] السَّمَاءِ، وَمَا تُلَامُ أَنْ تَئِطَّ، وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ إِمَّا سَاجِدٌ، وَإِمَّا قَائِمٌ»**[3].

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ مَاجه بِسَنِد حَسَنٍ لِغَيْرِهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ...»**[4].

---

(١) انظر فتح الباري (١٤/٥٠٤).

(٢) الأطيط: صوت الأقتاب ـ والقتب: صوت الرحل ـ وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها، أي أن كثرة ما فيها من الملائكة أثقلتها حتى أطت، وهذا مَثَل وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثَمَّ أطيط، وإنما هُوَ كلام تقريب أُريد به تقرير عظمة الله تَعَالَى. انظر النهاية (١/٥٦).

(٣) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ـ رقم الحديث (١١٣٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢١٥١٦) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الزهد ـ باب الحزن والبكاء ـ رقم الحديث (٤١٩٠).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «**يَا عَائِشَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ**»، فَقَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لَا نَرَى. تُرِيدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى اخْتِصَاصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَعَارِفَ بَصَرِيَّةٍ وَقَلْبِيَّةٍ، وَقَدْ يُطْلِعُ اللهُ عَلَيْهَا غَيْرَهُ مِنَ الْمُخْلَصِينَ مِنْ أُمَّتِهِ لَكِنْ بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ، وَأَمَّا تَفَاصِيلُهَا فَاخْتُصَّ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ جَمَعَ اللهُ لَهُ بَيْنَ عِلْمِ الْيَقِينِ وَعَيْنِ الْيَقِينِ مَعَ الْخَشْيَةِ الْقَلْبِيَّةِ وَاسْتِحْضَارِ الْعَظَمَةِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَى وَجْهٍ لَمْ يَجْتَمِعْ لِغَيْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَامِدِ مَا لَا يَفْتَحُهُ لِأَحَدٍ غَيْرَهُ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْها نَهْسَةً، ثُمَّ قَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذلِكَ؟**

يُجْمَعُ النَّاسُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب بدء الخلق ـ باب ذكر الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ رقم الحديث (٣٢١٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ رقم الحديث (٢٤٤٧) (٩١).

(٢) انظر: فتح الباري (١٣/٣٧٥).

الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ ما لا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنا إِلى رَبِّكَ أَلا تَرى إِلى ما نَحْنُ فِيهِ أَلا تَرى إِلى ما قَدْ بَلَغنا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّه نَهانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُونَ: يا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلى أَهْلِ الأَرْضِ وَقَدْ سَمَّاكَ الله عَبْداً شَكُوراً، اشْفَعْ لَنا إِلى رَبِّكَ أَلا تَرى إِلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُها عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلى إِبْراهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْراهِيمَ فَيَقُولُونَ: يا إِبْراهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ الله وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ اشْفَعْ لَنا إِلى رَبِّكَ أَلا تَرى إِلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كَذَبْتُ ثَلاثَ كَذَباتٍ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلى مُوسى فَيَأْتُونَ مُوسى فَيَقُولُونَ: يا مُوسى أَنْتَ رَسُولُ الله فَضَّلَكَ الله بِرِسالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنا إِلى رَبِّكَ أَلا تَرى إِلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِها نَفْسِي نَفْسِي

نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلى عِيسى، فَيأْتُونَ عِيسى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسى أَنْتَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنا إِلى رَبِّكَ أَلا تَرى إِلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيأْتُونَ مُحَمَّداً ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ الله وَخاتَمُ الأَنْبِياءِ وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنا إِلى رَبِّكَ أَلا ترى إِلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ ساجِداً لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ الله عَلَيَّ مِنْ مَحامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّناءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالَ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يا رَبِّ أُمَّتِي يا رَبِّ، فَيُقَالَ: يا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكاءُ النَّاس فِيما سِوى ذلِكَ مِنَ الأَبْوابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ ما بَيْنَ الْمِصْراعَيْنِ مِنْ مَصارِيعِ الْجَنَّةِ كَما بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَما بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1].

قَالَ الْقَاضِي عِياضٌ: لَا خِلَافَ أَنَّهُ ﷺ أَكْرَمُ الْبَشَرِ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ، وَأَعْلَاهُمْ دَرَجَةً، وَأَقْرَبُهُمْ زُلْفَى[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ـ رقم الحديث (٤٧١٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ـ رقم الحديث (١٩٤) (٣٢٧).

(٢) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/١٤٥).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**»(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ**»(٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ، مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»(٣).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلَهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة...**» ـ رقم الحديث (١٩٦) (٣٣٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة...**» ـ رقم الحديث (١٩٦) (٣٣١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة...**» ـ رقم الحديث (١٩٧).

تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: الْمُرَادُ أَنَّ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ انْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِ أَعْصَارِهِم، فَلَمْ يُشَاهِدْهَا إِلَّا مَنْ حَضَرَهَا، وَمُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[2].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْقُرْآنِ الْمَجِيدِ عَلَى كُلِّ مُعْجِزَةٍ أُعْطِيَهَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَلَى كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ: مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ مَا آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، أَيْ: مَا كَانَ دَلِيلاً عَلَى تَصْدِيقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ وَاتَّبَعَهُ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْبَشَرِ، ثُمَّ لَمَّا مَاتَ الْأَنْبِيَاءُ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ مُعْجِزَةٌ بَعْدَهُمْ إِلَّا مَا يَحْكِيهِ أَتْبَاعُهُمْ عَمَّا شَاهَدَهُ فِي زَمَانِهِ، فَأَمَّا الرَّسُولُ الْخَاتِمُ لِلرِّسَالَةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَإِنَّمَا كَانَ مُعْظَمُ مَا آتَاهُ اللهُ وَحْيًا مِنْهُ إِلَيْهِ مَنْقُولاً إِلَى النَّاسِ بِالتَّوَاتُرِ، فَفِي كُلِّ حِينٍ هُوَ كَمَا أُنْزِلَ، فَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا**»، وَكَذَلِكَ وَقَعَ، فَإِنَّ أَتْبَاعَهُ أَكْثَرُ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ لِعُمُومِ رِسَالَتِهِ، وَدَوَامِهَا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَاسْتِمْرَارِ مُعْجِزَتِهِ[3].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ـ وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ ـ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب كيف نزول الوحي ـ رقم الحديث (٤٩٨١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ـ رقم الحديث (١٥٢) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٨٤٩١).

(٢) انظر فتح الباري (١٠/٨).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (١/٢٠).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ[1]، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَيْنِ[2]، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقُلْتُ: هَذِهِ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى هَذَا الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ»[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، إِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ»[4].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُخُولُ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ نَبِيُّ

---

(١) الرهط من الرجال: ما دون العشرة. انظر النهاية (٢/٢٥٧).

(٢) قال السندي في شرح المسند (٢/٤٩٢): هكذا في النسخ، وفي صحيح مسلم: «**والرجلان**» كما هو الظاهر، ووجهه نصب الرهط والرجل على أنه عطف على «النبي»، وجعل معه حالاً عنه مقدمًا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الرقاق ـ باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ـ رقم الحديث (٦٥٤١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ـ رقم الحديث (٢٢٠) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٤٤٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة...**» ـ رقم الحديث (١٩٦) (٣٣٢).

اللهِ ﷺ: «**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**»، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ**[1]، **وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».

فَقَامَ عُكَاشَةُ بنُ مُحْصِنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»، فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ ﷺ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ**»[2].

قَالَ الْإِمَامُ السِّنْدِيُّ: وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ كَمَالَ التَّوَكُّلِ يَقْتَضِي تَرْكَ اسْتِعْمَالِ الْأَسْبَابِ الْبَعِيدَةِ، كَالْكَيِّ وَالرُّقْيَةِ، وَأَنَّ اسْتِعْمَالَهَا يُخِلُّ فِي كَمَالِ التَّوَكُّلِ، وَأَنَّ مَنْ كَمُلَ تَوَكُّلُهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ[3].

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالْحَقُّ أَنَّ مَنْ وَثِقَ بِاللهِ وَأَيْقَنَ أَنَّ قَضَاءَهُ عَلَيْهِ مَاضٍ لَمْ يَقْدَحْ فِي تَوَكُّلِهِ تَعَاطِيهِ الْأَسْبَابَ اتِّبَاعًا لِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَقَدْ ظَاهَرَ[4] رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْحَرْبِ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، وَلَبِسَ عَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرَ، وَأَقْعَدَ الرُّمَاةَ عَلَى فَمِ الشِّعْبِ، وَخَنْدَقَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَأَذِنَ فِي الْهِجْرَةِ

---

(١) الاسترقاء: طلب الرقية. انظر النهاية (٢/٢٣١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ـ رقم الحديث (٢١٨) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٩٩١٣) ـ ورواه البخاري في صحيحه مطولاً ـ كتاب الرقاق ـ باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ـ رقم الحديث (٦٥٤١).

(٣) انظر شرح السندي لمسند الإمام أحمد (١٢/٢٤).

(٤) ظاهر بين درعين: أي جمع ولبس أحدهما فوق الآخر. انظر النهاية (٣/١٥٢).

إِلَى الْحَبَشَةِ وَإِلَى الْمَدِينَةِ، وَهَاجَرَ هُوَ، وَتَعَاطَى أَسْبَابَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَادَّخَرَ لِأَهْلِهِ قُوتَهُمْ، وَلَمْ يَنْتَظِرْ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ، وَهُوَ كَانَ أَحَقَّ الْخَلْقِ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ ذَلِكَ، وَقَالَ لِلَّذِي سَأَلَهُ: أَعْقِلُ نَاقَتِي أَوْ أَتَوَكَّلُ؟

فَقَالَ ﷺ: «**أَعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**»[1]، فَأَشَارَ إِلَى أَنَّ الِاحْتِرَازَ لَا يَدْفَعُ التَّوَكُّلَ، وَاللهُ أَعْلَمُ[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ**[3] **هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»، فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ الْأَسَدِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَرْفَعُ نَمِرَةً[4] عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ**»[5].

---

(١) أخرج هذا الحديث: الترمذي في جامعه ـ كتاب صفة القيامة والرقائق ـ باب (٥٠) ـ رقم الحديث (٢٦٨٦) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب الرقائق ـ باب الورع والتوكل ـ رقم الحديث (٨٣١) ـ وإسناده حسن.

(٢) انظر فتح الباري (١١/٣٧٣).

(٣) الزمرة: هي الجماعة من الناس. انظر لسان العرب (٦/٨٠).
ومنه قوله تَعَالَى في سورة الزمر آية (٧٣): ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا﴾.

(٤) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٣/٧٦): النمرة: كساء فيه خطوط بيض وسود وحمر، كأنها أخذت من جلد النمر لاشتراكهما في التلوين.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة... ـ رقم الحديث (٢١٦) (٣٦٩).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: عِظَمُ مَا أَكْرَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتَهُ، زَادَهَا اللهُ فَضْلاً وَشَرَفًا[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّهَادَةُ عَلَى أُمَّتِهِ بِإِبْلَاغِ الرِّسَالَةِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[2].

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**» قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»، قَالَ: فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾، فَقَالَ لِي: «**كُفَّ أَوْ أَمْسِكْ**»، فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ[3].

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: إِنَّما بَكَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ هَذِهِ الْآيَةَ لِأَنَّهُ مَثَّلَ لِنَفْسِهِ أَهْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَشِدَّةُ الْحَالِ الدَّاعِيَةِ لَهُ إِلَى شَهَادَتِهِ لِأُمَّتِهِ بِالتَّصْدِيقِ وَسُؤَالِهِ الشَّفَاعَةَ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ، وَهُوَ أَمْرٌ

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٣/٧٥)

(٢) سورة النساء آية (٤١).

(٣) ذرفت العين: إذا جرى دمعها. انظر النهاية (٢/١٤٧).

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب في كم يقرأ القرآن؟ ـ رقم الحديث (٥٠٥٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب فضل استماع القرآن ـ رقم الحديث (٨٠٠) (٢٤٧).

يَحِقُّ لَهُ طولُ الْبُكَاءِ[1].

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ ﷺ بَكَى رَحْمَةً لِأُمَّتِهِ، لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لَابُدَّ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْهِمْ بِعَمَلِهِمْ، وَعَمَلُهُمْ قَدْ لَا يَكُونُ مُسْتَقِيمًا فَقَدْ يُفْضِي إِلَى تَعْذِيبِهِمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ[2].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: يَقُولُ تَعَالَى مُخَاطِبًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ﷺ: اذْكُرْ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَهَوْلَهُ، وَمَا مَنَحَكَ اللهُ فِيهِ مِنَ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ وَالْمَقَامِ الرَّفِيعِ[4].

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: ... فَجَعَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَاهِدًا عَلَى أُمَّتِهِ لِنَفْسِهِ بِإِبْلَاغِهِمُ الرِّسَالَةَ، وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ[5].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ الصِّرَاطَ هُوَ وَأُمَّتُهُ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْ،**

---

(١) انظر فتح الباري (١٠/١٢٢).

(٢) انظر فتح الباري (١٠/١٢٢).

(٣) سورة النحل آية (٨٩).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٤/٥٩٤).

(٥) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/٣١).

فَمِنْهُمْ مَنْ يَتْبَعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتْبَعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتْبَعُ الطَّوَاغِيتَ[1]، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ، فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ...»[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتِبَاءُ دَعْوَتِهِ لِأُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»[3].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَقَدِ اسْتُشْكِلَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ بِمَا وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنَ

---

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٣/١٧): الطواغيت جمع طاغوت وهو كل ما عُبِدَ من دون الله تَعَالَى.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأذان ـ باب فضل السجود ـ رقم الحديث (٨٠٦) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب معرفة طريق الرؤية ـ رقم الحديث (١٨٢) (٢٩٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الدعوات ـ باب لكل نبي دعوة مستجابة ـ رقم الحديث (٦٣٠٤) (٦٣٠٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب اختباء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوة الشفاعة لأمته ـ رقم الحديث (١٩٩) (٣٣٨).

الدَّعَوَاتِ الْمُجَابَةِ، وَلَاسِيَّمَا نَبِيَّنَا ﷺ، وَظَاهِرُهُ أَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَقَطْ!

وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِجَابَةِ فِي الدَّعْوَةِ الْمَذْكُورَةِ الْقَطْعُ بِهَا، وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ دَعَوَاتِهِمْ فَهُوَ عَلَى رَجَاءِ الْإِجَابَةِ[1].

وَقَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ كَمَالِ شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ، وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ، وَاعْتِنَائِهِ بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِمُ الْمُهِمَّةِ، فَأَخَّرَ ﷺ دَعْوَتَهُ لِأُمَّتِهِ إِلَى أَهَمِّ أَوْقَاتِ حَاجَاتِهِمْ[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾[3]، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[4]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ ﷺ، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ! أُمَّتِي أُمَّتِي**» وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟**

---

(١) انظر فتح الباري (١٢/٣٧٤).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٣/٦٣).

(٣) سورة إبراهيم آية (٣٦).

(٤) سورة المائدة آية (١١٨).

فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ»[1].

* قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: وَالْحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِسُؤَالِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِظْهَارُ شَرَفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى، فَيُسْتَرْضَى، وَيُكْرَمُ بِمَا يُرْضِيهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ إِمَامُ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

رَوَى ابْنُ مَاجَهْ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ بِالشَّوَاهِدِ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبُهُمْ وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِمْ، غَيْرَ فَخْرٍ»[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته وبكائه شفقة عليهم ـ رقم الحديث (٢٠٢).

(٢) سورة الضحى آية (٥) ـ وانظر كلام الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في شرحه لصحيح مسلم (٣/٦٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ـ كتاب الزهد ـ باب ذكر الشفاعة ـ رقم الحديث (٤٣١٤) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ رقم الحديث (٢١٢٤٥).

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ»**[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُلَّةً خَضْرَاءَ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وابن حبان في صحيحه بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ[2]، وَيَكْسُونِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى حُلَّةً خَضْرَاءَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ[3] أَنْ أَقُولَ»**[4].

**　**　**

---

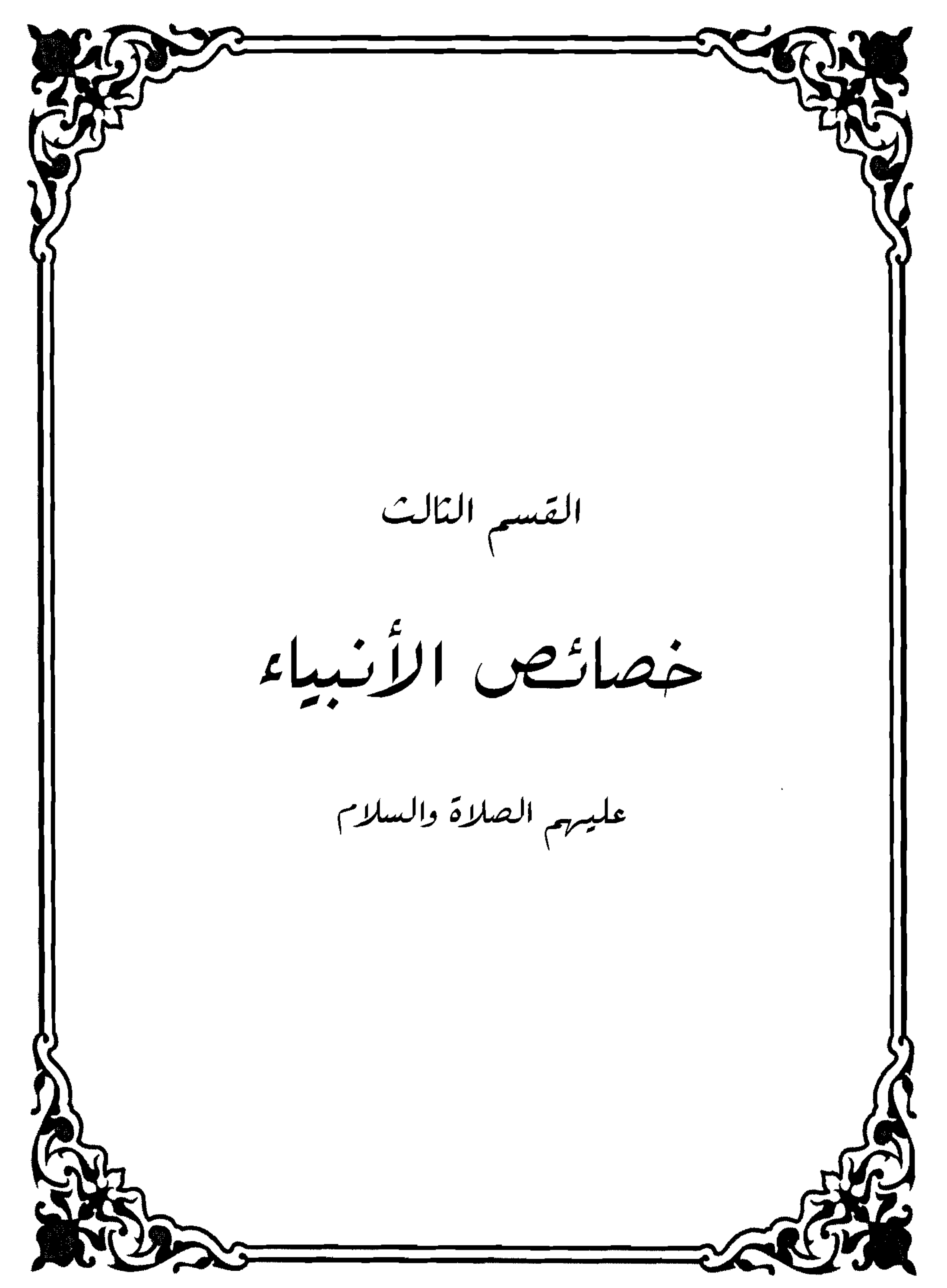
(١) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب المناقب ـ باب ما جاء في فضل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٣٩٣٧).

(٢) قال السندي في شرح المسند (٩/٦): قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**على تل**»: أي موضع مرتفع.

(٣) قال السندي في شرح المسند (٩/٦): أي من محامد الله تَعَالَى.

قلتُ: يؤيِّد ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه ـ رقم الحديث (٤٧١٢) وفيه: «... **فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحدٍ قبلي...**».

(٤) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٥٧٨٣) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب التاريخ ـ باب الحوض والشفاعة ـ رقم الحديث (٦٤٧٩).



القسم الثالث

خصائص الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

خَصَائِصُ الْأَنْبِيَاءِ[1] عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

وَهَذِهِ الْخَصَائِصُ لَيْسَتْ مُخْتَصَّةً بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا يُشَارِكُهُ فِيهَا الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَهِيَ مِنْ خَصَائِصِ الأَنْبِيَاءِ جَمِيعاً عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

۞ فَمِنْ خَصَائِصِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْوَحْيُ:

الوَحْيُ أَعْظَمُ خَصَائِصِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2].

(١) قال الحافظ في الفتح (٣/٧): النبوة نعمة يَمنُّ الله سبحانه وتعالى بها على من يشاء، ولا يبلغها أحد بعلمه ولا كشفه، ولا يستحقها باستعداد ولايته، ومعناها الحقيقي شرعًا من حصلت له النبوة، وليست راجعة إلى جسم النبي ولا عرض من أعراضه، بل ولا إلى علمه بكونه نبيًّا، بل المرجع إلى إعلام الله له بأني نبأتك أو جعلتك نبيًّا، وعلى هذا فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة.

(٢) سورة النساء الآيات (١٦٣ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[1].

فَالذِي يُمَيِّزُ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُصْلِحِينَ وَالْعُلَمَاءِ وَالدُّعَاةِ إِلَى اللهِ أَنَّ دَعْوَتَهُمْ وَتَبْلِيغَهُمُ النَّاسَ وَحْيٌ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُمْ مَعْصُومُونَ فِي ذَلِكَ، وَمَا كَانَ مِنَ اللهِ يَجِبُ قَبُولُهُ، وَأَمَّا الْمُصْلِحُونَ وَالْعُلَمَاءُ وَالدُّعَاةُ إِلَى اللهِ فَيَنْطَلِقُ إِصْلَاحُهُمْ مِنْ تَجَارِبِهِمْ وَقِرَاءَاتِهِمْ، فَيُصِيبُونَ حِينًا، وَيُخْطِئُونَ أَحْيَانًا.

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عِصْمَتُهُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْكَبَائِرِ:

مِنْ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، فَلَا تَصْدُرُ مِنْهُمْ أَبَدًا، وَهُمْ مَعْصُومُونَ مِنْهَا قَبْلَ وَبَعْدَ بِعْثَتِهِمْ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْكَبَائِرِ الْمُوبِقَاتِ[2].

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ: الْقَوْلُ بِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ عَنِ الْكَبَائِرِ دُونَ الصَّغَائِرِ هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ، وَجَمِيعِ الطَّوَائِفِ... وَهُوَ أَيْضًا قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفُقَهَاءِ، بَلْ لَمْ يُنْقَلْ عَنِ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ وَالصَّحَابَةِ

(١) سورة الأنبياء آية (٢٥).

(٢) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/١٤٩).

وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ إِلَّا مَا يُوَافِقُ هَذَا الْقَوْلَ[1].

وَأَمَّا صَغَائِرُ الذُّنُوبِ فَذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَيْسُوا مَعْصُومِينَ مِنْهَا، وَإِذَا وَقَعَتْ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يُقَرُّونَ عَلَيْهَا بَلْ يُنَبِّهُهُمُ اللهُ عَلَيْهَا، فَيُبَادِرُونَ بِالتَّوْبَةِ مِنْهَا.

وَالْأَدِلَّةُ عَلَى وُقُوعِ الصَّغَائِرِ مِنْهُمْ مَعَ عَدَمِ إِقْرَارِهِمْ عَلَيْهَا كَثِيرَةٌ جِدًّا:

قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[2].

فَهَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى وُقُوعِ الْمَعْصِيَةِ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَدَمِ إِقْرَارِهِ عَلَيْهَا، مَعَ تَوْبَتِهِ إِلَى اللهِ مِنْهَا.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ

(١) انظر مجموع الفتاوى (٤/٣١٩).

(٢) سورة طه، الآيات (١١٦ ـ ١٢١).

ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

فَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ وَطَلَبَ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللهِ بَعْدَ قَتْلِهِ الْقِبْطِيَّ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ ذَنْبَهُ.

*** مُلَاحَظَةٌ هَامَّةٌ:**

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَتَلَ نَفْسًا، وَالْقَتْلُ مِنَ الْكَبَائِرِ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَعْمَدْ إِلَى قَتْلِ هَذَا الْقِبْطِيِّ أَبَدًا، إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَهُ عَنِ الْإِسْرَائِيلِيِّ، فَلَمَّا وَكَزَهُ ـ وَلَمْ يُرِدْ قَتْلَهُ ـ سَقَطَ مَيْتًا.

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَونَ خَطَأً[2].

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ نَدِمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ذَلِكَ الْوَكْزِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ذَهَابُ النَّفْسِ، فَحَمَلَهُ نَدَمُهُ عَلَى الْخُضُوعِ لِرَبِّهِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنْ ذَنْبِهِ[3].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

---

(١) سورة القصص، الآيتان (١٥ ـ ١٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ رقم الحديث (٢٩٠٥) (٥٠).

(٣) انظر تفسير القرطبي (١٦/٢٤٧).

وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[1].

وَكَانَتْ مَعْصِيَةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ التَّسَرُّعُ فِي الْحُكْمِ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ مِنَ الْخَصْمِ الثَّانِي، فَأَسْرَعَ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللهِ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ ذَنْبَهُ.

كَذَلِكَ عَاتَبَ اللهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أُمُورٍ مِنْهَا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وَعَاتَبَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ بِسَبَبِ عُبُوسِهِ فِي وَجْهِ الْأَعْمَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَانْشِغَالِهِ عَنْهُ بِكُفَّارِ قُرَيْشٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾[3].

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ الصَّرِيحَةِ فِي ذَلِكَ.

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ؟

---

(١) سورة ص، الآيتان (٢٤ ـ ٢٥).

(٢) سورة التحريم، الآية (١).

(٣) سورة عبس، الآيات (١ ـ ٤).

قَالَتْ: مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً: يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**»(١).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: هَذَا مِنْ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ(٢).

وَقَالَ السِّنْدِيُّ فِي شَرْحِ الْمُسْنَدِ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**»: أَيْ لَا يَغْفُلُ عَمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَى اللهِ، وَتَلَقِّي الْوَحْيِ مِنَ الْمَلَكِ، وَغَيْرِهِ، وَلِهَذَا رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَحْيٌ(٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ، وَفِيهِ: «... **وَالنَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنام عينه ولا ينام قلبه ـ رقم الحديث (٣٥٦٩) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الليل ـ رقم الحديث (٧٣٨) (١٢٥).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٩/٦).

(٣) انظر شرح المسند للسندي (١٩٥/٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنام عينه ولا ينام قلبه ـ رقم الحديث (٣٥٧٠).

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: تَقَدَّمَ مِثْلُ هَذَا[1] مِنْ قَوْلِ عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ[2] فِي أَوَائِلِ الطَّهَارَةِ[3]، وَمِثْلُهُ لَا يُقَالُ مِنْ قِبَلِ الرَّأْيِ[4].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ مَا تَرَكُوهُ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ فَهُوَ صَدَقَةٌ:

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ـ وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ مؤُونَةِ عَامِلِي، وَنَفَقَةِ نِسَائِي، صَدَقَةٌ**»[5].

وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مَالِكِ بنِ أَوْسِ بنِ الْحِدْثَانِ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعْدٍ وَعُثْمَانَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي قَامَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، سَمِعْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ**»؟

---

(١) أي مثل قول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أن الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم.

(٢) قال الحافظ في الفتح (١/٣٢٢): عبيد بن عمير من كبار التابعين، ولأبيه عمير بن قتادة صحبة.

(٣) من صحيح البخاري ـ كتاب الوضوء ـ باب التخفيف في الوضوء ـ رقم الحديث (١٣٨)، ولفظه: قلنا ـ القائل سفيان أحد رواة الحديث ـ لعمرو ـ وهو ابن دينار المكي ـ: إن ناساً يقولون أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنام عينه ولا ينام قلبه، قال عمرو: سمعت عبيد بن عمير يقول: رؤيا الأنبياء وحي، ثم قرأ: «**إني أرى في المنام أني أذبحك**». سورة الصافات آية (١٠٢).

(٤) انظر فتح الباري (٧/٢٧٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الفرائض ـ باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا نورث ما تركنا صدقة**» ـ رقم الحديث (٦٧٢٩) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا نورث ما تركنا فهو صدقة**» ـ رقم الحديث (١٧٦٠) (٥٥) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٩٩٧٢).

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ[١].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ لَا يُورَثُونَ[٢].

* **فَائِدَةٌ:**

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْمُلَقِّنِ: وَالْحِكْمَةُ فِي كَوْنِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يُورَثُونَ أُمُورٌ:

* مِنْهَا: لِئَلَّا يَتَمَنَّى قَرِيبُهُمْ مَوْتَهُمْ فَيَهْلِكَ بِذَلِكَ.

* وَمِنْهَا: لِئَلَّا يَنْفِرَ النَّاسُ عَنْهُمْ وَيَظُنُّوا فِيهِمُ الرَّغْبَةَ فِي الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا لِوُرَّاثِهِمْ بِهِمْ.

* وَمِنْهَا: لِئَلَّا يُفْتَنَ بَعْضُ الَّذِين أَسْلَمُوا وَتَابَعُوهُمْ بِظَنِّهِمْ فِيهِمُ الرَّغْبَةَ وَالْجَمْعَ لِوُرَّاثِهِمْ[٣].

* **فَائِدَةٌ أُخْرَى:**

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ـ كتاب الفرائض ـ باب ذكر مواريث الأنبياء ـ رقم الحديث (٦٢٧٥).
وأورده الحافظ في التلخيص الحبير (٥/٢٠٩٦) وقال: إسناده على شرط مسلم.
وأخرجه مطولاً: البخاري في صحيحه ـ كتاب الفرائض ـ باب قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا نورث ما تركنا صدقة**» رقم الحديث (٦٧٢٨) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب حكم الفيء ـ رقم الحديث (١٧٥٧) (٤٩).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/٧٠).

(٣) انظر غاية السول في خصائص الرسول ص ١٦٩.

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[1].

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: فَلَمْ يَسَلْ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ يَرِثُ مَالَهُ، لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا تُورَثُ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَرَادَ وِرَاثَةَ الْعِلْمِ وَالنُّبُوَّةِ لَا وِرَاثَةَ الْمَالِ، لِمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**»، وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ بِالشَّوَاهِدِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**... وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[2].

---

(١) سورة مريم آية (١ ـ ٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب العلم ـ باب الحث على طلب العلم ـ رقم الحديث (٣٦٤١) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢١٧١٥) ـ وأورد البخاري بعضه في صحيحه ـ كتاب العلم ـ ضمن عنوان باب العلم قبل القول والعمل، فقَالَ: «**وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورَّثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سَهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة**».

قال الحافظ في الفتح (١/٢١٦): هُوَ طرف من حديث أخرجه: أبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم مصححاً من حديث أبي الدرداء، وحسنه حمزة الكناني، وضعفه عندهم سنده، لكن له شواهد يتقوى بها، ولم يفصح المصنف ـ أي البخاري ـ بكونه حديثاً، فلهذا لا يعد في تعاليقه، لكن إيراده له في الترجمة يُشعر بأن له أصلاً.

وانظر كلام الإمام القرطبي في تفسيره (١٣/٤١٠).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: لَمْ يَذْكُرْ زَكَرِيَّا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ ذَا مَالٍ، بَلْ كَانَ نَجَّاراً[1] يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدَيْهِ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَجْمَعُ مَالاً، وَلَاسِيَّمَا الْأَنْبِيَاءُ، عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَزْهَدَ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ**»، وَعَلَى هَذَا فَتَعَيَّنَ حَمْلُ قَوْلِهِ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿**فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝ يَرِثُنِي**﴾ عَلَى مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿**وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ**﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ**﴾[2] أَيْ: فِي النُّبُوَّةِ، إِذْ لَوْ كَانَ فِي الْمَالِ لَمَا خَصَّهُ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِ بِذَلِكَ، وَلَمَّا كَانَ فِي الْإِخْبَارِ بِذَلِكَ كَبِيرُ فَائِدَةٍ، إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ الْمُسْتَقِرِّ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ وَالْمِلَلِ أَنَّ الْوَلَدَ يَرِثُ أَبَاهُ، فَلَوْلَا أَنَّهَا وِرَاثَةٌ خَاصَّةٌ لَمَا أَخْبَرَ بِهَا، وَكُلُّ هَذَا يُقَرِّرُهُ وَيُثْبِتُهُ مَا صَحَّ فِي الْحَدِيثِ: «**نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ**»[3].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ الْقُوَّةُ فِي الْجِمَاعِ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ رقم الحديث (٢٣٧٩) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**كان زكريا نجاراً**».

(٢) سورة النمل آية (١٦).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٥/٢١٣).

اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ[1]، قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَوَكَانَ يُطِيقُهُ؟

قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ.

قَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: وَقَالَ سَعِيدٌ ـ يَعْنِي ابْنَ أَبِي عَرُوبَةَ ـ عَنْ قَتَادَةَ: إِنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُمْ: تِسْعَ نِسْوَةٍ[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَطُوفُ[3] عَلَى نِسَائِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعُ نِسْوَةٍ[4].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُدَ نَبِيُّ اللهِ ـ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ـ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ[5] امْرَأَةً، كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ،**

---

(١) قال ابن خزيمة فيما نقله عنه الحافظ في الفتح (٥٠٢/١): تفرد بذلك معاذ بن هشام عن أبيه، ورواه سعيد بن أبي عروبة وغيره عن قتادة فقالوا: «**تسع نسوة**».
وقال الحافظ في الفتح (٥٠٢/١): وقد أشار البخاري إلى رواية سعيد بن أبي عروبة فعلقها هنا، ووصلها بعد اثني عشر باباً بلفظ: «**كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، وله يومئذ تسع نسوة**».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الغسل ـ باب إذا جامع ثم عاد ـ رقم الحديث (٢٦٨) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٤١٠٩).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٥٠٢/١): قوله: «**يطوف**» والرواية الأخرى: «**يدور**»: كناية عن الجماع.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الغسل ـ باب الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره ـ رقم الحديث (٢٨٤) ـ وأخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٢٧٠١).

(٥) في رواية أخرى في صحيح البخاري ـ رقم الحديث (٦٧٢٠): تسعين. =

أَوِ الْمَلَكُ: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ، وَنَسِيَ، فَلَمْ تَأْتِ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِهِ، إِلَّا وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ غُلَامٍ»[1]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَمْ يَحْنَثْ[2]، وَكَانَ دَرْكاً[3] لَهُ فِي حَاجَتِهِ»[4].

= وفي رواية أخرى في صحيح البخاري ـ رقم الحديث (٥٢٤٢) ـ وابن حبان في صحيحه ـ رقم الحديث (٤٣٣٧): مائة.

وفي رواية أخرى في صحيحه البخاري ـ رقم الحديث (٧٤٦٩): ستون.

ووقع في صحيح البخاري ـ رقم الحديث (٢٨١٩) بلفظ: مائة امرأة أو تسع وتسعين ـ على الشك ـ.

قال الحافظ في الفتح (١٢٨/٧): فمحصل الروايات ستون، وسبعون، وتسعون، وتسع وتسعون، ومائة، والجمع بينها أن الستين كن حرائر، وما زاد عليهن كن سراري أو بالعكس، وأما السبعون فللمبالغة، وأما التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين، فمن قَالَ: تسعون ألغى الكسر، ومن قَالَ: مائة جبره، ومن ثم وقع التردد في رواية جعفر، وأما قول بعض الشراح: ليس في ذكر القليل نفي الكثير وهو من مفهوم العدد وليس بحجة عند الجمهور، فليس بكاف في هذا المقام، وذلك أن مفهوم العدد معتبر عند كثيرين، والله أعلم.

(١) في رواية الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٧٧١٥) بسند صحيح: «**نصف إنسان**».
قال الإمام السندي في شرح المسند (٢٩٧/٥): أي ولدت ولداً غير تام.

(٢) قال السندي في شرح المسند (٢٩٧/٥): قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لم يحنث**»: أي في حلفه، وذلك لأن «**لأطوفن**» جواب قسم مقدر، إذ التأكيد باللام والنون دليل على تقدير القسم، وهذا يدل على أن من حلف على غير مقدور له، يحنث.

(٣) قال السندي في شرح المسند (٢٩٧/٥): دَرْكاً: بسكون الراء وفتحها، أي كان ذلك القول إدراكاً ولحاقاً، أي: سبباً لإدراكه الحاجة، وهذا إخبار عما كان مقدراً لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، على تقدير أن يقول ذلك، وليس المراد أن كل من يقول ذلك يكون في حقه ذلك، كيف وهذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد قَالَ: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ سورة الكهف آية (٦٩) ثم كان ما كان.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب قول الله تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا =

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: وَفِي هَذَا بَيَانُ مَا خُصَّ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى إِطَاقَةِ هَذَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ[1] امْرَأَةً لَهُ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ زِيَادَةِ الْقُوَّةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[2].

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا خُصَّ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى الْجِمَاعِ الدَّالِّ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ الْبُنْيَةِ، وَقُوَّةِ الْفُحُولِيَّةِ، وَكَمَالِ الرُّجُولِيَّةِ مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الِاشْتِغَالِ بِالْعِبَادَةِ وَالْعُلُومِ[3].

* **حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ:**

رَوَى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فُضِّلْتُ عَلَى النَّاسِ بِأَرْبَعٍ: بِالسَّخَاءِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَكَثْرَةِ الْجِمَاعِ، وَشِدَّةِ الْبَطْشِ**»[4].

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي مِيزَانِ الِاعْتِدَالِ: هَذَا خَبَرٌ مُنْكَرٌ[5].

= لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ ـ رقم الحديث (٣٤٢٤) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الاستثناء ـ رقم الحديث (١٦٥٤) (٢٣).

(١) قلت: تقدم قبل قليل أنهن تسع نسوة، وليس إحدى عشرة.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١١/١٠١).

(٣) انظر فتح الباري (٧/١٢٩).

(٤) انظر تاريخ بغداد (٨/٦٩).

(٥) انظر ميزان الاعتدال (٤/٩٣).

وَأَوْرَدَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي السِّلْسِلَةِ الضَّعِيفَةِ، وَقَالَ: بَاطِلٌ[1].

وَأَوْرَدَهُ فِي ضَعِيفِ الْجَامِعِ، وَقَالَ: مَوْضُوعٌ[2].

وَمِنْ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُمْ لَا يَتَعَامَلُونَ بِخَائِنَةِ الْأَعْيُنِ[3]:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَالطَّحَاوِيُّ فِي شَرْحِ مُشْكِلِ الْآثَارِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ سَعْدٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ، وَسَمَّاهُمْ، وَابْنَ أَبِي السَّرْحِ[4]، قَالَ: وَأَمَّا ابْنُ أَبِي السَّرْحِ، فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ بَايِعْ عَبْدَ اللهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى عَلَيْهِ[5]، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: **«أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى**

---

(١) انظر السلسلة الضعيفة ـ رقم الحديث (١٥٩٧).

(٢) انظر ضعيف الجامع ـ رقم الحديث (٣٩٨٥).

(٣) خائنة الأعين: أي يُضمر في نفسه غير ما يُظهره. انظر النهاية (٢/٨٤).

(٤) هو عبد الله بن سعد بن أبي السرح أسلم قبل الفتح، وهاجر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يكتب الوحي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم إنه ارتد مشركاً، وصار إلى قريش بمكة...، فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتله ولو وُجِدَ متعلقاً بأستار الكعبة، ففر عبد الله إلى عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى جاء به إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبايعه، وأسلم ذلك اليوم وحسن إسلامه، ولم يظهر منه بعد ذلك ما يُنكر عليه، توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ست وثلاثين من الهجرة. انظر أسد الغابة (٢/٦١١).

(٥) أي يرفض قبول بيعته.

هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلَهُ»؟

فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللهِ مَا فِي نَفْسِكَ، أَلَا أَوْمَأْتَ[1] إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ»[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُمْ إِذَا لَبِسُوا اللَّأْمَةَ[3] لَا يَنْزِعُوهَا حَتَّى يُقَاتِلُوا:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأَمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ»[4].

وَهَذَا الْحَدِيثُ قَالَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ عِنْدَمَا اسْتَشَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْكُفَّارِ، فَوَافَقَ عَلَى الْخُرُوجِ بِنَاءً عَلَى رَأْيِ شَبَابِ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ رَأْيُهُ أَنْ يَبْقَى فِي الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا دَخَلَ بَيْتَهُ وَلَبِسَ دِرْعَهُ تَرَدَّدَ شَبَابُ الصَّحَابَةِ بِالْخُرُوجِ، فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ قَالُوا: نَبْقَى فِي الْمَدِينَةِ،

---

(١) الإيماء: الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب. انظر النهاية (١/٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الجهاد ـ باب قَتْل الأسير ولا يُعرض عليه الإسلام ـ رقم الحديث (٢٦٨٣) ـ والطحاوي في شرح مشكل الأثار ـ رقم الحديث (١٥٠٦) (٤٥٢١).

(٣) اللأمة: الدرع. انظر النهاية (٤/١٩١).

(٤) علقه البخاري في صحيحه ـ كتاب الاعتصام ـ باب قول الله تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ ـ ووصله الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٤٧٨٧) ـ وإسناده صحيح.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَدِيثَ(١).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُمْ يُدْفَنُونَ حَيْثُ قُبِضُوا:

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ بِالشَّوَاهِدِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ، قَالَ: «**مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ**»(٢).

وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ الصَّحَابَةَ قَالُوا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا صَاحِبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ يُدْفَنُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: وَأَيْنَ يُدْفَنُ؟

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِي الْمَكَانِ الَّذِي قَبَضَ اللهُ فِيهِ رُوحَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ إِلَّا فِي مَكَانٍ طَيِّبَةٍ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ كَمَا قَالَ(٣).

---

(١) انظر تفاصيل غزوة أُحُد في كتابنا:
اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (٢/٥٦٧ - ٧٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب الجنائز ـ باب ما جاء في دفن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قُبض ـ رقم الحديث (١٠٣٩).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ـ كتاب الوفاة ـ باب أين حُفِر له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٧٠٨٤).

وَمِنْ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ الأَرْضَ لَا تَأْكُلُ أَجْسَادَهُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَوْسِ بنِ أَبِي أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلَاتُنَا وَقَدْ أَرَمْتَ ـ يَعْنِي وَقَدْ بَلِيتَ ـ؟

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**»(١).

وَمِنْ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ فِي قُبُورِهِمْ:

رَوَى أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ**»(٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**»(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٦١٦٢) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب في فضل الجمعة ـ رقم الحديث (١٠٨٥).

(٢) أخرجه أبو يعلى فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٣٤٢٥) ـ وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة ـ رقم الحديث (٦٢١) ـ وصحح إسناده.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ باب من فضائل موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٢٣٧٥) (١٦٤).

وَالْحَيَاةُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ حَيَاةٌ بَرْزَخِيَّةٌ، لَا تَخْضَعُ لِقَوَانِينِ الدُّنْيَا، وَهِيَ أُمُورٌ لَا يُدْرِكُهَا الْعَقْلُ الْبَشَرِيُّ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَخْضَعَ لِلْمَأْلُوفِ، وَلِذَلِكَ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ أَوْ تَشْبِيهٍ أَوْ تَكْيِيفٍ.

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ زِيَادَةُ تَوَعُّكِهِمْ[1] لِيَزْدَادَ لَهُمُ الْأَجْرُ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ مَاجَه وَالْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ، فَوَضَعْتُ يَدِيَّ عَلَيْهِ، فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدِيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ؟

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّا كَذَلِكَ**[2]**، يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ**»[3].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ[4] بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**»، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، قَالَ

---

(١) الوَعْك: الحُمى. انظر النهاية (٥/١٧٩).

(٢) في رواية الإمام أحمد: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنا معشر الأنبياء**».

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١١٨٩٣) ـ وابن ماجه ـ كتاب الفتن ـ باب الصبر على البلاء ـ رقم الحديث (٤٠٢٤) ـ والإمام البخاري في الأدب المفرد ـ رقم الحديث (٣٩٥) ـ والطحاوي في شرح شكل الآثار ـ رقم الحديث (٢٢١٠).

(٤) قال الحافظ في الفتح (١١/٢٦١): فمسسته بكسر السين الأولى.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَلْ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**»[1].

قُلْتُ: يُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صَلْبًا، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ[2] الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[3].

** ** **

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المرضى ـ باب وضع اليد على المريض ـ رقم الحديث (٥٦٦٠) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك ـ رقم الحديث (٢٥٧١).

(٢) فما يبرح: أي فما يزال. انظر لسان العرب (٣٦١/١).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب الزهد ـ باب ما جاء في الصبر على البلاء ـ رقم الحديث (٢٥٦١) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٤٨١).



القسم الرابع

خصائص أمة النبي صلى الله عليه وسلم



خَصَائِصُ أُمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

❁ مِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَرَّفَهَا بِالْجُمُعَةِ(١) وَتَحِيَّةِ السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ وَاسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ فِي الصَّلَاةِ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَضَلَّ(٢) اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا، فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ**»(٣).

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١١٩/٨): إنما سميت الجمعة جُمعة لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمساجد الكبار.
وقال ابن القيم في زاد المعاد (٣٦٤/١): صلاة الجمعة من آكد فروض الإسلام، ومن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه سوى مجمع عرفة، ومن تركها تهاونًا بها، طبع الله على قلبه، وقُرْبُ أهل الجنة يوم القيامة، وسبقهم إلى الزيارة يوم المزيد بحسب قربهم من الإمام يوم الجمعة وتبكيرهم.

(٢) معنى أضل: أي صرفهم عنها، ولم يوفقهم لها.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الجمعة ـ باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ـ=

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ الْآخِرُونَ فِي الزَّمَانِ وَالْوُجُودِ السَّابِقُونَ بِالْفَضْلِ، وَدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَتَدْخُلُ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْجَنَّةَ قَبْلَ سَائِرِ الْأُمَمِ[1].

* **فَوَائِدُ الْحَدِيثِ:**

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَفِي الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ:

١ ـ أَنَّ الْهِدَايَةَ وَالْإِضْلَالَ مِنَ اللهِ تَعَالَى كَمَا هُوَ قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ.

٢ ـ وَأَنَّ الْجُمُعَةَ أَوَّلُ الْأُسْبُوعِ شَرْعًا، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ تَسْمِيَةُ الْأُسْبُوعِ كُلِّهِ جُمَعٌ، وَكَانُوا يُسَمُّونَ الْأُسْبُوعَ سَبْتًا[2]، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ ـ أَيِ الْأَنْصَارُ ـ كَانُوا مُجَاوِرِينَ لِلْيَهُودِ فَتَبِعُوهُمْ فِي ذَلِكَ.

٣ ـ وَفِيهِ بَيَانٌ وَاضِحٌ لِمَزِيدِ فَضْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ زَادَهَا اللهُ تَعَالَى[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ

= رقم الحديث (٨٥٦) ـ وأخرجه ابن ماجه في سننه ـ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب فرض الجمعة ـ رقم الحديث (١٠٨٣).

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٤/١٢٤).

(٢) أخرج ذلك البخاري في صحيحه ـ كتاب الاستسقاء ـ باب الاستسقاء في المسجد الجامع ـ رقم الحديث (١٠١٣).

(٣) انظر فتح الباري (٣/٧).

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُمْ ـ أَيِ الْيَهُودُ ـ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ**»[1].

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**»[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا ـ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[3] فَقُولُوا: آمِينَ[4]، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٥٠٢٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ـ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب الجهر بآمين ـ رقم الحديث (٨٥٦).

(٣) رَوَى الْإِمَامُ أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٩٣٨١) ـ والترمذي في جامعه ـ رقم الحديث (٣١٨٦) بسند حسن عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى**».
وقال الإمام القرطبي في تفسيره (١/٢٣١): وشهد لهذا التفسير أيضاً قوله سبحانه في اليهود في سورة البقرة آية (٦١): ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وقال في النصارى في سورة المائدة آية (٧٧): ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.
وقيل: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ باتباع البدع، ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن سنن الهُدى.
قلت (القرطبي): **وهذا حسن، وتفسير النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أولى وأعلى وأحسن**.

(٤) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ (١/١٤٥): قال الأكثرون معنى ﴿آمين﴾: اللهم استجب لنا.

الْمَلَائِكَةِ[1] غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[2].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: مَعْنَاهُ وَافَقَهُمْ فِي وَقْتِ التَّأْمِينِ فَأَمَّنَ مَعَ تَأْمِينِهِمْ، فَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الصَّوَابُ[3].

وَقَالَ ابْنُ الْمُنَيِّرِ: وَأَيُّ فَضْلٍ أَعْظَمُ مِنْ كَوْنِهِ قَوْلاً يَسِيرًا لَا كُلْفَةَ فِيهِ، ثُمَّ قَدْ تَرَتَّبَتْ عَلَيْهِ الْمَغْفِرَةُ[4].

❁ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ أَنَّ أَصْحَابَهُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ بِإِجْمَاعِ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ:

فَلَا يُبْحَثُ عَنْ عَدَالَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ.

وَالْعَدْلُ لُغَةً: هُوَ الَّذِي لَا يَمِيلُ بِهِ الْهَوَى فَيَجُورُ فِي الْحُكْمِ، وَالْعَدْلُ مِنَ النَّاسِ، الْمَرْضِيُّ قَوْلُهُ وَحُكْمُهُ[5].

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى نَفْسِهِ اسْتُعْمِلَتْ كَلِمَةُ الْعَدْلِ فِي كِتَابِ اللهِ، فقَالَ تَعَالَى:

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٢/٥١٦): والَّذِي يظهر أن المراد بهم من يشهد تلك الصلاة من الملائكة ممن في الأرض أو في السماء.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأذان ـ باب جهر المأموم بالتأمين ـ رقم الحديث (٧٨٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب التسميع والتحميد والتأمين ـ رقم الحديث (٤١٠) (٧٢).

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٤/١١٠).

(٤) انظر فتح الباري (٢/٥١٧).

(٥) انظر لسان العرب (٩/٨٣).

﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[1].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: هُمَا اللَّذَانِ يُرْضَى دِينُهُمَا وَأَمَانَتُهُمَا[2].

وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي الْكِفَايَةِ: عَدَالَةُ الصَّحَابَةِ ثَابِتَةٌ مَعْلُومَةٌ بِتَعْدِيلِ اللهِ لَهُمْ، وَإِخْبَارِهِ عَنْ طَهَارَتِهِمْ، وَاخْتِيَارِهِ لَهُمْ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[3].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[4].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا

---

(١) سورة الطلاق آية (٢).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٢/١٢٩).

(٣) سورة الفتح آية (٢٩).

(٤) سورة الفتح آية (١٨).

ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

وَالْآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ يَقْتَضِي الْقَطْعَ بِتَعْدِيلِهِمْ، وَلَا يَحْتَاجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَعَ تَعْدِيلِ اللهِ لَهُ إِلَى تَعْدِيلِ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرِدْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ فِيهِمْ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ لَأَوْجَبَتِ الْحَالُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا مِنَ الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، وَنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَبَذْلِ الْمُهَجِ[4] وَالْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْآبَاءِ

(١) سورة التوبة آية (١٠٠).
(٢) سورة التوبة آية (١١٧ ـ ١١٨).
(٣) سورة الحشر آية (٨ ـ ٩).
(٤) المهجة: هي الروح. انظر لسان العرب (٢٠٦/١٣).

وَالْأَبْنَاءِ، وَالْمُنَاصَحَةِ فِي الدِّينِ، وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَالْقَطْعَ عَلَى تَعْدِيلِهِمْ، وَالِاعْتِقَادِ لِنَزَاهَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْخَالِفِينَ بَعْدَهُمْ، وَالْمُعَدَّلِينَ الَّذِينَ يَجِيئُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ، هَذَا مَذْهَبُ كَافَّةِ الْعُلَمَاءِ، وَمَنْ يُعْتَمَدُ قَوْلُهُ(١).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لِمَا أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا نَطَقَتْ بِهِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ فِي الْمَدْحِ لَهُمْ فِي جَمِيعِ أَخْلَاقِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَمَا بَذَلُوهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَرْوَاحِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ، وَالْجَزَاءِ الْجَمِيلِ(٢).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ(٣) أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»**(٤).

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ: وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ جُهْدَ الْمُقِلِّ مِنْهُمْ وَالْيَسِيرَ مِنَ النَّفَقَةِ مَعَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْعَيْشِ وَالضُّرِّ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْكَثِيرِ الَّذِي يُنْفِقُهُ مَنْ بَعْدَهُمْ(٥).

---

(١) انظر الكفاية في علم الرواية (٩٣ ـ ٩٦).

(٢) انظر الباعث الحثيث ص ١٦٢.

(٣) المُدُّ: بضم الميم هو في الأصل ربع الصاع. انظر النهاية (٤/٢٦٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لو كنت متخذاً خليلاً»** رقم الحديث (٣٦٧٣) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب تحريم سب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ رقم الحديث (٢٥٤١).

(٥) انظر شرح السنة (١٤/٧٠).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فِي سَبَبِ الْأَفْضَلِيَّةِ عِظَمُ مَوْقِعِ ذَلِكَ لِشِدَّةِ الِاحْتِيَاجِ إِلَيْهِ، وَأَشَارَ بِالْأَفْضَلِيَّةِ بِسَبَبِ الإِنْفَاقِ إِلَى الْأَفْضَلِيَّةِ بِسَبَبِ الْقِتَالِ كَمَا وَقَعَ فِي الْآيَةِ:

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾[1]، فَإِنَّ فِيهَا إِشَارَةً إِلَى مَوْقِعِ السَّبَبِ الذِي ذَكَرْتُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الإِنْفَاقَ وَالْقِتَالَ كَانَ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ عَظِيمًا لِشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَقِلَّةِ الْمُعْتَنَى بِهِ بِخِلَافِ مَا وَقَعَ بَعْدَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَثُرُوا بَعْدَ الْفَتْحِ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، فَإِنَّهُ لَا يَقَعُ ذَلِكَ الْمَوْقِعَ الْمُتَقَدِّمَ، وَاللهُ أَعْلَمُ[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ[3]، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»[4].

---

(١) سورة الحديد آية (١٠).

(٢) انظر فتح الباري (٣٨٧/٧).

(٣) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٦٨/١٦) أي: من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من العرب واختلاف القلوب، ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً، وقد وقع كل ذلك.

(٤) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٦٨/١٦): معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين، والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة، وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته ﷺ. =

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْأَمَنَةُ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمِيمِ، وَالْأَمْنُ وَالْأَمَانُ بِمَعْنًى، وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ النُّجُومَ مَا دَامَتْ بَاقِيَةً، فَالسَّمَاءُ بَاقِيَةٌ، فَإِذَا انْكَدَرَتِ[1] النُّجُومُ، وَتَنَاثَرَتْ فِي الْقِيَامَةِ وَهَنَتِ[2] السَّمَاءُ، فَانْفَطَرَتْ، وَانْشَقَّتْ وَذَهَبَتْ[3].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ جُعِلَتْ صُفُوفُهُمْ فِي الصَّلَاةِ كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ»**[4].

قَوْلُهُ ﷺ: **«جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ»**.

يُفَسِّرُهُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ

= والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه... ـ رقم الحديث (٢٥٣١) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٩٥٦٦).

(١) انكدرت: أي تهافتت وتناثرت. انظر لسان العرب (١٢/٤٥).
ومنه قوله تَعَالَى في سورة التكوير آية (٢): ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾.

(٢) وهنت: أي ضعفت. انظر لسان العرب (١٥/٤١٧).

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٦٧).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ـ رقم الحديث (٥٢٢).

مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا»**؟

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ: وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَّلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»**(١).

* خُطُورَةُ إِهْمَالِ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»**(٢).

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: الْمُرَادُ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ اعْتِدَالُ الْقَائِمِينَ بِهَا عَلَى سَمْتٍ وَاحِدٍ، أَوْ يُرَادُ بِهَا سَدُّ الْخَلَلِ الَّذِي فِي الصَّفِّ.

وَاخْتُلِفَ فِي الْوَعِيدِ الْمَذْكُورِ، فَقِيلَ: هُوَ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَالْمُرَادُ تَسْوِيَةُ الْوَجْهِ بِتَحْوِيلِ خَلْقِهِ عَنْ وَضْعِهِ بِجَعْلِهِ مَوْضِعَ الْقَفَا أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَمِنَ اللَّطَائِفِ وُقُوعُ الْوَعِيدِ مِنْ جِنْسِ الْجِنَايَةِ وَهِيَ الْمُخَالَفَةُ، وَعَلَى هَذَا فَهُوَ وَاجِبٌ، وَالتَّفْرِيطُ فِيهِ حَرَامٌ(٣).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب الأمر بالسكون في الصلاة... ـ رقم الحديث (٤٣٠) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٠٩٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأذان ـ باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها ـ رقم الحديث (٧١٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب تسوية الصفوف وإقامتها... ـ رقم الحديث (٤٣٦) (١٢٧).

(٣) انظر فتح الباري (٢/٤٤٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ: «**اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**»(١).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّدَمَ لِأُمَّتِهِ تَوْبَةٌ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**»(٢).

قَالَ الْإِمَامُ السِّنْدِيُّ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**النَّدَمُ**» أَيْ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، لِكَوْنِهَا مَعْصِيَةٌ، وَإِلَّا، فَإِذَا نَدِمَ عَلَيْهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، كَمَا إِذَا نَدِمَ عَلَى شُرْبِ الْخَمْرِ مِنْ جِهَةِ صَرْفِ الْمَالِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ مِنَ التَّوْبَةِ فِي شَيْءٍ.

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَوْبَةٌ**» أَيْ: مُعْظَمُهَا، وَمُسْتَلْزِمٌ لِبَقِيَّةِ أَجْزَائِهَا عَادَةً، فَإِنَّ النَّادِمَ يُقْلِعُ عَنِ الذَّنْبِ فِي الْحَالِ عَادَةً، وَيَعْزِمُ عَلَى عَدَمِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَبِهَذَا الْقَدْرِ تَتِمُّ التَّوْبَةُ، إِلَّا فِي الْفَرَائِضِ الَّتِي يَجِبُ قَضَاؤُهَا، فَتَحْتَاجُ التَّوْبَةُ فِيهَا إِلَى الْقَضَاءِ، وَإِلَّا فِي حُقُوقِ الْعِبَادِ، فَتَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى الِاسْتِحْلَالِ أَوِ الرَّدِّ، وَالنَّدَمُ يُعِينُ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب تسوية الصفوف وإقامتها... ـ رقم الحديث (٤٣٢) (١٢٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٣٥٦٨) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الزهد ـ باب ذكر التوبة ـ رقم الحديث (٤٢٥٢).

(٣) انظر شرح السندي لمسند الإمام أحمد (٢١٧/٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ لِغَيْرِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَفَّارَةُ الذَّنْبِ النَّدَامَةُ**»[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتِصَاصُهَا بِصَلَاةِ الْعِشَاءِ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَقَبْنَا[2] رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ، فَاحْتَبَسَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لَنْ يَخْرُجَ، وَالْقَائِلُ مِنَّا يَقُولُ: قَدْ صَلَّى وَلَنْ يَخْرُجَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: ظَنَنَّا أَنَّكَ لَنْ تَخْرُجَ، وَالْقَائِلُ مِنَّا يَقُولُ: قَدْ صَلَّى وَلَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَعْتِمُوا[3] بِهَذِهِ الصَّلَاةِ، فَقَدْ فُضِّلْتُمْ بِهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَلَمْ تُصَلِّهَا أُمَّةٌ قَبْلَكُمْ**»[4].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأَصْحَابِيَ الَّذِينَ قَدِمُوا مَعِي فِي السَّفِينَةِ[5] نُزُولاً فِي بَقِيعِ بُطْحَانَ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٦٢٣).

(٢) رَقَبْنا: أي انتظرنا. انظر لسان العرب (٥/٢٧٩).

(٣) العَتَمة: من ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق. انظر لسان العرب (٩/٤١).
وعتمة الليل: هي ظلمته. انظر النهاية (٣/١٦٤).
وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعتِموا**»: هُوَ من الإعتام أي: الدخول في العتمة.

(٤) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٢٠٦٦) ـ وأبو داود في سننه ـ كتاب الصلاة ـ باب وقت عشاء الآخرة ـ رقم الحديث (٤٢١).

(٥) انظر تفاصيل هجرة أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه في السفينة في كتابنا: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (٣/٤٣٨).

وَالنَّبِيُّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَتَنَاوَبُ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ كُلَّ لَيْلَةٍ نَفَرٌ مِنْهُمْ، فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ أَنَا وَأَصْحَابِي، وَلَهُ بَعْضُ الشُّغْلِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، فَأَعْتَمَ بِالصَّلَاةِ حَتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ[1]، ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَصَلَّى بِهِمْ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ: «**عَلَى رِسْلِكُمْ[2] أَبْشِرُوا، إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُصَلِّي هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ**»، أَوْ قَالَ: «**مَا صَلَّى هَذِهِ السَّاعَةَ أَحَدٌ غَيْرَكُمْ**».

قَالَ أَبُو مُوسَى: فَرَجَعْنَا فَفَرِحْنَا بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[3].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَسَبَبُ فَرَحِهِمْ عِلْمُهُمْ بِاخْتِصَاصِهِمْ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الَّتِي هِيَ نِعْمَةٌ عُظْمَى مُسْتَلْزِمَةٌ لِلْمَثُوبَةِ الْحُسْنَى مَعَ مَا انْضَافَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَجْمِيعِهِمْ فِيهَا خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ[4].

* هَلْ يُقَالُ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ صَلَاةُ الْعَتَمَةِ؟

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٥/١١٩): ابهار بإسكان الباء وتشديد الراء أي انتصف.

(٢) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٥/١٢٠): رِسْلِكم بكسر الراء وفتحها لغتان، والكسر أفصح وأشهر أي تأنّوا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب مواقيت الصلاة ـ باب فضل العشاء ـ رقم الحديث (٥٦٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب وقت العشاء وتأخيرها ـ رقم الحديث (٦٤١).

(٤) انظر فتح الباري (٢/٢٤١).

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«لَا تَغْلِبَنَّكُمُ الْأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُمْ، أَلَا وَإِنَّهَا الْعِشَاءُ، وَلَكِنَّهُمْ يُعْتِمُونَ بِالْإِبِلِ»**[1].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَعْرَابَ يُسَمُّونَهَا الْعَتَمَةَ لِكَوْنِهِمْ يُعْتِمُونَ بِحِلَابِ الْإِبِلِ: أَيْ يُؤَخِّرُونَهُ إِلَى شِدَّةِ الظَّلَامِ[2].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ[3] وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا[4] عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ[5] لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»**[6].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَسْمِيَةُ الْعِشَاءِ عَتَمَةً، وَقَدْ ثَبَتَ النَّهْيُ عَنْهُ، وَجَوَابُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ بَيَانٌ لِلْجَوَازِ وَأَنَّ ذَلِكَ النَّهْيَ لَيْسَ لِلتَّحْرِيمِ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب وقت العشاء وتأخيرها ـ رقم الحديث (٦٤٤) ـ وأبو داود في سننه ـ كتاب الأدب ـ باب في صلاة العتمة ـ رقم الحديث (٤٩٨٤).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٢١/٥).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣٠٢/٢): النداء: أي الأذان.

(٤) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٣٢/٤): الاستهام: الاقتراع.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٣٠٣/٢): التهجير: أي التبكير إلى الصلاة.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأذان ـ باب الاستهام في الأذان ـ رقم الحديث (٦١٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب تسوية الصفوف وإقامتها... ـ رقم الحديث (٤٣٧).

وَالثَّانِي: وَهُوَ الْأَظْهَرُ أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْعَتَمَةِ هُنَا لِمَصْلَحَةٍ، وَنَفْيِ مَفْسَدَةٍ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ لَفْظَةَ الْعِشَاءِ فِي الْمَغْرِبِ، فَلَوْ قَالَ: لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ لَحَمَلُوهَا عَلَى الْمَغْرِبِ، فَفَسَدَ الْمَعْنَى، وَفَاتَ الْمَطْلُوبُ فَاسْتَعْمَلَ الْعَتَمَةَ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا، وَلَا يَشُكُّونَ فِيهَا[1].

وَضَعَّفَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ الْقَوْلَ الثَّانِي بِقَوْلِهِ: وَهَذَا ضَعِيفٌ، لِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي نَفْسِ هَذَا الْحَدِيثِ: «**لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ**»[2] ... وَلَا بُعْدَ فِي أَنَّ ذَلِكَ كَانَ جَائِزًا، فَلَمَّا كَثُرَ إِطْلَاقُهُمْ لَهُ نُهُوا عَنْهُ لِئَلَّا تَغْلِبَ السُّنَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ عَلَى السُّنَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يَحْرُمُ ذَلِكَ بِدَلِيلِ أَنَّ الصَّحَابَةَ الَّذِينَ رَوَوُا النَّهْيَ اسْتَعْمَلُوا التَّسْمِيَةَ الْمَذْكُورَةَ[3].

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي ذَلِكَ: فَمِنْهُمْ مَنْ كَرِهَهُ كَابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَاوِي الْحَدِيثِ[4]، وَمِنْهُمْ مَنْ أَطْلَقَ جَوَازَهُ نَقَلَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ[5]، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ خِلَافَ الْأَوْلَى

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٤/١٣٣).

(٢) أخرج هذا الحديث بهذا اللفظ: الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٧٢٢٦) ـ وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) انظر فتح الباري (٢/٢٣٨).

(٤) روى ابن أبي شيبة في مصنفه ـ رقم الحديث (٨١٦٢) عن نافع قَالَ: كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا سمعهم يقولون العَتَمة، غضب غضباً شديداً، أو: نهى نهياً شديداً.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ـ رقم الحديث (٦٧٧٢) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في الوتر أول الليل ـ رقم الحديث (١٢٠٢) ـ=

وَهُوَ الرَّاجِحُ[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا خَيْرُ الْأُمَمِ وَآخِرُ الأُمَمِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[2].

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ وَابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ ـ وَاللَّفْظُ لِلتِّرْمِذِيِّ ـ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قَالَ: «أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ»[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

= وإسناده حسن، ولفظه عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر: «متى تُوتر»؟

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أول الليل بعد العَتَمة قبل أن أنام...

(١) انظر فتح الباري (٢/٢٣٦).

(٢) سورة آل عمران آية (١١٠).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب سورة آل عمران ـ رقم الحديث (٣٢٤٦) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الزهد ـ باب صفة أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٤٢٨٨) ـ وأورده الحافظ في الفتح (٩/٩٢) وقَالَ: حديث حسن صحيح.

وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، قَالَ: هُمُ الَّذِينَ هَاجَرُوا مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ[1].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: الصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْأُمَّةِ[2]، كُلُّ قَرْنٍ بِحَسَبِهِ، وَخَيْرُ قُرُونِهِمُ الَّذِين بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، أَيْ خِيَارًا ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُعْطِيتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ»**، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هُوَ؟

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُورًا، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَمِ»**[4].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَإِنَّمَا حَازَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَصَبَ السَّبْقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ بِنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ أَشْرَفُ خَلْقِ اللهِ، وَأَكْرَمُ الرُّسُلِ عَلَى اللهِ، وَبَعَثَهُ اللهُ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٤٦٣) ـ وأورده الحافظ في الفتح (٩١/٩) وجود إسناده.

(٢) ممن رَجّح أن هذه الآية عامة في كل الأمة:
الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٩١/٣) ـ والحافظ ابن حجر في الفتح (٩٢/٩).

(٣) سورة البقرة آية (١٤٣) ـ وانظر كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره (٩٤/٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٧٦٣) ـ وأورده الحافظ ابن كثير في تفسير (٩٤/٢) وحَسّن إسناده ـ وأورده الحافظ في الفتح (٩٢/٩) وحَسّن إسناده.

بِشَرْعٍ كَامِلٍ عَظِيمٍ لَمْ يُعْطِهِ نَبِيًّا قَبْلَهُ، وَلَا رَسُولاً مِنَ الرُّسُلِ، فَالْعَمَلُ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَسَبِيلِهِ، يَقُومُ الْقَلِيلُ مِنْهُ مَا لَا يَقُومُ الْعَمَلُ الْكَثِيرُ مِنْ أَعْمَالِ غَيْرِهِمْ مَقَامَهُ[1].

ورَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**»[2].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضِيلَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَشَرَفِهَا بِكَرَامَتِهَا عَلَى اللهِ، وَأَنَّهَا خَيْرُ الْأُمَمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ... ثُمَّ سَاقَ بَعْضَ الْأَحَادِيثِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾.

فَمَنِ اتَّصَفَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ دَخَلَ مَعَهُمْ فِي هَذَا الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَالْمَدْحِ لَهُمْ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: بَلَغَنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَجَّةٍ حَجَّهَا رَأَى مِنَ النَّاسِ سُرْعَةً، فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾، ثُمَّ قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللهِ فِيهَا.

وَمَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِذَلِكَ أَشْبَهَ أَهْلَ الْكِتَابِ الَّذِين ذَمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ:

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب (٥٤) ـ رقم الحديث (٣٤٨٦) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الجمعة ـ باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ـ رقم الحديث (٨٥٥) (٢٠).

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[1]، وَلِهَذَا لَمَّا مَدَحَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ شَرَعَ فِي ذَمِّ أَهْلِ الْكِتَابِ وَتَأْنِيبِهِمْ، فَقَالَ سُبْحَانُه: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، أَيْ: بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، أَيْ: قَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ، وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ وَالْكُفْرِ وَالْفِسْقِ وَالْعِصْيَانِ[2].

* حَدِيثٌ لَا أَصْلَ لَهُ:

وَأَمَّا حَدِيثُ: «**الْخَيْرُ فِيَّ وَفِي أُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

قَالَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: لَا أَعْرِفُهُ[3].

وَأَوْرَدَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي السِّلْسِلَةِ الضَّعِيفَةِ، وَقَالَ: لَا أَصْلَ لَهُ[4].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ أَحَلَّ لَهَا بَعْضَ الْأَطْعِمَةِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[5].

---

(١) سورة المائدة آية (٧٩).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/١٠٣).

(٣) نقله عنه السخاوي في المقاصد الحسنة.

(٤) انظر السلسلة الضعيفة (١/١٠٤).

(٥) سورة المائدة آية (٩٦). =

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِه بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ: فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ، فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ»**[1].

وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ مَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ فِي مَعْنَى الْمُسْنَدِ[2].

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَهَذَا الْمَوْقُوفُ فِي حُكْمِ الرَّفْعِ، لِأَنَّ قَوْلَ الصَّحَابِيِّ: أُحِلَّ لَنَا كَذَا، وَحُرِّمَ عَلَيْنَا، يَنْصَرِفُ إِلَى إِحْلَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَحْرِيمِهِ[3].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: نَعَمْ الرِّوَايَةُ الْمَوْقُوفَةُ الَّتِي صَحَّحَهَا أَبُو حَاتِمٍ وَغَيْرُهُ هِيَ فِي حُكْمِ الرَّفْعِ، لِأَنَّ قَوْلَ الصَّحَابِيِّ: أُحِلَّ لَنَا، وَحُرِّمَ عَلَيْنَا كَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ: أُمِرْنَا بِكَذَا، وَنُهِينَا عَنْ كَذَا، فَيَحْصُلُ الِاسْتِدْلَالُ بِهَذِهِ الرِّوَايَةِ، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى الْمَرْفُوعِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[4].

قُلْتُ: وَقَعَ فِي نُسْخَةِ السِّنْدِيِّ: **«أُحِلَّتْ لِي»**.

= قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/٦٩): قوله تعالى: ﴿وطعامه﴾ ما قذفه البحر، أو حسر عنه فوجد ميتًا على ساحله.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ رقم الحديث (٥٧٢٣) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الأطعمة ـ باب الكبد والطحال ـ رقم الحديث (٣٣١٤).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن (١/٢٥٤).

(٣) انظر زاد المعاد (٣/٣٤٥).

(٤) انظر التلخيص الحبير (٣/٥٣).

قَالَ السِّنْدِيُّ: هَكَذَا فِي أَصْلِنَا، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ «لَنَا»، وَالْكُلُّ صَحِيحٌ، أَمَّا «لِي»، فَلِكَوْنِهِ الْأَصْلُ، وَالنَّاسُ أَتْبَاعُهُ ﷺ، وَأَمَّا «لَنَا»، فَلِإِرَادَةِ الْأُمَّةِ مَعَهُ، لِعُمُومِ الْحُكْمِ[1].

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ: وَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى إِبَاحَةِ أَكْلِ السَّمَكِ عَلَى أَيَّةِ وَجْهٍ مَاتَ[2].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ ـ أَوْ سِتًّا ـ كُنَّا نَأْكُلُ مَعَهُ الْجَرَادَ[3].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى إِبَاحَةِ الْجَرَادِ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَحْمَدُ وَالْجَمَاهِيرُ: يَحِلُّ سَوَاءً مَاتَ بِذَكَاةٍ، أَوْ بِاصْطِيَادِ مُسْلِمٍ أَوْ مَجُوسِيٍّ أَوْ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ سَوَاءً قُطِعَ بَعْضُهُ أَوْ حَدَثَ فِيهِ سَبَبٌ[4].

* حَدِيثٌ ضَعِيفٌ:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ سَلْمَانَ قَالَ:

---

(١) انظر شرح المسند للسندي (٤/١٩٨).

(٢) انظر شرح السنة (١١/٢٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الذبائح والصيد ـ باب أكل الجراد ـ رقم الحديث (٥٤٩٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الصيد والذبائح ـ باب إباحة الجراد ـ رقم الحديث (١٩٥٢).

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/٨٧).

سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْجَرَادِ، فَقَالَ: «أَكْثَرُ جُنُودِ اللهِ، لَا آكُلُهُ، وَلَا أُحَرِّمُهُ»[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ سَمَّاهُمُ الْمُسْلِمِينَ:

وَلَمْ يُوصَفْ بِهَذَا الْوَصْفِ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دُونَ أُمَمِهِمْ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[2].

رَوَى الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ قَالَ: اللهُ سَمَّاكُمْ[3].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ[4]، لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، ثُمَّ حَثَّهُمْ وَأَغْرَاهُمْ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَنَّهُ مِلَّةُ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ ذَكَرَ مِنَّتَهُ تَعَالَى

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الأطعمة ـ باب في أكل الجراد ـ رقم الحديث (٣٨١٣) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الصيد ـ باب صيد الحيتان والجراد ـ رقم الحديث (٣٢١٩).

(٢) سورة الحج آية (٧٨).

(٣) انظر تفسير الطبري (٩/١٩٣).

(٤) أي قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِمَا نَوَّهَ بِهِ مِنْ ذِكْرِهَا وَالثَّنَاءِ عَلَيْهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ وَقَدِيمِ الزَّمَانِ، فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ، يُتْلَى عَلَى الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ أَيْ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... **فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ فِيهَا الْقُرُونَ الثَّلَاثَةَ الْمُفَضَّلَةَ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ**[3]**، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ**»[4].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: الْمُرَادُ بِقَرْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: الصَّحَابَةُ، وَقَدْ سَبَقَ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5]، قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ فِي**

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٥/٤٥٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٧١٧٠) ـ والترمذي في جامعه ـ كتاب الأمثال ـ باب ما جاء مَثل الصلاة والصيام والصدقة ـ رقم الحديث (٣٠٧٩).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٧/٣٥٢): أي القرن الذي بعدهم وهم التابعون.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧/٣٥٢): هم أتباع التابعين.

والحديث أخرجه البخاري ـ كتاب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ باب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٣٦٥١) ـ ومسلم ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضل الصحابة ـ رقم الحديث (٢٥٣٣) (٢١٢).

(٥) من صحيح البخاري ـ رقم الحديث (٣٥٥٧).

خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ»، وَفِي رِوَايَةِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقَرْنُ الذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ»**[(١)].

وَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ الذِي بَيْنَ الْبِعْثَةِ وَآخِرِ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِائَةُ سَنَةٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً، أَوْ دُونَهَا، أَوْ فَوْقَهَا بِقَلِيلٍ عَلَى الِاخْتِلَافِ فِي وَفَاةِ أَبِي الطُّفَيْلِ[(٢)]، وَإِنِ اعْتُبِرَ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَكُونُ مِائَةَ سَنَةٍ، أَوْ تِسْعِينَ، أَوْ سَبْعاً وَتِسْعِينَ، وَأَمَّا قَرْنُ التَّابِعِينَ فَإِنِ اعْتُبِرَ مِنْ سَنَةِ مِائَةٍ كَانَ نَحْوَ سَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ، وَأَمَّا الذِينَ بَعْدَهُمْ فَإِنِ اعْتُبِرَ مِنْهَا كَانَ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ، فَظَهَرَ بِذَلِكَ أَنَّ مُدَّةَ الْقَرْنِ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَعْمَارِ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ[(٣)].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الذِي كُنْتُ فِيهِ»**[(٤)].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ رقم الحديث (٢٣٠٢٤) وإسناده صحيح لغيره.

(٢) أبو الطفيل هو عامر بن واثلة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو آخر من مات من الصحابة.
قال الإمام الذهبي في السير (٤٦٧/٣): أبو الطفيل خاتم من رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا، واختلف في سنة وفاته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ورجَّح الإمام الذهبي في السير (٤٧٠/٣) وفاته سنة عشر ومائة، فقال: هذا هو الصحيح من وفاته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لثبوته.

(٣) انظر فتح الباري (٣٤٩/٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب صفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٣٥٥٧).

قَالَ: قَالَ ﷺ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقَرْنُ الذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ»(١).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ عَنْهُمُ الْإِصْرَ(٢) الَّذِي كَانَ عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٣).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٤).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ رقم الحديث (١٨٣٤٩).

(٢) أصل الإِصْر: الثقل والشدة. انظر لسان العرب (١٥٢/١).

(٣) سورة البقرة آية (١٨٥).

(٤) سورة الأعراف آية (١٥٧).

فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ**»[2].

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: بَابُ الدِّينِ يُسْرٌ[3]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَحَبُّ الدِّينِ[4] إِلَى اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**»[5].

قَالَ الْإِمَامُ السِّنْدِيُّ: قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْحَنِيفِيَّةُ**» أَيِ الْمِلَّةُ الْمَنْسُوبَةُ إِلَى

---

(١) سورة الحج آية (٧٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٤٨٥٥).

(٣) قال الحافظ في الفتح (١/١٣٠): أي دين الإسلام ذو يسر، أو سُميّ الدين يسراً مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله، لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الَّذِي كان على من قبلهم ومن أوضح الأمثلة له أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم، وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم.

(٤) قال الحافظ في الفتح (١/١٣٠): قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أحب الدين**»، أي خصال الدين، لأن خصال الدين كلها محبوبة، لكن ما كان منها سمحاً ـ أي سهلاً ـ فهو أحب إلى الله، ويدل عليه ما أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٥٩٣٦) ـ بسند صحيح من حديث أعرابي لم يُسمه أنه سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**خير دينكم أيسره**».
أو الدين جنس، أي أحب الأديان إلى الله الحنيفية، والمراد بالأديان الشرائع الماضية قبل أن تبدل وتنسخ.

(٥) هكذا أخرجه البخاري في صحيحه ـ معلقاً ـ في كتاب الإيمان ـ ووصله الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢١٠٧) ـ عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فذكره ـ وحسن إسناده الحافظ في الفتح (١/١٣٠).

إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُرِيدُ دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي بُعِثَ بِهِ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِنَّهُ يُشَارِكُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْفُرُوعِ، مَعَ الِاتِّحَادِ فِي الْأُصُولِ، فَلِذَلِكَ يُنْسَبُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْحَنِيفُ عِنْدَ الْعَرَبِ: مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

«**وَالسَّمْحَةُ**»: بِفَتْحِ السِّينِ وَسُكُونِ الْمِيمِ، أَيْ: السَّهْلَةُ عَلَى النُّفُوسِ، لَا كَالرَّهْبَانِيَّةِ الشَّاقَّةِ عَلَيْهَا(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَكَمَا شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ ﷺ كَذَلِكَ جَعَلَ شَرْعَهُ فَسِيحًا وَاسِعًا سَمْحًا سَهْلاً لَا حَرَجَ فِيهِ وَلَا إِصْرَ وَلَا ضِيقَ(٢).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ**»(٣).

وَفِي لَفْظٍ: قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ**»(٤).

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: الْمُرَادُ نَفْيُ الْحَرَجِ عَمَّا يَقَعُ فِي النَّفْسِ حَتَّى يَقَعَ

---

(١) انظر شرح السندي على مسند الإمام أحمد (٢/٣٦١).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٨/٤٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الطلاق ـ باب إذا قال لامرأته وهو مكره: هذه أختي، فلا شيء عليه ـ رقم الحديث (٥٢٦٩) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب... ـ رقم الحديث (١٢٧) (٢٠٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب العتق ـ باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه ـ رقم الحديث (٢٥٢٨).

الْعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ، أَوِ الْقَوْلُ بِاللِّسَانِ عَلَى وَفْقِ ذَلِكَ... وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى عَظِيمِ قَدْرِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ لِأَجْلِ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْلِهِ: «**تَجَاوَزَ لِي**» وَفِيهِ إِشَارَةٌ بِاخْتِصَاصِهَا بِذَلِكَ[1].

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»[2].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَدْ كَانَتِ الْأُمَمُ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَنَا فِي شَرَائِعِهِمْ ضُيِّقَ عَلَيْهِمْ، فَوَسَّعَ اللهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أُمُورَهَا، وَسَهَّلَهَا لَهُمْ[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿**لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾[4]، اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ! كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ

---

(١) انظر فتح الباري (٥/٤٦٥) ـ (١٣/٤٠٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ـ كتاب إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مناقب الصحابة ـ باب الإخبار عما صَنَعَ الله بفضله عن هذه الأمة ـ رقم الحديث (٧٢١٩).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣/٤٨٩).

(٤) سورة البقرة آية (٢٨٤).

أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَا نُطِيقُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَثَرِهَا: ﴿**ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ**﴾[1].

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ (قَالَ: نَعَمْ)[2] ﴿**رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا**﴾ (قَالَ: نَعَمْ) ﴿**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ**﴾ (قَالَ: نَعَمْ) ﴿**وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ**﴾ (قَالَ: نَعَمْ)[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ مُرْجَانَةَ يُحَدِّثُ يَقُولُ: بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا**

---

(١) سورة البقرة آية (٢٨٥).

(٢) في رواية أخرى في صحيح مسلم ـ رقم الحديث (١٢٦) قال الله: «**قد فعلت**».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان أنه سبحانه وتعالَى لم يُكلف إلا ما يُطاق ـ رقم الحديث (١٢٥).

فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾ فَقَالَ: وَاللهِ لَئِنْ أَخَذَنَا اللهُ بِهَذَا لَنَهْلِكَنَّ! ثُمَّ بَكَى ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حَتَّى سُمِعَ نَشِيجُهُ، قَالَ ابْنُ مُرْجَانَةَ: فَقُمْتُ حَتَّى أَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَذَكَرْتُ لَهُ مَا تَلَا ابْنُ عُمَرَ، وَمَا فَعَلَ حَيْثُ تَلَاهَا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: يَغْفِرُ اللهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ! لَعَمْرِي لَقَدْ وَجَدَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا حِينَ أُنْزِلَتْ مِثْلَ مَا وَجَدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، فَأَنْزَلَ اللهُ بَعْدَهَا: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]، فَنَسَخَ اللهُ الْوَسْوَسَةَ، وَأَثْبَتَ الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَكَمَا شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ ﷺ كَذَلِكَ جَعَلَ شَرْعَهُ فَسِيحًا وَاسِعًا سَمْحًا سَهْلاً لَا حَرَجَ فِيهِ وَلَا إِصْرَ وَلَا ضِيقَ[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ أَنَّهَا لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ:

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ بِالشَّوَاهِدِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي، أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ** ﷺ **عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ»**[3].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/١٤٤) ـ وأورده الحافظ في الفتح (٩/٦٨) وصحح إسناده.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/٤٢٩).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب الفتن ـ باب ما جاء في لزوم الجماعة ـ رقم الحديث=

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ[1].

قَالَ الْمُبَارَكْفُورِي فِي تُحْفَةِ الْأَحْوَذِي: الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ، وَلَا عِبْرَةَ بِإِجْمَاعِ الْعَوَامِّ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ عَنْ عِلْمٍ[2].

وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ يُسَيْرِ بنِ عَمْرٍو قَالَ: شَيَّعْنَا[3] أَبَا مَسْعُودٍ[4] حِينَ خَرَجَ، فَنَزَلَ فِي طَرِيقِ الْقَادِسِيَّةِ فَدَخَلَ بُسْتَانًا، فَقَضَى الْحَاجَةَ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى جَوْرَبَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ وَإِنَّ لِحْيَتَهُ لَيَقْطُرُ مِنْهَا الْمَاءُ، فَقُلْنَا لَهُ: اعْهَدْ إِلَيْنَا فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ وَقَعُوا فِي الْفِتَنِ، وَلَا نَدْرِي هَلْ نَلْقَاكَ أَمْ لَا؟

قَالَ: اتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ أَوْ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ضَلَالَةٍ[5].

= (٢٣٠٥) ـ وأورد طرقه الألباني في السلسلة الصحيحة ـ رقم الحديث (١٣٣١) ـ وختم قوله: فالحديث بمجموع هذه الطرق حسن ـ وأورده في صحيح الجامع ـ رقم الحديث (١٨٤٨) ـ وقَالَ: صحيح.

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٣٦٠٠).

(٢) انظر تحفة الأحوذي (٦/٣٨٧).

(٣) شَيّعه: خرج معه عند رحيله ليُودعه. انظر لسان العرب (٧/٢٥٩).

(٤) أبو مسعود: هُوَ عقبة بن عمرو الأنصاري البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اتفقوا على أنه شهد العقبة، واختلفوا في شهوده بدراً، فقال الأكثر: نزلها فنُسِب إليها، وجزم البخاري بأنه شهدها، توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٤١) أو (٤٢) هجرية. انظر الإصابة (٤/٤٣٢).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ـ رقم الحديث (٣٨٣٤٧) ـ وصحح إسناده الحافظ في التلخيص الحبير (٥/٢٢٢٦) وقَالَ: مثله لا يُقال من قبل الرأي.

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ أَنَّهَا كَالْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَم آخِرُهُ**»[1].

قَالَ الْإِمَامُ السِّنْدِيُّ: الْمَطَرُ كُلُّهُ خَيْرٌ، أَوَّلُهُ يُنْبِتُ، وَآخِرُهُ يُرْبِي، كَذَلِكَ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمَرْحُومَةُ الْمُبَارَكَةُ كُلُّهَا خَيْرٌ، وَلَمْ يُرِدِ الشَّكَّ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُمْ مِنْ كَثْرِ الْخَيْرِ تَشَابَهَ أَمْرُهُمْ، وَكَادَ لَا يُمَيَّزُ أَوَّلُهُمْ مِنْ آخِرِهِمْ، وَهَذَا لَا يُنَافِي أَنَّ أَوَّلَهُمْ خَيْرٌ فِي الْوَاقِعِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي**»[2]، قِيلَ: الْأَوَّلُونَ أَقَامُوا الدِّينَ، وَالْآخِرُونَ مَهَّدُوا قَوَاعِدَهُ، وَقِيلَ: بَلِ الْآخِرُونَ أَهْلُ زَمَانِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُمْ يَعُودُونَ فِي الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ إِلَى حَالِ الْأَوَّلِينَ، وَاللهُ أَعْلَمُ[3].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا الْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ الدِّينَ كَمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى أَوَّلِ الْأُمَّةِ فِي إِبْلَاغِهِ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، كَذَلِكَ هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الْقَائِمِينَ بِهِ فِي أَوَاخِرِهَا، وَتَثْبِيتِ النَّاسِ عَلَى السُّنَّةِ وَرِوَايَتِهَا وَإِظْهَارِهَا، وَالْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٢٣٢٧) ـ والترمذي في جامعه ـ كتاب الأمثال ـ باب رقم (٦) ـ رقم الحديث (٣٠٨٦) ـ وأورده الحافظ في الفتح (٣٥٢/٧) وقال: حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة.

(٢) أخرج هذا الحديث: بلفظ: «**خيركم قرني**»، وبلفظ: «**خير الناس قرني**»: البخاري في صحيحه ـ كتاب الشهادات ـ باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد ـ رقم الحديث (٢٦٥١) (٢٦٥٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضل الصحابة، ثم الَّذِين يلونهم، ثم الَّذِين يلونهم ـ رقم الحديث (٢٥٣٥).

(٣) انظر شرح السندي للمسند (٢٠٣/٧).

وَكَذَلِكَ الزَّرْعُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى الْمَطَرِ الْأَوَّلِ وَإِلَى الْمَطَرِ الثَّانِي، وَلَكِنِ الْعُمْدَةُ الْكُبْرَى عَلَى الْأَوَّلِ، وَاحْتِيَاجُ الزَّرْعِ إِلَيْهِ آكَدُ، فَإِنَّهُ لَوْلَاهُ مَا نَبَتَ فِي الْأَرْضِ، وَلَا تَعَلَّقَ أَسَاسُهُ فِيهَا... وَالْغَرَضُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَشْرَفُ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ، وَالْمُقَرَّبُونَ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهَا وَأَعْلَى مَنْزِلَةً، لِشَرَفِ دِينِهَا، وَعِظَمِ نَبِيِّهَا ﷺ[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ لَا يُهْلِكُهَا بِجُوعٍ، وَلَا بِغَرَقٍ، وَلَا يُعَذَّبُونَ بِعَذَابٍ عُذِّبَ بِهِ مَنْ قَبْلَهُمْ، وَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ زَوَى[2] لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ[3] الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ[4] عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ[5]، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ**

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٧/٥١٩).

(٢) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٨/١١): زوى: معناه جمع.

(٣) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٨/١١): قال العلماء: المراد بالكنزين الذهب والفضة، والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام.

(٤) السَّنة: بفتح السين والنون القحط والجَدْب. انظر النهاية (٢/٣٧١).

(٥) قوله ﷺ: «**فيستبيح بيضتهم**»: أي مجتمعهم وموضع سلطانهم، ومستقر دعوتهم، أراد عدواً يستأصلهم ويُهلكهم جميعهم. انظر النهاية (١/١٦٩).

عَامَّةٍ، وَأَنْ لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا ـ أَوْ قَالَ: مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا»[1].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ مُعْجِزَاتٌ ظَاهِرَةٌ، وَقَدْ وَقَعَتْ كُلُّهَا بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى كَمَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ، دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلاً، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَة فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا»**[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ عَوْفِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَنْ يَجْمَعَ اللهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَيْفَيْنِ: سَيْفًا مِنْهَا، وَسَيْفًا مِنْ عَدُوِّهَا»**[4].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ـ رقم الحديث (٢٨٨٩) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٢٣٩٥).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١١/١٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ـ رقم الحديث (٢٨٩٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٣٩٨٩) ـ وأبو داود في سننه ـ كتاب الملاحم ـ باب ارتفاع الفتنة في الملاحم ـ رقم الحديث (٤٣٠١).

قَالَ الْمُنَاوِيُّ فِي فَيْضِ الْقَدِيرِ: يَعْنِي أَنَّ السَّيْفَيْنِ لَا يَجْتَمِعَانِ فَيُؤَدِّيَانِ إِلَى اسْتِئْصَالِهِمْ، وَلَكِنْ إِذَا جَعَلُوا بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ سَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوَّ، وَكَفَّ بَأْسَهُمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ أَقَلُّ أَعْمَالاً مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ وَأَكْثَرُ أَجْرًا:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطاً[2] قِيرَاطاً، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ، فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطاً قِيرَاطاً، ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأُعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ: أَيْ رَبَّنَا أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلاً، قَالَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟**

قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»[3].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: تَضَمَّنَ هَذَا الْحَدِيثُ أَنَّ أَجْرَ النَّصَارَى كَانَ أَكْثَرَ مِنْ

---

(١) انظر فيض القدير (٥/٣٠٢).

(٢) القيراط: جزء من أجزاء الدينار. انظر النهاية (٤/٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب مواقيت الصلاة ـ باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب ـ رقم الحديث (٥٥٧).

أَجْرِ الْيَهُودِ لِأَنَّ الْيَهُودَ عَمِلُوا نِصْفَ النَّهَارِ بِقِيرَاطٍ، وَالنَّصَارَى نَحْوَ رُبُعِ النَّهَارِ بِقِيرَاطٍ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ مَا حَصَلَ لِمَنْ آمَنَ مِنَ النَّصَارَى بِمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، فَحَصَلَ لَهُمْ تَضْعِيفُ الْأَجْرِ مَرَّتَيْنِ، بِخِلَافِ الْيَهُودِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا بُعِثَ عِيسَى عَلَيْهِالسَّلَامُ كَفَرُوا بِهِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: تَفْضِيلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَتَوْفِيرُ أَجْرِهَا مَعَ قِلَّةِ عَمَلِهَا، وَفِيهِ أَنَّ الثَّوَابَ مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ الْإِحْسَانِ مِنْهُ جَلَّ جَلَالُهُ[١].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلاً يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ، فَعَمِلُوا لَهُ نِصْفَ النَّهَارِ، فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ[٢]، فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَفْعَلُوا، أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلاً، فَأَبَوْا وَتَرَكُوا، وَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ بَعْدَهُمْ، فَقَالَ: أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَلَكُمُ الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ فَعَمِلُوا، حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، قَالُوا: لَكَ مَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ، وَلَكَ الْأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ فَإِنَّ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ[٣]، فَأَبَوْا، فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ، فَعَمِلُوا**

---

(١) انظر فتح الباري (٥/٢٠٩).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٥/٢٠٨): قولهم: «**وما عملنا باطل**»: إشارة إلى إحباط عملهم بكفرهم بعيسى عَلَيْهِالسَّلَامُ، إذ لا ينفعهم الإيمان بموسى وحده بعد بعثة عيسى، وكذلك القول في النصارى.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٥/٢٠٨): أي بالنسبة لما مضى منه، والمراد ما بقي من الدنيا.

بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا[1]، فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ[2] وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ»[3].

وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ»**[4].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: غُرًّا: بِضَمِّ الْغَيْنِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ جَمْعُ أَغَرَّ أَيْ ذُو غُرَّةٍ، وَأَصْلُ الْغُرَّةِ لَمْعَةٌ بَيْضَاءُ تَكُونُ فِي جَبْهَةِ الْفَرَسِ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ فِي الْجَمَالِ وَالشُّهْرَةِ وَطِيبِ الذِّكْرِ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا النُّورُ الْكَائِنُ فِي وُجُوهِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... أَيْ أَنَّهُمْ إِذَا دُعُوا عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ نُودُوا بِهَذَا الْوَصْفِ، وَكَانُوا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ.

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٥/٢٠٨): أي بإيمانهم بالأنبياء الثلاثة.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٥/٢٠٩): أي المسلمين.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٥/٢٠٩): في رواية الإسماعيلي: **«فذلك مثل المسلمين الَّذِين قبلوا هدى الله وما جاء به رسوله ومثل اليهود والنصارى تركوا ما أمرهم الله»**.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الإجارة ـ باب الإجارة من العصر إلى الليل ـ رقم الحديث (٢٢٧١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الوضوء ـ باب فضل الوضوء، والغر المحجلون من آثار الوضوء ـ رقم الحديث (١٣٦) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الطهارة ـ باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ـ رقم الحديث (٢٤٦) (٣٤) (٣٥).

وَقَوْلُهُ ﷺ: «**مُحَجَّلِينَ**»: مِنَ التَّحْجِيلِ وَهُوَ بَيَاضٌ يَكُونُ فِي ثَلَاثِ قَوَائِمَ مِنْ قَوَائِمِ الْفَرَسِ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا أَيْضًا النُّورُ(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ وَأَنَا أَذُودُ(٢) النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ**»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ أَتَعْرِفُنَا؟

قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا(٣) لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ**»(٤).

*** فَائِدَةٌ:**

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: استُدِلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْوُضُوءَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَفِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّهُ ثَبَتَ عِنْدَ الْمُصَنِّفِ ـ أَيِ الْبُخَارِيِّ ـ فِي قِصَّةِ سَارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَ الْمَلِكِ الَّذِي أَعْطَاهَا هَاجَرَ أَنَّ سَارَةَ لَمَّا هَمَّ الْمَلِكُ بِالدُّنُوِّ مِنْهَا قَامَتْ تَتَوَضَّأُ وَتُصَلِّي(٥)، وَفِي قِصَّةِ جُرَيْجٍ الرَّاهِبِ أَيْضًا أَنَّهُ قَامَ

---

(١) انظر فتح الباري (١/٣١٨).

(٢) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٣/١١٦): أذود: أطرد وأمنع.

(٣) السِمة: بكسر السين هي العلامة. انظر النهاية (٢/٣٨١).
ومنه قوله تَعَالَى في سورة الفتح آية (٢٩): «**سيماهم في وجوههم من أثر السجود**».

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الطهارة ـ باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ـ رقم الحديث (٢٤٧) (٣٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب البيوع ـ باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه ـ رقم الحديث (٢٢١٧) ـ والإمام أحمد في مسنده ـ رقم الحديث (٩٢٤١).

فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ كَلَّمَ الْغُلَامَ[1].

* فَالظَّاهِرُ أَنَّ الَّذِي اخْتُصَّتْ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ هُوَ الْغُرَّةُ وَالتَّحْجِيلُ لَا أَصْلَ الْوُضُوءِ، وَقَدْ صَرَّحَ رَسُولُ اللهِ بِذَلِكَ فِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... **لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ**»[2].

قُلْتُ: وَيُؤَيِّدُ كَلَامَ الْحَافِظِ أَيْضًا فِي أَنَّ الْوُضُوءَ لَيْسَ مِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ ـ وَلَهُ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ يَرْتَقِي بِهَا إِلَى الْحُسْنِ أَوِ الصِّحَّةِ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَذَا وُضُوئِي وَوُضُوءُ الْمُرْسَلِينَ قَبْلِي**»[3].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى تَلٍّ عَالٍ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ـ رقم الحديث (٣٤٣٦).

(٢) انظر فتح الباري (١/٣١٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ـ كتاب الطهارة ـ باب ما جاء في الوضوء مرة ومرتين وثلاثًا ـ رقم الحديث (٤٢٠) ـ وأورده الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة ـ رقم الحديث (٢٦١) وقال: وهذا منقطع، لكن للحديث شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الحسن إن لم نقل الصحة.

كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ**(١)**، وَيَكْسُونِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى حُلَّةً خَضْرَاءَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ**(٢) **أَنْ أَقُولَ**»(٣).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللّٰهَ وَضَعَ عَنْهَا قَرْضَ مَوْضِعِ النَّجَاسَةِ:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنَةَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ وَمَعَهُ دَرَقَةٌ(٤)، ثُمَّ اسْتَتَرَ بِهَا، ثُمَّ بَالَ، فَقُلْنَا: انْظُرُوا إِلَيْهِ يَبُولُ كَمَا تَبُولُ الْمَرْأَةُ(٥)، فَسَمِعَ ذَلِكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا لَقِيَ صَاحِبُ بَنِي**

(١) قال السندي في شرح المسند (٦/٩): أي موضع مرتفع.

(٢) قال السندي في شرح المسند (٦/٩): أي من محامد الله تَعَالَى.

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٥٧٨٣) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب التاريخ ـ باب الحوض والشفاعة ـ رقم الحديث (٦٤٧٩) ـ وأورده الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٨٤/٦) وقَالَ: هذا حديث صالح الإسناد ولم يخرجوه في الكتب الستة.

(٤) الدرقة: الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عصب. انظر لسان العرب (٣٣٣/٤).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤٣٧/١): حكى ابن ماجه عن بعض مشايخه أنه قَالَ: كان من شأن العرب البول قائماً، ألا تراه يقول في حديث عبد الرحمن بن حسنة: «**انظروا إليه يبول كما تبول المرأة**» أي في القعود، وقال في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ رقم الحديث (٢٧٣) (٧٤): «**فقام كما يقوم أحدكم**».
فدل حديث عبد الرحمن بن حسنة على أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يخالفهم في ذلك، فيقعد لكونه أستر وأبعد من مماسة البول.

إِسْرَائِيلَ؟ كَانُوا إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَوْلُ قَطَعُوا مَا أَصَابَهُ الْبَوْلُ مِنْهُمْ(١)، فَنَهَاهُمْ، فَعُذِّبَ فِي قَبْرِهِ»(٢).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ شَرَعَ لَهُمُ التَّخْيِيرَ بَيْنَ الْقِصَاصِ وَالدِّيَةِ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ الْقِصَاصُ، وَلَمْ تَكُنْ فِيهِمُ الدِّيَةُ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾، فَالْعَفْوُ أَنْ يَقْبَلَ الدِّيَةَ فِي الْعَمْدِ، ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ

---

(١) في رواية الإمام البخاري في صحيحه ـ رقم الحديث (٢٢٦) عن أبي وائل قَالَ: كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يُشدِّد في البول، ويقول: إن بني إسرائيل كان إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه.
وفي رواية الإمام مسلم في صحيحه ـ رقم الحديث (٢٧٣) (٧٤) قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: إن بني إسرائيل كان إذا أصاب جلد أحدهم بول قرضه بالمقاريض.
قال الإمام القرطبي فيما نقله عنه الحافظ في الفتح (١/٤٣٩): مراده بالجلد واحد الجلود الَّتِي كانوا يلبسوها.
وقال الحافظ في الفتح (١/٤٣٩): وحمله بعضهم على ظاهره وزعم أنه من الإصر الَّذِي حملوه، ويؤيده رواية أبي داود في سننه ففيها: «**كان إذا أصاب جسد أحدهم**»، لكن رواية البخاري صريحة في الثياب، فلعل بعضهم رواه بالمعنى.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الطهارة ـ باب الإستبراء من البول ـ رقم الحديث (٢٢) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الطهارة ـ باب التشديد في البول ـ رقم الحديث (٣٤٦) ـ وأورده الحافظ في الفتح (١/٤٣٧) وقال: حديث صحيح، صححه الدارقطني وغيره.

بِإِحْسَٰنٍ﴾، يَتْبَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُؤَدِّي بِإِحْسَانٍ، ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ مِمَّا كُتِبَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قَتَلَ بَعْدَ قَبُولِ الدِّيَةِ[1].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: مُحَصَّلُ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾[2] أَيْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي التَّوْرَاةِ ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ مُطْلَقًا، فَخُفِّفَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِمَشْرُوعِيَّةِ الدِّيَةِ بَدَلاً عَنِ الْقَتْلِ لِمَنْ عَفَا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَنِ الْقِصَاصِ، وَبِتَخْصِيصِهِ بِالْحُرِّ فِي الْحُرِّ، فَحِينَئِذٍ لَا حُجَّةَ فِي آيَةِ الْمَائِدَةِ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهَا فِي قَتْلِ الْحُرِّ بِالْعَبْدِ، وَالْمُسْلِمَ بِالْكَافِرِ، لِأَنَّ شَرْعَ مَنْ قَبْلَنَا إِنَّمَا يُتَمَسَّكُ مِنْهُ بِمَا لَمْ يَرِدْ فِي شَرْعِنَا مَا يُخَالِفُهُ[3].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا أَكْثَرُ الْأُمَمِ دُخُولاً الْجَنَّةَ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قُبَّةٍ، نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلاً، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»** قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»**.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ ـ رقم الحديث (٤٤٩٨).

(٢) سورة المائدة آية (٤٥).

(٣) انظر فتح الباري (١٤/١٩٣).

قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَاكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ»**(١).

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ وَابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِئَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ»**(٢).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ الشَّطْرَ»**، وَلَمْ يَقُلْ أَوَّلاً شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلِفَائِدَةٍ حَسَنَةٍ، وَهِيَ أَنَّ ذَلِكَ أَوْقَعُ فِي نُفُوسِهِمْ وَأَبْلَغُ فِي إِكْرَامِهِمْ، فَإِنَّ إِعْطَاءَ الْإِنْسَانِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى دَلِيلٌ عَلَى الِاعْتِنَاءِ بِهِ وَدَوَامِ مُلَاحَظَتِهِ، وَفِيهِ فَائِدَةٌ أُخْرَى هِيَ تَكْرِيرُ الْبِشَارَةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَفِيهِ أَيْضًا حَمْلُهُمْ عَلَى تَجْدِيدِ شُكْرِ اللهِ تَعَالَى وَتَكْبِيرِهِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الرقاق ـ باب الحشر ـ رقم الحديث (٦٥٢٨) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ـ رقم الحديث (٢٢١) (٣٧٧).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ـ رقم الحديث (٧٤٥٩) ـ والترمذي في جامعه ـ كتاب صفة الجنة ـ باب ماجاء في وصف أهل الجنة ـ رقم الحديث (٢٧٢٢) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الزهد ـ باب صفة أُمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٤٢٨٩).

وَحَمْدِهِ عَلَى كَثْرَةِ نِعَمِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ إِنَّهُ وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ يَكُونُونَ ثُلُثَيْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَكُونُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ أَوَّلاً بِحَدِيثِ الشَّطْرِ، ثُمَّ تَفَضَّلَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالزِّيَادَةِ، فَأُعْلِمَ بِحَدِيثِ الصُّفُوفِ، فَأَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ لَهَا عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[2].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: الظَّاهِرُ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يَعُمُّ جُمْلَةَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ، وَكُلَّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْعُلَمَاءِ مِنْ: مُفَسِّرِينَ، وَمُحَدِّثِينَ، وَفُقَهَاءَ، وَنُحَاةٍ، وَلُغَوِيِّينَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَصْنَافِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[3].

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٣/٨١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الملاحم ـ باب ما يُذكر في قَرْن المئة ـ رقم الحديث (٤٢٩١).

(٣) انظر النهاية في الفتن والملاحم (١/٣١).

وَقَالَ مُلَّا عَلِي الْقَارِي: قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»: أَيْ يُبَيِّنُ السُّنَّةَ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَيُكَثِّرُ الْعِلْمَ وَيُعِزُّ أَهْلَهُ، وَيَقْمَعُ الْبِدْعَةَ وَيَكْسِرُ أَهْلَهَا[1].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهَادَتُهَا عَلَى الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّمَا حَوَّلْنَاكُمْ إِلَى قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاخْتَرْنَاهَا لَكُمْ لِنَجْعَلَكُمْ خِيَارَ الْأُمَمِ، لِتَكُونُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ عَلَى الْأُمَمِ، لِأَنَّ الْجَمِيعَ مُعْتَرِفُونَ لَكُمْ بِالْفَضْلِ، وَالْوَسَطُ هَاهُنَا: الْخِيَارُ وَالْأَجْوَدُ، كَمَا يُقَالُ: قُرَيْشٌ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، أَيْ: خَيْرُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطًا فِي قَوْمِهِ، أَيْ أَشْرَفَهُمْ نَسَبًا، وَمِنْهُ الصَّلَاةُ الْوُسْطَى، الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ، وَهِيَ الْعَصْرُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ وَغَيْرِهَا[3]، وَلَمَّا

---

(١) انظر مرقاة المفاتيح (١/٢٤٦).

(٢) سورة البقرة آية (١٤٣).

(٣) رَوَى الْإِمَامُ مسلم في صحيحه ـ رقم الحديث (٦٢٨) ـ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَبَسَ المشركون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس، أو اصفرت، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً**».

جَعَلَ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَسَطًا خَصَّهَا بِأَكْمَلِ الشَّرَائِعِ، وَأَقْوَمِ الْمَنَاهِجِ، وَأَوْضَحِ الْمَذَاهِبِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ـ وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُدْعَى نَوْحٌ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟.**

فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟

فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ أَوْ مَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ، فَيُقَالُ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، قَالَ: الْوَسَطُ: الْعَدْلُ، قَالَ: فَيُدْعَوْنَ، فَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالْبَلَاغِ**»[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

---

(١) سورة الحج آية (٧٨) ـ وانظر كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/٤٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ـ رقم الحديث (٤٤٨٧) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١١٢٨٣).

وَمَعَهُ الرَّجُلُ[1]، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟

فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالَ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟

فَيَقُولُونَ: لَا، فَيُقَالَ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟

فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالَ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟

فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا، فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، قَالَ: عدلاً، ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾»[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَصَّهَا بِالْإِسْنَادِ:

الإِسْنَادُ هُوَ: سِلْسِلَةُ الرُّوَاةِ الَّذِينَ نَقَلُوا الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ عَمَّنْ هُوَ دُونَهُ مِنْ صَحَابِيٍّ أَوْ تَابِعِيٍّ.

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ

---

(١) قال السندي في شرح المسند (٦/٥٠٤): أي ما أسلم من قومه إلا رجل، فيجئ معه يوم القيامة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١١٥٥٨) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الزهد ـ باب صفة أمة محمد ﷺ ـ رقم الحديث (٤٢٨٤).

عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنكُمْ، وَيُسْمَعُ مِمَّنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ**»(١).

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ**»: هُوَ خَبَرٌ يَعْنِي الْأَمْرَ، أَيْ لِتَسْمَعُوا مِنِّيَ الْحَدِيثَ، وَتُبَلِّغُوهُ عَنِّي، وَلْيَسْمَعْهُ مَنْ بَعْدِي مِنْكُمْ، وَهَكَذَا أَدَاءً لِلْأَمَانَةِ وَإِبْلَاغاً لِلرِّسَالَةِ، وَقَدْ عَنْوَنَ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ لِهَذَا الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: بَابُ ذِكْرِ الْإِخْبَارِ عَنْ سَمَاعِ الْمُسْلِمِينَ السُّنَنَ خَلَفٍ عَنْ سَلَفٍ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِسْنَادَ هُوَ الْأَصْلُ، وَعَلَيْهِ الِاعْتِمَادُ، وَبِهِ تُعْرَفُ صِحَّةُ الْحَدِيثِ وَسَقَمُهُ(٢).

وقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: الإِسْنَادُ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ يُمْكِنُهَا أَنْ تُسْنِدَ عَنْ نَبِيِّهَا إِسْنَادًا مُتَّصِلاً غَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ(٣).

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: الْإِسْنَادِ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ(٤).

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: بَيْنَنَا

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب العلم ـ باب فضل نشر العلم ـ رقم الحديث (٣٦٥٩) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب العلم ـ باب ذكر الإخبار عن سماع المسلمين السُّنن خَلَف عن سَلَف ـ رقم الحديث (٦٢).

(٢) انظر جامع الأصول (١/١٠٩).

(٣) انظر الباعث الحثيث ص١٤٤.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في مقدمته (١/٨١).

وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْقَوَائِمُ، يَعْنِي الْإِسْنَادَ[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ[2].

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الإِسْنَادُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِلَاحٌ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ يُقَاتِلُ[3]؟

وَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ نَتَثَبَّتَ فِي نَقْلِ الْأَخْبَارِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[4].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: يَأْمُرُ تَعَالَى بِالتَّثَبُّتِ فِي خَبَرِ الْفَاسِقِ لِيُحْتَاطَ لَهُ، لِئَلَّا يُحْكَمَ بِقَوْلِهِ، فَيَكُونَ ـ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ـ كَاذِبًا أَوْ مُخْطِئًا، فَيَكُونَ الْحَاكِمُ بِقَوْلِهِ قَدِ اقْتَفَى وَرَاءَهُ، وَقَدْ نَهَى اللهُ عَنِ اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْمُفْسِدِينَ، وَمِنْ هَاهُنَا امْتَنَعَ طَوَائِفُ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ قَبُولِ رِوَايَةِ مَجْهُولِ الْحَالِ

---

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٨١/١): معنى كلام ابن المبارك: إنْ جاء بإسناد صحيح قبلنا حديثه، وإلا تركناه، فجعل الحديث كالحيوان لا يقوم بغير إسناد، كما لا يقوم الحيوان بغير قوائم.

وأخرج خبر عبد الله بن المبارك: الإمام مسلم في صحيحه ـ في المقدمة (٨١/١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في مقدمته (٧٨/١).

(٣) انظر جامع الأصول لابن الأثير (١٠٩/١).

(٤) سورة الحجرات آية (٦).

لِاحْتِمَالِ فِسْقِهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَقَبِلَهَا آخَرُونَ لِأَنَّا إِنَّمَا أُمِرْنَا بِالتَّثَبُّتِ عِنْدَ خَبَرِ الْفَاسِقِ، وَهَذَا لَيْسَ بِمُحَقَّقِ الْفِسْقِ لِأَنَّهُ مَجْهُولُ الْحَالِ[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بن عِيسَى الطَّالِقَانِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! الْحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ: «**إِنَّ مِنَ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ، أَنْ تُصَلِّيَ لِأَبَوَيْكَ مَعَ صَلَاتِكَ، وَتَصُومَ لَهُمَا مَعَ صَوْمِكَ**»، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ عَمَّنْ هَذَا؟

قُلْتُ لَهُ: هَذَا مِنْ حَدِيثِ شِهَابِ بْنِ خِرَاشٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: ثِقَةٌ، عَمَّنْ؟

قُلْتُ لَهُ: عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: ثِقَةٌ، عَمَّنْ؟

قُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ بَيْنَ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَفَاوِزَ[2]، تَنْقَطِعُ فِيهَا أَعْنَاقُ الْمَطِيِّ[3]، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الصَّدَقَةِ اخْتِلَافٌ[4].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٧/٣٧٠).

(٢) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١/٨٢): المفاوز جمع مفازة وهي الأرض القفر البعيدة عن العمارة وعن الماء الَّتِي يخاف الهلاك فيها... وهي استعارة حسنة، وذلك أن الحجاج بن دينار هذا من تابعي التابعين فأقل ما يمكن أن يكون بينه وبين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثنان التابعي والصحابي، فلهذا قَالَ: بينهما مفازة أي انقطاع كثير.

(٣) المَطي: جمع مَطِية وهي الناقة الَّتِي يُركب مَطاها: أي ظهرها. انظر النهاية (٤/٢٩٠).

(٤) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١/٨٢): وأما قوله: ليس في الصدقة اختلاف، فمعناه أن هذا الحديث لا يحتج به، ـ لأنه حديث مرسل ـ ولكن من أراد بر والديه فليتصدق عنهما فإن الصدقة تصل إلى الميت وينتفع بها بلا خلاف بين المسلمين وهذا هُوَ الصواب.

وانظر الخبر في مقدمة صحيح مسلم (١/٨٢).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: مَعْنَى هَذِهِ الْحِكَايَةِ أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ الْحَدِيثُ إِلَّا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[١].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ يَرِثُهُمْ مَنَازِلَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي الْجَنَّةِ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، دَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ»**[٢].

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا»**[٣].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ، وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»**[٤].

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١/٨٢)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب التوبة ـ باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ـ رقم الحديث (٢٧٦٧) (٤٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب التوبة ـ باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ـ رقم الحديث (٢٧٦٧) (٥٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب التوبة ـ باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ـ رقم الحديث (٢٧٦٧) (٥١).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: وَأَمَّا رِوَايَةُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ، فَمَعْنَاهُ: أَنَّ اللهَ يَغْفِرُ تِلْكَ الذُّنُوبَ لِلْمُسْلِمِينَ وَيُسْقِطُهَا عَنْهُمْ، وَيَضَعُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِثْلَهَا بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ، فَيُدْخِلُهُمُ النَّارَ بِأَعْمَالِهِمْ لَا بِذُنُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَابُدَّ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1].

وَرَوَى ابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّة، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ»**، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾[2].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: فَالْمُؤْمِنُونَ يَرِثُونَ مَنَازِلَ الْكُفَّارِ، لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ خُلِقُوا لِعِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، فَلَمَّا قَامَ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَتَرْكِ أُولَئِكَ مَا أُمِرُوا بِهِ مِمَّا خُلِقُوا لَهُ أَحْرَزَ هَؤُلَاءِ نَصِيبَ أُولَئِكَ لَوْ كَانُوا أَطَاعُوا رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ[3].

* * *

(١) سورة الإسراء آية (١٥) ـ وانظر كلام الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٧/٧٠).

(٢) سورة المؤمنون آية (١٠) ـ والحديث أخرجه ابن ماجه في سننه ـ كتاب الزهد ـ باب صفة الجنة ـ رقم الحديث (٤٣٤١).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٥/٤٦٤).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَقَاءُ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ الْمُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»[١].

*** مَنْ هِيَ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ؟**

قَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ[٢].

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ، فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ[٣].

وَقَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: وَيُحْتَمَلُ أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مُفَرَّقَةٌ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْهُمْ: شُجْعَانٌ مُقَاتِلُونَ، وَمِنْهُمْ فُقَهَاءُ، وَمِنْهُمْ مُحَدِّثُونَ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق**» ـ رقم الحديث (٧٣١١) ـ وأخرجه البخاري في صحيحه من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ رقم الحديث (٧٣١٢) ـ (٧٤٦٠) ـ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الإمارة ـ باب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم**» ـ رقم الحديث (١٩٢٠).

(٢) انظر صحيح البخاري (١٥/٢٢٧).

(٣) أخرجه الحاكم في علوم الحديث، فيما قاله الحافظ في الفتح (١٥/٢٢٧): وإسناده صحيح.

وَمِنْهُمْ زُهَّادٌ، وَآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمِنْهُمْ أَهْلُ أَنْوَاعٍ أُخْرَى مِنَ الْخَيْرِ، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ، بَلْ قَدْ يَكُونُونَ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ(١).

قُلْتُ: وَالَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي لَا مَحِيدَ عَنْهُ.

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ خَصَّهَا بِكَثْرَةِ أَنْوَاعِ الشَّهَادَةِ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ**»؟

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ**»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ(٢) فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ(٣) فَهُوَ شَهِيدٌ**»(٤).

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/٥٧).

(٢) رَوَى الْإِمَامُ مسلم في صحيحه ـ كتاب الإمارة ـ باب بيان الشهداء ـ رقم الحديث (١٩١٦) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطاعون شهادة لكل مسلم**».

(٣) قال السندي في شرح المسند (٥/٤٣٥): موت البطن: أي الموت بمرضه، كالإسهال، والاستقاء.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإمارة ـ باب بيان الشهداء ـ رقم الحديث (١٩١٥).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟»**.

قَالُوا: مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ، الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهَادَةٌ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالنُّفَسَاءُ شَهَادَةٌ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ»**(١).

وَرَوَى ابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّهُ مَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْ أَهْلِهِ: إِنْ كُنَّا لَنَرْجُو أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ قَتْلَ شَهَادَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ، الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهَادَةٌ، وَالْمَطْعُونُ شَهَادَةٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ(٢) شَهَادَةٌ ـ يَعْنِي حَامِلاً ـ وَالْغَرِقُ وَالْحَرِقُ وَالْمَجْنُوبُ ـ يَعْنِي ذَاتَ الْجَنْبِ(٣) ـ شَهَادَةٌ»**(٤).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ خَصَّهَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ وَبِالسُّحُورِ وَتَعْجِيلِ الْفِطْرِ فِي رَمَضَانَ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٨٠٩٢).

(٢) جُمع: بضم الجيم أي تموت وفي بطنها ولد. انظر النهاية (١/٢٨٥).

(٣) ذات الجَنْب: بفتح الجيم وسكون النون وهي الدُّبيلة والدمل الكبيرة الَّتِي تظهر في باطن الجَنْب وتنفجر إلى داخل، وقلَّمَا يَسلم صاحبها. انظر النهاية (١/٢٩٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه ـ كتاب الجهاد ـ باب ما يُرجى فيه الشهادة ـ رقم الحديث (٢٨٠٣).

لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾[1].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[2]، وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَهِيَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[3].

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: وَأَشْبَهُ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عَمَلٌ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ[4].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا الْقَوْلُ بِأَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ شَهْرٍ، لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ هُوَ اخْتِيَارُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَهُوَ الصَّوَابُ لَا مَا عَدَاهُ[5].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**[6].

---

(١) سورة القدر كاملة.

(٢) سورة الدخان آية (٣).

(٣) سورة البقرة آية (١٨٥) ـ وانظر كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره (٨/٤٤١).

(٤) انظر تفسير ابن جرير الطبري (١٢/٦٥٣).

(٥) انظر تفسير ابن كثير (٨/٤٤٣).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصوم ـ باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونيّة=

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، أَوْ هِيَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟

عَلَى قَوْلَيْنِ: قَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ: بَلَغَنِي: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيَ أَعْمَارَ النَّاسِ قَبْلَهُ، فَكَأَنَّهُ تَقَاصَرَ أَعْمَارَ أُمَّتِهِ أَلَّا يَبْلُغُوا مِنَ الْعَمَلِ مِثْلَ مَا بَلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طُولِ الْعُمُرِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(١).

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ مَالِكٌ يَقْتَضِي تَخْصِيصَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَقَدْ نَقَلَهُ صَاحِبُ «الْعُدَّةِ» أَحَدُ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ عَنْ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، فَاللهُ أَعْلَمُ، وَحَكَى الْخَطَّابِيُّ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعَ، وَنَقَلَهُ الرَّافِعِيُّ جَازِمًا بِهِ عَنِ الْمَذْهَبِ(٢).

وَقَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ الْمُهَذَّبِ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ مُخْتَصَّةٌ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ زَادَهَا اللهُ تَعَالَى تَشْرِيفًا، لَمْ تَكُنْ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا(٣).

* السُّحُورُ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

= ـ رقم الحديث (١٩٠١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح ـ رقم الحديث (٧٦٠).

(١) انظر الموطأ برواية الزهري ـ رقم الحديث (٨٨٩).

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/٣٧٣): لا أعلم هذا الحديث يُروى مسنداً من وجه من الوجوه، ولا أعرفه في غير الموطأ مرسلاً، ولا مسنداً، وهذا أحد الأحاديث الَّتِي انفرد بها مالك.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٨/٤٤٦).

(٣) نقله عنه الإمام السيوطي في الخصائص الكبري ص٣٧٣.

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ**»(١).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: مَعْنَاهُ الْفَارِقُ وَالْمُمَيِّزُ بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِهِمْ السُّحُورُ، فَإِنَّهُمْ لَا يَتَسَحَّرُونَ، وَنَحْنُ يُسْتَحَبُّ لَنَا السُّحُورُ، وَأَكْلَةُ السَّحَرِ هِيَ السُّحُورُ(٢).

* تَعْجِيلُ الْفُطُورِ:

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ**»(٣).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى تَعْجِيلِ الْفِطْرِ بَعْدَ تَحْقِيقِ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَمَعْنَاهُ: لَا يَزَالُ أَمْرُ الْأُمَّةِ مُنْتَظِمًا وَهُمْ بِخَيْرٍ مَا دَامُوا مُحَافِظِينَ عَلَى هَذِهِ السُّنَّةِ، وَإِذَا أَخَّرُوهُ كَانَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى فَسَادٍ يَقَعُونَ فِيهِ(٤).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وابن حبان في صحيحه بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا**(٥) **مَا عَجَّلَ**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الصيام ـ باب فضل السحور وتأكيد استحبابه... ـ رقم الحديث (١٠٩٦).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٧/١٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصوم ـ باب تعجيل الإفطار ـ رقم الحديث (١٩٥٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الصيام ـ باب فضل السحور وتأكيد استجابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر ـ رقم الحديث (١٠٩٨).

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٧/١٨١).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤/٧١٣): وظهور الدين مستلزم لدوام الخير.

النَّاسُ الْفِطْرَ ، لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ»[1] .

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَى سُنَّتِي مَا لَمْ تَنْتَظِرْ بِفِطْرِهَا النُّجُومَ**»[2] .

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: تَأْخِيرُ أَهْلِ الْكِتَابِ[3] لَهُ أَمَدٌ وَهُوَ ظُهُورُ النَّجْمِ ،... وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَحَلَّ ذَلِكَ إِذَا تَحَقَّقَ غُرُوبُ الشَّمْسِ بِالرُّؤْيَةِ أَوْ بِإِخْبَارِ عَدْلَيْنِ ، وَكَذَا عَدْلٌ وَاحِدٌ فِي الْأَرْجَحِ[4] .

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللّٰهَ خَصَّهَا بِعِيدِ الْأَضْحَى وَعِيدِ الْفِطْرِ:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ ؟**» .

قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ**

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الصوم ـ باب ما يُستحب من تعجيل الفطر ـ رقم الحديث (٢٣٥٣) ـ وأخرجه ابن حبان في صحيحه ـ كتاب الصوم ـ باب الإفطار وتعجيله ـ رقم الحديث (٣٥٠٣).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ـ كتاب الصوم ـ باب الإفطار وتعجيله ـ رقم الحديث (٣٥١٠).

(٣) للفطر.

(٤) انظر فتح الباري (٤/٧١٣).

قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمُ الْأَضْحَى، وَيَوْمُ الْفِطْرِ»[1].

❁ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ صِيَامُ عَرَفَةَ كَفَّارَةُ سَنَتَيْنِ، وَصِيَامُ عَاشُورَاءَ كَفَّارَةُ سَنَةٍ كَامِلَةٍ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ[2]؟

فَقَالَ ﷺ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ».

وَسُئِلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟

فَقَالَ ﷺ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ»[3].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ أَفْطَرَ بِعَرَفَةَ، وَصَحَّ عَنْهُ أَنَّ صِيَامَهُ يُكَفِّرُ سَنَتَيْنِ، فَالصَّوَابُ أَنَّ الْأَفْضَلَ لِأَهْلِ الْآفَاقِ صَوْمُهُ، وَلِأَهْلِ عَرَفَةَ فِطْرُهُ، لِاخْتِيَارِهِ ﷺ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ وَعَمَلِ خُلَفَائِهِ بَعْدَهُ بِالْفِطْرِ، وَفِيهِ قُوَّةٌ عَلَى الدُّعَاءِ الذِي هُوَ أَفْضَلُ دُعَاءِ الْعَبْدِ، وَفِيهِ أَنَّ يَوْمَ عَرَفَةَ عِيدٌ لِأَهْلِ عَرَفَةَ، فَلَا يُسْتَحَبُّ لَهُمْ صِيَامُهُ[4].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الجمعة ـ باب صلاة العيدين ـ رقم الحديث (١١٣٤) والإمام أحمد في مسنده ـ رقم الحديث (١٢٠٠٦).

(٢) لغير الحاج.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الصيام ـ باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس ـ رقم الحديث (١١٦٢) (١٩٧).

(٤) انظر: حاشية سنن أبي داود (٦/٧٦).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ أَنَّ حَمَلَةَ حَدِيثِهِ ﷺ لَا تَزَالُ وُجُوهُهُمْ نَضِرَةً:

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**نَضَّرَ**[1] **اللهُ امْرَءًا سَمعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**»[2].

قَالَ الْمُبَارِكْفُورِي: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى شَرَفِ الْحَدِيثِ وَفَضْلِهِ، وَدَرَجَةِ طُلَّابِهِ، حَيْثُ خَصَّهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِدُعَاءٍ، لَمْ يَشْرِكْ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَّةِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ وَحِفْظِهِ وَتَبْلِيغِهِ فَائِدَةٌ، سِوَى أَنْ يَسْتَفِيدَ بَرَكَةَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ، لَكَفَى ذَلِكَ فَائِدَةً[3].

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ مَنْ سَمعَ مِنِّي حَدِيثًا، فَبَلَّغَهُ، كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى لَهُ مِنْ سَامِعٍ**»[4].

---

(١) النضارة: حسن الوجه والبريق. انظر النهاية (٥/٦١).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب العلم ـ باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ـ رقم الحديث (٢٨٤٧) ـ وأبو داود في سننه ـ كتاب العلم ـ باب فضل نشر العلم ـ رقم الحديث (٣٦٦٠).

(٣) انظر تحفة الأحوذي (٧/٤٥٣).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ـ رقم الحديث (٦٨).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ أَنَّهُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَجَبَتْ**»[1]، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى، فَأَثْنَوا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَجَبَتْ**»، فَقَالَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: مَا وَجَبَتْ؟ فَقَالَ ﷺ: «**هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ**»[2].

* وَبَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ لِهَذَا الْحَدِيثِ فِي كِتَابِ الْجَنَائِزِ بِقَوْلِهِ: بَابُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَى الْمَيِّتِ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: أَيْ مَشْرُوعِيَّتُهُ وَجَوَازُهُ الْمُطْلَقُ، بِخِلَافِ الْحَيِّ فَإِنَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ إِذَا أَفْضَى إِلَى الْإِطْرَاءِ[3] خَشْيَةً عَلَيْهِ مِنَ الزُّهُوِّ[4]، وَفِي الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَإِعْمَالُ الْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ[5].

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٣/٥٩٦): المراد بقوله ﷺ: «**وجبت**»، أي الجنة لذي الخير، والنار لذي الشر، والمراد بالوجوب الثبوت إذ هُوَ في صحة الوقوع كالشيء الواجب، والأصل أنه لا يجب على الله شيء، بل الثواب فضله، والعقاب عدله، لا يُسأل عما يفعل.

(٢) قال الحافظ في الفتح: (٣/٥٩٦): أي المخاطبون بذلك من الصحابة، ومن كان على صفتهم من الإيمان.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب ثناء الناس على الميت ـ رقم الحديث (١٣٦٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب فيمن يُثنى عليه خير أو شر من الموتى ـ رقم الحديث (٩٤٩).

(٣) الإطراء: هُوَ مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه. انظر لسان العرب (٨/١٦٠).

(٤) الزهو: هُوَ الكبر والفخر والعظمة. انظر لسان العرب (٦/١٠٥).

(٥) انظر فتح الباري (٣/٥٩٥ ـ ٥٩٨).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ مَاجه فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تُوشِكُونَ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» أَوْ قَالَ: «**خِيَارُكُمْ مِنْ شِرَارِكُمْ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ: بِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بِالثَّنَاءِ السَّيِّءِ، وَالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ**»(١).

❁ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ لَهَا التَّيَمُّمَ عِنْدَ فُقْدَانِ الْمَاءِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾(٢).

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ والترمذي بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٥٤٣٩) ـ وابن ماجه في سننه ـ كتاب الزهد ـ باب الثناء الحسن ـ رقم الحديث (٤٢٢١) ـ وأورده الحافظ في الإصابة (١٣٠/٧) وقَالَ: سنده حسن غريب

(٢) سورة المائدة آية (٦).

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الصَّعِيدَ[1] الطَّيِّبَ طَهُورُ الْمُسْلِمِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ عَشْرَ سِنِينَ، فَإِذَا وَجَدَ الْمَاءَ، فَلْيَمَسَّهُ بَشَرَتَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ**»[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ**»[3].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي[4]: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**»[5].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ مُخْتَصَّةً بِشَرْعِيَّةِ التَّيَمُّمِ دُونَ

---

(١) الصعيد: التراب. انظر لسان العرب (٧/٣٤٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢١٣٧١) ـ والترمذي في جامعه ـ كتاب الطهارة ـ باب التميم للجنب إذا لم يجد الماء ـ رقم الحديث (١٢٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ رقم الحديث (٥٢٢).

(٤) زاد الإمام البخاري في صحيحه ـ رقم الحديث (٤٣٨) في رواية أخرى: «**من الأنبياء**».

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التَّيمم ـ باب (١) ـ رقم الحديث (٣٣٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ رقم الحديث (٥٢١).

سَائِرِ الْأُمَمِ[١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[٢].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: وَمِنْ عَفْوِهِ عَنْكُمْ وَغَفْرِهِ لَكُمْ أَنَّ شَرَعَ التَّيَمُّمَ، وَأَبَاحَ لَكُمْ فِعْلَ الصَّلَاةِ بِهِ إِذَا فَقَدْتُمُ الْمَاءَ، تَوْسِعَةً عَلَيْكُمْ وَرُخْصَةً لَكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ فِيهَا تَنْزِيهُ الصَّلَاةِ أَنْ تُفْعَلَ عَلَى هَيْئَةٍ نَاقِصَةٍ مِنْ سُكْرٍ حَتَّى يَصْحُوَ الْمُكَلَّفُ، وَيَعْقِلَ مَا يَقُولُ، أَوْ جَنَابَةٍ حَتَّى يَغْتَسِلَ، أَوْ حَدَثٍ حَتَّى يَتَوَضَّأَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَرِيضًا أَوْ عَادِمًا لِلْمَاءِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، قَدْ أَرْخَصَ فِي التَّيَمُّمِ وَالْحَالَةُ هَذِهِ، رَحْمَةً بِعِبَادِهِ وَرَأْفَةً بِهِمْ، وَتَوْسِعَةً عَلَيْهِمْ، وَللهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ[٣].

❁ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّ اللَّحْدَ لَهَا وَالشَّقَّ لِغَيْرِهَا:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ بِالشَّوَاهِدِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اللَّحْدُ[٤] لَنَا وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا**»[٥].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/٣٢٠).

(٢) سورة النساء آية (٤٣).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢/٣٢١).

(٤) اللحد: هُوَ الشق الَّذِي يُعمل في جانب القبر لموضع الميت. انظر النهاية (٤/٢٠٤).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الجنائز ـ باب في اللحد ـ رقم الحديث (٣٢٠٨) ـ=

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَامِرِ بنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي هَلَكَ فِيهِ: الْحَدُوا لِي لَحْدًا، وَانْصُبُوا عَلَيَّ اللَّبِنَ نَصْبًا، كَمَا صُنِعَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ لِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَالْأَكْثَرِينَ فِي أَنَّ الدَّفْنَ فِي اللَّحْدِ أَفْضَلُ مِنَ الشَّقِّ إِذَا أَمْكَنَ اللَّحْدُ، وَأَجْمَعُوا عَلَى جَوَازِ اللَّحْدِ وَالشَّقِّ[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللهَ وَعَدَهَا بِالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[3].

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: وَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4].

= والترمذي في جامعه ـ كتاب الجنائز ـ باب ما جاء في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللحد لنا والشق لغيرنا»** ـ رقم الحديث (١٠٦٦).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب في اللحد ونصب اللَّبن على الميت ـ رقم الحديث (٩٦٦) ـ وانظر تفاصيل دفن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتابنا: اللؤلؤ المكنون (٤/ ٦٤٧ ـ وما بعدها).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٧/ ٢٩).

(٣) سورة النور آية (٥٥).

(٤) انظر تفسير القرطبي (١٥/ ٣٢٣).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ لِرَسُولِهِ ﷺ، بِأَنَّهُ سَيَجْعَلُ أُمَّتَهُ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ، أَيْ: أَئِمَّةَ النَّاسِ، وَالْوُلَاةَ عَلَيْهِمْ، وَبِهِمْ تَصْلُحُ الْبِلَادُ، وَتَخْضَعُ لَهُمُ الْعِبَادُ، وَلَيُبَدِّلَنَّ بَعْدَ خَوْفِهِمْ مِنَ النَّاسِ أَمْنًا وَحُكْمًا فِيهِمْ، وَقَدْ فَعَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمُتْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَخَيْبَرَ وَالْبَحْرَيْنِ، وَسَائِرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَرْضَ الْيَمَنِ بِكَمَالِهَا، وَأَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ هَجَرٍ، وَمِنْ بَعْضِ أَطْرَافِ الشَّامِ، وَهَادَاهُ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ، وَصَاحِبُ مِصْرَ وَالإِسْكَنْدَرِيَّةِ ـ وَهُوَ الْمُقَوْقِسُ ـ وَمُلُوكُ عُمَانَ وَالنَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ، الَّذِي تَمَلَّكَ بَعْدَ أَصْحَمَةَ رَحِمَهُ اللهُ وَأَكْرَمَهُ[1].

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ قَوِيٍّ عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ[2]، وَالرِّفْعَةِ وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ**»[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ تَمِيمِ بنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ[4] مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا**

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٦/٧٧).

(٢) السَّناء: أي ارتفاع المنزلة والقَدْر عند الله تَعَالَى. انظر النهاية (٢/٣٧٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢١٢٢٢).

(٤) المقصود: «بالأمر»: الإسلام.

الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ».

وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرَ وَالشَّرَفَ وَالْعِزَّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلَّ وَالصَّغَارَ وَالْجِزْيَةَ[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى[2] لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»[3].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا أُمَّةُ هِدَايَةٍ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾[4].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: جَاءَ فِي الْآثَارِ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ، هِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ[5].

* * *

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٦٩٥٧).

(٢) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١١/١٨): زَوى: معناه: جمع.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ـ رقم الحديث (٢٨٨٩).

(٤) سورة الأعراف آية (١٨١).

(٥) انظر تفسير ابن كثير (٣/٥١٦).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَحَلَّ لَهُمُ الْغَنَائِمَ:

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ صُدَيِّ بْنِ عَجْلَانَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ فَضَّلَنِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ** ـ أَوْ قَالَ: **أُمَّتِي عَلَى الْأُمَمِ ـ وَأَحَلَّ لَنَا الْغَنَائِمَ**»(١).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ـ وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِمَنْ قَبْلَنَا، ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا، فَطَيَّبَهَا لَنَا**»(٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ سُودِ الرُّؤُوسِ قَبْلَكُمْ، كَانَتْ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ نَارٌ فَتَأْكُلُهَا**»(٣).

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه ـ كتاب السِّير ـ باب ما جاء في الغنيمة ـ رقم الحديث (١٦٣٤) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٢١٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب فرض الخمس ـ باب قول النبي ﷺ: «**أحلت لكم الغنائم**» ـ رقم الحديث (٣١٢٤) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ـ رقم الحديث (١٧٤٧) ـ والإمام أحمد في مسنده ـ رقم الحديث (٨٢٠٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٧٤٣٣) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب السير ـ باب ذكر الوقت الَّذِي أنزل الله جل وعلا آية الأنفال ـ رقم الحديث (٤٨٠٦).

رَسُولُ اللهِ ﷺ «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي[1]: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»[2].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ أَنَّ مَنْ هَمَّ مِنْهُمْ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ سَيِّئَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَشْرًا:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[3].

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ـ وَاللَّفْظُ لِأَحْمَدَ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ، قَالَ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَحِيمٌ، مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، إِلَى سَبْعِ مِئَةٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَن هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ وَاحِدَةً، أَوْ يَمْحُوهَا اللهُ،

---

(١) زاد الإمام البخاري في صحيحه ـ رقم الحديث (٤٣٨) في رواية أخرى: «من الأنبياء».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التَّيمم ـ باب رقم (١) ـ رقم الحديث (٣٣٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ رقم الحديث (٥٢١) ـ وتقدم شرح هذا الحديث بالتفصيل.

(٣) سورة الأنعام آية (١٦٠).

وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ تَعَالَى إِلَّا هَالِكٌ»[1].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ**»[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ ـ وَاللَّفْظُ لِابْنِ حِبَّانَ ـ عَنْ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ الْأَسَدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَةُ أَمْثَالِهَا، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَعَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، غَيْرَ مُضَعَّفَةٍ**»[3].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب إذا هَمّ العبد بحسنة كتبت وإذا هَمّ بسيئة لم تكتب ـ رقم الحديث (١٣١) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ رقم الحديث (٢٥١٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التوحيد ـ باب قول الله تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ـ رقم الحديث (٧٥٠١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب ـ رقم الحديث (١٢٨) (٢٠٣) (٢٠٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١٩٠٣٥) ـ وابن حبان في صحيحه ـ كتاب التاريخ ـ باب بدء الخلق ـ رقم الحديث (٦١٧١).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»(١).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ فَضْلِ اللهِ الْعَظِيمِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، لِأَنَّهُ لَوْلَا ذَلِكَ كَادَ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ، لِأَنَّ عَمَلَ الْعِبَادِ لِلسَّيِّئَاتِ أَكْثَرُ مِنْ عَمَلِهِمُ الْحَسَنَاتِ(٢).

وَقَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بَيَانُ مَا أَكْرَمَ اللهُ تَعَالَى بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ زَادَهَا اللهُ شَرَفًا، وَخَفَّفَهُ عَنْهُمْ مِمَّا كَانَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْإِصْرِ، وَهُوَ الثِّقَلُ وَالْمَشَاقُّ(٣).

*** فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ:**

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَاعْلَمْ أَنَّ تَارِكَ السَّيِّئَةِ الَّذِي لَا يَعْمَلُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الرقاق ـ باب مَن هَمّ بحسنة أو بسيئة ـ رقم الحديث (٦٤٩١).

(٢) انظر فتح الباري (١٣/١٢٧)

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢/١٣٠).

* تَارَةً يَتْرُكُهَا للهِ عَزَّوَجَلَّ، فَهَذَا تُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةً عَلَى كَفِّهِ عَنْهَا للهِ تَعَالَى، وَهَذَا عَمَلٌ وَنِيَّةٌ، وَلِهَذَا جَاءَ أَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةً، كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الصَّحِيحِ: «**فَإِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ**»[(١)]، أَيْ مِنْ أَجْلِي.

* وَتَارَةً يَتْرُكُهَا نِسْيَانًا وَذُهُولاً عَنْهَا، فَهَذَا لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْوِ خَيْرًا وَلَا فَعَلَ شَرًّا.

* وَتَارَةً يَتْرُكُهَا عَجْزًا وَكَسَلاً بَعْدَ السَّعْيِ فِي أَسْبَابِهَا وَالتَّلَبُّسِ بِمَا يَقْرُبُ مِنْهَا، فَهَذَا يَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ فَاعِلِهَا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، فِي الصَّحِيحَيْنِ: «**إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»[(٢)].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتِصَاصُهُمْ بِالصَّلَاةِ بِنِعَالِهِمْ وَخِفَافِهِمْ:

رَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب إذا هَمّ العبد بحسنة كتبت وإذا هَمّ بسيئة لم تكتب ـ رقم الحديث (١٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾، فسماهم المؤمنين ـ رقم الحديث (٣١) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ـ رقم الحديث (٢٨٨٨) ـ وانظر كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/٣٧٨ ـ ٣٧٩).

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَالِفُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي خِفَافِهِمْ، وَلَا فِي نِعَالِهِمْ**»(١).

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: فَيَكُونُ اسْتِحْبَابُ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ قَصْدِ الْمُخَالَفَةِ الْمَذْكُورَةِ(٢).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ(٣)، فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْقَوْمُ أَلْقَوْا نِعَالَهُمْ(٤)، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ، قَالَ: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إِلْقَائِكُمْ نِعَالَكُمْ؟**».

قَالُوا: رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَرًا**»، وَقَالَ: «**إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ، فَإِنْ رَأَى فِي نَعْلَيْهِ قَذَرًا أَوْ أَذًى فَلْيَمْسَحْهُ، وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا**»(٥).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب ذكر الأمر بالصلاة في الخفاف والنعال... ـ رقم الحديث (٢١٨٦) ـ وأخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الصلاة ـ باب الصلاة في النعل ـ رقم الحديث (٦٥٢).

(٢) انظر فتح الباري (٢/٥٠).

(٣) قال السندي في شرح المسند (٦/٤١٤): أي نزعهما عن الرجلين في أثناء الصلاة.

(٤) قال السندي في شرح المسند (٦/٤١٤): في الحديث دليل على أن الأصل في أفعاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتابعة، ولا يترك ذاك إلا بدليل الخصوص.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الصلاة ـ باب الصلاة في النعل ـ رقم الحديث (٦٥٠) ـ والإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (١١١٥٣).

قَالَ الصَّنْعَانِي: وَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى شَرْعِيَّةِ الصَّلَاةِ فِي النِّعَالِ، وَعَلَى أَنَّ مَسْحَ النَّعْلِ مِنَ النَّجَاسَةِ مُطَهِّرٌ لَهُ مِنَ الْقَذَرِ وَالأَذَى، وَالظَّاهِرُ فِيهِمَا عِنْدَ الإِطْلَاقِ النَّجَاسَةُ، وَسَوَاءٌ كَانَتِ النَّجَاسَةُ رَطْبَةً أَوْ جَافَّةً، وَيَدُلُّ لَهُ سَبَبُ الْحَدِيثِ(١).

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ أَنَّ اللهَ أَتَمَّ لَهُمُ الدِّينَ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: هَذِهِ أَكْبَرُ نِعَمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، حَيْثُ أَكْمَلَ تَعَالَى لَهُمْ دِينَهُمْ، فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى دِينٍ غَيْرِهِ، وَلَا إِلَى نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى خَاتَمَ الأَنْبِيَاءِ، وَبَعَثَهُ إِلَى الإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَلَا حَلَالَ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ، وَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ، وَلَا دِينَ إِلَّا مَا شَرَعَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْبَرَ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا خُلْفَ،

---

(١) انظر سبل السلام (٢/١٢٥).

(٢) سورة المائدة آية (٣).

كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[1] أَيْ: صِدْقًا فِي الْأَخْبَارِ، وَعَدْلاً فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَلَمَّا أَكْمَلَ الدِّينَ لَهُمْ تَمَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ أَيْ: فَارْضُوهُ أَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّهُ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ وَأَحَبَّهُ، وَبَعَثَ بِهِ أَفْضَلَ رُسُلِهِ الْكِرَامِ، وَأَنْزَلَ بِهِ أَشْرَفَ كُتُبِهِ[2].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً[3] مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَؤُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيداً.

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّ آيَةٍ؟

قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ

---

(١) سورة الأنعام آية (١١٥).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/٢٦).

(٣) قال الحافظ في الفتح (١/١٤٥): هذا الرجل هُوَ كعب الأحبار.

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري ـ رقم الحديث (٤٤٠٧): أنَّ ناساً من اليهود.

قال الحافظ في الفتح (١/١٤٥): يُحمل على أنهم كانوا حين سؤال كعب عن ذلك جماعة، وتكلم كعب على لسانهم.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ، يَوْمَ جُمُعَةٍ[1].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَأُتِينَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ[3]، فَأَوَّلْتُ: الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا، وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ**»[4].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَضْعِيفُ الْأَجْرِ لِمَنْ حَافَظَ عَلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب زيادة الإيمان ونقصانه ـ رقم الحديث (٤٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ رقم الحديث (٣٠١٧) (٥).

(٢) سورة النحل آية (٨٩).

(٣) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٥/٢٥): هُوَ نوع من الرطب معروف، يُقال له: رطب ابن طاب، وتمر ابن طاب، وعذق ابن طاب، وهي مضاف إلى ابن طاب رجل من أهل المدينة.

(٤) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٥/٢٥): قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وإن ديننا قد طاب**»: أي كمل واستقرت أحكامه وتمهدت قواعده.
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الرؤيا ـ باب رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (٢٢٧٠).

بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَصْرَ بِالْمُخْمَصِ[1]، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ عُرِضَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَّعُوهَا، فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»[2].

وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، قَالَ ﷺ: «أَلَا وَمَنْ صَلَّاهَا، ضُعِّفَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»[3].

۞ وَمِنْ خَصَائِصِ أُمَّتِهِ ﷺ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصَلِّي خَلْفَ إِمَامِهِمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ:

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةُ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»[4].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) قال الإمام في شرح صحيح مسلم (٦/٩٩): المُخْمَص: بميم مضمومة، وخاء معجمة، ثم بميم مفتوحة، وهو موضع معروف.
قلت: وقع في رواية الإمام أحمد في مسنده بأنه وادي، ولفظه: صلى بنا رسول الله ﷺ في واد من أوديتهم ـ يقال له: المخمص... ثم ذكر الحديث.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الأوقات الَّتِي نُهي عن الصلاة فيها ـ رقم الحديث (٨٣٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٧٢٢٧).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ ـ رقم الحديث (١٥٦).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»[1].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنَ الدِّينِ[2]، وَإِدْبَارٍ[3] مِنَ الْعِلْمِ... ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُنَادِي مِنَ السَّحَرِ، فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ؟

فَيَقُولُونَ: هَذَا رَجُلٌ جِنِّيٌّ، فَيَنْطَلِقُونَ، فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَتُقَامُ الصَّلَاةُ، فَيُقَالُ لَهُ: تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللهِ، فَيَقُولُ: لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ، فَإِذَا صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ، خَرَجُوا إِلَيْهِ...»[4].

وَالذِي يُصَلِّي بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْمَهْدِيُّ كَمَا وَقَعَ ذَلِكَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي رِوَايَةِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَلَفْظُهُ: قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِيُّ: تَعَالَ صَلِّ بِنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَهُمْ أَمِيرُ بَعْضٍ، تَكْرِمَةُ اللهِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ»[5].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام ـ رقم الحديث (٣٤٤٩) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ رقم الحديث (١٥٥) (٢٤٥).

(٢) خفقة من الدين: أي في حال ضعف من الدين. انظر النهاية (٢/٥٣).

(٣) إدبار: أي ذهاب. انظر لسان العرب (٤/٢٨١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ رقم الحديث (١٤٩٥٤).

(٥) أورد هذا الحديث: الألباني في السلسلة الصحيحة ـ رقم الحديث (٢٢٣٦) ـ وعزاه=

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَفِي صَلَاةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلْفَ رَجُلٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَعَ كَوْنِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَقُرْبِ قِيَامِ السَّاعَةِ دَلَالَةٌ لِلصَّحِيحِ مِنَ الْأَقْوَالِ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو عَنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ[1].

** ** **

= للحارث بن أبي أسامة في مسنده، وجود إسناده ابن القيم في «المنار المنيف» ص١٤٧ - ووافقه على ذلك الألباني.

(١) انظر فتح الباري (١٦٩/٧).



القسم الخامس

خصائص لم تثبت

خَصَائِصُ لَمْ تَثْبُتْ

۞ إِبْطَالُ وُجُوبِ صَلَاةِ الْوِتْرِ وَالنَّحْرِ وَالضُّحَى عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثٌ هُنَّ عَلَيَّ فَرَائِضُ، وَهُنَّ لَكُمْ تَطَوُّعٌ: الوِتْرُ، وَالنَّحْرُ، وَصَلَاةُ الضُّحَى**»[1].

قَالَ الْحَافِظُ فِي التَّلْخِيصِ الْحَبِيرِ: فَتَلَخَّصَ ضَعْفُ هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ جَمِيعِ طُرُقِهِ[2].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُتِبَ عَلَيَّ النَّحْرُ، وَلَمْ يُكْتَبْ عَلَيْكُمْ، وَأُمِرْتُ بِرَكْعَتَي الضُّحَى، وَلَمْ تُؤْمَرُوا بِهَا**»[3].

قَالَ الْحَافِظُ فِي التَّلْخِيصِ الْحَبِيرِ: أَطْلَقَ الْأَئِمَّةُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ الضَّعْفَ[4].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٠٥٠).

(٢) انظر التلخيص الحبير (٥/٢١٦٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٢٩١٧).

(٤) انظر التلخيص الحبير (٢/٨٧٧).

وَقَالَ ابْنُ الْمُلَقِّنِ: فَتَلَخَّصَ ضَعْفُ الْحَدِيثِ مِنْ جَمِيعِ طُرُقِهِ، وَحِينَئِذٍ فَفِي ثُبُوتِ خُصُوصِيَّةِ هَذِهِ الثَّلَاثِ بِهِ نَظَرٌ(١).

۞ إِبْطَالُ خُصُوصِيَّتِهِ ﷺ بِالْوِتْرِ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي السَّفَرِ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ يُومِئُ إِيمَاءً(٢) صَلَاةَ اللَّيْلِ إِلَّا الْفَرَائِضَ، وَيُوتِرُ عَلَى رَاحِلَتِهِ(٣).

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: اسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْوِتْرَ لَيْسَ بِفَرْضٍ، وَعَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيِّ ﷺ وُجُوبُ الْوِتْرِ عَلَيْهِ لِكَوْنِهِ أَوْقَعَهُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، وَأَمَّا قَوْلُ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ كَانَ مِنْ خَصَائِصِهِ أَيْضًا أَنْ يُوقِعَهُ عَلَى الرَّاحِلَةِ مَعَ كَوْنِهِ وَاجِبًا عَلَيْهِ فَهِيَ دَعْوَى لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا لِأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ دَلِيلُ وُجُوبِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى تَكَلُّفِ هَذَا الْجَمْعِ(٤).

۞ إِبْطَالُ خُصُوصِيَّتِهِ ﷺ بِالنَّحْرِ:

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ وَابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ أَنَّ رَجُلًا

---

(١) انظر غاية السول ص ٧٩.

(٢) الإيماء: الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب. انظر النهاية (٨٢/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الوتر في السفر ـ باب الوتر في السفر ـ رقم الحديث (١٠٠٠).

(٤) انظر فتح الباري (١٧٥/٣).

سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ الْأُضْحِيَةِ: أَوَاجِبَةٌ هِيَ؟

قَالَ: ضَحَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمسُلِمُونَ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَتَعْقِلُ؟

ضَحَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمُسْلِمُونَ(١).

قَالَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ: وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ الْأُضْحِيَةَ لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ، وَلَكِنَّهَا سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْتَحَبُّ أَنْ يُعْمَلَ بِهَا، وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ(٢).

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَكَأَنَّهُ - أَيِ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ - فَهِمَ مِنْ كَوْنِ ابْنِ عُمَرَ لَمْ يَقُلْ فِي الْجَوَابِ نَعَمْ أَنَّهُ لَا يَقُولُ بِالْوُجُوبِ، فَإِنَّ الفِعْلَ الْمُجَرَّدَ لَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَكَأَنَّهُ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: «**الْمُسْلِمُونَ**» إِلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْخَصَائِصِ(٣).

۞ إِبْطَالُ خُصُوصِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَلَاةِ الضُّحَى:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا - وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا

(١) أخرجه الترمذي في جامعه - كتاب الأضاحي - باب (٩) - رقم الحديث (١٥٨٣) - وابن ماجه في سننه - كتاب الأضاحي - باب الأضاحي واجبة هي أم لا؟ - رقم الحديث (٣١٢٤) - وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) انظر جامع الترمذي (٣/٣٣٠).

(٣) انظر فتح الباري (١١/١١٦).

قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي سُبْحَةَ[١] الضُّحَى قَطُّ، وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا[٢].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: حَدِيثُ عَائِشَةَ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ صَلَاةَ الضُّحَى كَانَتْ وَاجِبَةً عَلَيْهِ، وَعَدَّهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ خَصَائِصِهِ، وَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ فِي خَبَرٍ صَحِيحٍ[٣].

وَرَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سُئِلَ: أَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الضُّحَى؟

قَالَ: مَا رَأَيْتُهُ صَلَّى غَيْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ[٤].

---

(١) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٩٥/٥): سُبحة: بضم السين أي النافلة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التهجد ـ باب من لم يُصلِّ الضحى ورآه واسعاً ـ رقم الحديث (١١٧٧) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب استحباب صلاة الضحى ـ رقم الحديث (٧١٨).

(٣) انظر فتح الباري (٣٧٤/٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التهجد ـ باب صلاة الضحى في الحضر ـ رقم الحديث (١١٧٩).

قوله رضي الله عنه: ما رأيته صلى غير ذلك اليوم.

يشير إلى صلاة الرسول ﷺ الضحى في بيت عتبان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه.

وصلاته ﷺ الضحى في بيت عتبان بن مالك رضي الله عنه، أخرجها:

البخاري في صحيحه ـ كتاب الأذان ـ باب من لم ير رد السلام على الإمام... ـ رقم الحديث (٨٤٠) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا ـ رقم الحديث (٣٣) (٥٤).

۞ إِبْطَالُ خُصُوصِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَدَمِ الْأَكْلِ مُتَّكِئًا:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَا آكُلُ مُتَّكِئًا**»[1].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ كَانَ مَكْرُوهًا فِي حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا حَرَامًا[2].

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي التَّلْخِيصِ الْحَبِيرِ: لَمْ يَثْبُتْ دَلِيلُ الْخُصُوصِيَّةِ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ أَدَبٌ مِنَ الْآدَابِ[3].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: فَعَلَى هَذَا لَا يَبْقَى مِنْ بَابِ الْخَصَائِصِ[4].

۞ إِبْطَالُ خُصُوصِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْمُكْثِ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا جُنُبٌ:

رَوَى الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: «**يَا عَلِيُّ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يَجْنُبُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرِي وَغَيْرَكَ**»[5].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأطعمة ـ باب الأكل متكئاً ـ رقمالحديث (٥٣٩٨).

(٢) انظر روضة الطالبين (٥/٢٤٨).

(٣) انظر التلخيص الحبير (٥/٢١٨١).

(٤) انظر الفصول في سيرة الرسول (٢/٤٦٧).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب المناقب ـ باب مناقب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ رقم الحديث (٤٠٦١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: هَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ لَا يَثْبُتُ، فَإِنَّ سَالِمًا هَذَا مَتْرُوكٌ، وَشَيْخُهُ عَطِيَّةٌ ضَعِيفٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ[(١)].

وَقَالَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ: قُلْتُ لِضِرَارِ بْنِ صُرَدَ: مَا مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ؟

قَالَ: لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يَسْتَطْرِقُهُ[(٢)] جُنُبًا غَيْرِي وَغَيْرَكَ[(٣)].

وَتَعَقَّبَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ بِقَوْلِهِ: وَهُوَ مُشْكِلٌ، لِأَنَّ الِاسْتِطْرَاقَ يَجُوزُ لِلنَّاسِ، فَلَا تَخْصِيصَ فِيهِ... وَلَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَلِهَذَا قَالَ الْقَفَّالُ مِنْ أَصْحَابِنَا: إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٤)].

۞ إِبْطَالُ خُصُوصِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَبْسِ الشَّمْسِ:

رَوَى الطَّحَاوِيُّ فِي شَرْحِ مُشْكِلِ الْآثَارِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوحَى إِلَيْهِ، وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ، فَلَمْ يُصَلِّ الْعَصْرَ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَلَّيْتَ يَا عَلِيُّ؟**».

قَالَ: لَا: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ، فَارْدُدْ عَلَيْهِ الشَّمْسَ**»، قَالَتْ أَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَرَأَيْتُهَا غَرَبَتْ، ثُمَّ رَأَيْتُهَا

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/٣١٢).

(٢) قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (١٠/٢١٧): يستطرقه: أي يتخذه طريقًا.

(٣) انظر جامع الترمذي (٦/٢٩٨).

(٤) انظر الفصول في سيرة الرسول (٢/٤٢٧ ـ ٤٢٩).

طَلَعَتْ بَعْدَمَا غَرَبَتْ[1].

وَرَوَى الطَّحَاوِيُّ فِي شَرْحِ مُشْكِلِ الْآثَارِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتُ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الظُّهْرَ بِالصَّهْبَاءِ[2]، ثُمَّ أَرْسَلَ عَلِيًّا فِي حَاجَةٍ، فَرَجَعَ وَقَدْ صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَصْرَ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ، فَلَمْ يُحَرِّكْهُ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَكَ عَلِيًّا احْتَبَسَ بِنَفْسِهِ عَلَى نَبِيِّكَ، فَرُدَّ عَلَيْهِ شَرْقَهَا**»، قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَطَلَعَتِ الشَّمْسُ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى الْجِبَالِ وَعَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ قَامَ عَلِيٌّ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ غَابَتْ، وَذَلِكَ فِي الصَّهْبَاءِ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ[3].

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي «تَرْتِيبِ الْمَوْضُوعَاتِ» فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ ابْنُ عَرَّاقٍ فِي «تَنْزِيهِ الشَّرِيعَةِ»: أَسَانِيدُ حَدِيثِ رَدِّ الشَّمْسِ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَاقِطَةٌ لَيْسَتْ صَحِيحَةً... وَلَوْ رُدَّتْ لِعَلِيٍّ لَكَانَ رَدُّهَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْلَى، فَإِنَّهُ حَزِنَ وَتَأَلَّمَ وَدَعَا عَلَى الْمُشْرِكِينَ لِذَلِكَ، ثُمَّ نَقُولُ: لَوْ رُدَّتْ لِعَلِيٍّ، لَكَانَ بِمُجَرَّدِ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ لَمَّا غَابَتْ خَرَجَ وَقْتُ الْعَصْرِ، وَدَخَلَ وَقْتُ الْمَغْرِبِ، وَأَفْطَرَ الصَّائِمُونَ، وَصَلَّى الْمُسْلِمُونَ الْمَغْرِبَ، فَلَوْ رُدَّتِ الشَّمْسُ لَزِمَ

---

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ـ رقم الحديث (١٠٦٧) ـ وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة ـ رقم الحديث (٩٧١) ـ وقَالَ: حديث موضوع.

(٢) الصهباء: موضع على رَوْحة من خيبر. انظر النهاية (٣/٥٨).

(٣) أخرجه الطحاوي في شرح شكل الآثار ـ رقم الحديث (١٠٦٨) ـ وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة رقم الحديث ـ (٩٧١) ـ وقَالَ: حديث موضوع.

تَخْبِيطُ الْأُمَّةِ فِي صَوْمِهَا وَصَلَاتِهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِي رَدِّهَا فَائِدَةٌ لِعَلِيٍّ إِذْ رُجُوعُهَا لَا يُعِيدُ الْعَصْرَ أَدَاءً، ثُمَّ هَذِهِ الْحَادِثَةُ الْعَظِيمَةُ لَوْ وَقَعَتْ، لَاشْتَهَرَتْ، وَتَوَفَّرَتِ الْهِمَمُ وَالدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهَا، إِذْ هِيَ فِي نَقْضِ الْعَادَاتِ جَارِيَةٌ مَجْرَى طُوفَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ[1].

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَحَدِيثُ رَدِّ الشَّمْسِ قَدْ ذَكَرَهُ طَائِفَةٌ كَأَبِي جَعْفَرَ الطَّحَاوِيِّ وَالْقَاضِي عِيَاضٍ[2] وَغَيْرِهِمَا، وَعَدُّوا ذَلِكَ مِنْ مُعْجِزَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنِ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ كَذِبٌ مَوْضُوعٌ[3].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ بَعْدَ أَنْ أَوْرَدَ حَدِيثَ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: وَهَذَا الْإِسْنَادُ فِيهِ مَنْ يُجْهَلُ حَالُهُ، فَإِنَّ عَوْنًا هَذَا وَأُمَّهُ لَا يُعْرَفُ أَمْرُهُمَا بِعَدَالَةٍ وَضَبْطٍ يُقْبَلُ بِسَبَبِهِمَا خَبَرُهُمَا فِيمَا هُوَ دُونَ هَذَا الْمَقَامِ، فَكَيْفَ يَثْبُتُ بِخَبَرِهِمَا هَذَا الْأَمْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَمْ يَرْوِهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الصِّحَاحِ وَلَا السُّنَنِ وَلَا الْمَسَانِيدِ الْمَشْهُورَةِ[4].

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالْمُعْتَمَدُ أَنَّهَا ـ أَيِ الشَّمْسُ ـ لَمْ تُحْبَسْ إِلَّا لِيُوشَعَ[5].

---

(١) انظر تنزيه الشريعة (١/٣٧٩)..

(٢) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/٢٥٠) للقاضي عياض

(٣) انظر البداية والنهاية (٦/٤٦٣).

(٤) انظر البداية والنهاية (٦/٤٥٧).

(٥) انظر فتح الباري (٦/٣٤٦).

قُلْتُ: وَيُؤَيِّدُ كَلَامَ الْحَافِظِ ابْنَ حَجَرٍ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَى بَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ لَيَالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**»(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ هَذَا كَانَ مِنْ خَصَائِصِ يُوشَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَيْنَاهُ، أَنَّ الشَّمْسَ رَجَعَتْ حَتَّى صَلَّى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَاةَ الْعَصْرِ بَعْدَمَا فَاتَتْهُ بِسَبَبِ نَوْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتِهِ(٢).

*** حَدِيثٌ آخَرُ ضَعِيفٌ:**

رَوَى يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ فِي زِيَادَاتِهِ فِي مَغَازِي ابْنِ إِسْحَاقَ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِالرِّفْقَةِ وَالعَلَامَةِ الَّتِي فِي الْعِيرِ، قَالُوا: مَتَى تَجِيءُ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ**»، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَشْرَفَتْ قُرَيْشٌ يَنْظُرُونَ وَقَدْ وَلَّى النَّهَارُ وَلَمْ يَجِئْ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزِيدَ لَهُ فِي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي مُسْنَدِهِ ـ رقم الحديث (٨٣١٥).

وقصة نبي الله يُوشع بن نون في غزوه لبيت المقدس وتحريره من القوم الجبارين أخرجها: البخاري في صحيحه ـ كتاب فرض الخمس ـ باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُحلت لكم الغنائم**» رقم الحديث (٣١٢٤) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ـ رقم الحديث (١٧٤٧).

(٢) انظر البداية والنهاية (١/٣٦١).

النَّهَارِ سَاعَةً، وَحُبِسَتْ عَلَيه الشَّمْسُ[1].

۞ إِبْطَالُ خُصُوصِيَّتِهِ ﷺ بِاسْتِقْبَالِ أَوِ اسْتِدْبَارِ الْقِبْلَةِ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ:

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ، شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا**»[2].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَقَدِ ارْتَقَيْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَنَا، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى لَبِنَتَيْنِ مُسْتَقْبِلاً بَيْتَ الْمَقْدِسَ لِحَاجَتِهِ[3].

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةَ، أَوْ نَسْتَقْبِلَهَا بِفُرُوجِنَا إِذَا أَهْرَقْنَا الْمَاءَ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَامٍ يَبُولُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ[4].

---

(١) أورده القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢٥١/١) ـ وأورده الحافظ في الفتح (٣٤٦/٦) ـ وقَالَ: هذا منقطع.
وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة ـ رقم الحديث (٩٧٢) ـ وقَالَ: ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري ـ كتاب الوضوء ـ باب لا تُستقبل القبلة ببول ولا غائط إلا عند البناء ـ رقم الحديث (١٤٤).

(٣) أخرجه البخاري ـ كتاب الوضوء ـ باب مَنْ تبرَّز على لبنتين ـ رقم الحديث (١٤٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب الطهارة ـ باب الاستطابة ـ رقم الحديث (٢٦٦) (٦١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ رقم الحديث (١٤٨٧٢).

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: وَالْحَقُّ أَنَّ حَدِيثَ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْسَ بِنَاسِخٍ لِحَدِيثِ النَّهْيِ خِلَافًا لِمَنْ زَعَمَهُ، بَلْ هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ رَآهُ فِي بِنَاءٍ أَوْ نَحْوِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْهُودُ مِنْ حَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُبَالَغَتِهِ فِي السَّتْرِ، وَرُؤْيَةُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ كَانَ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ، فَكَذَا رِوَايَةُ جَابِرٍ، وَدَعْوَى الْخُصُوصِيَّةِ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا إِذِ الْخَصَائِصُ لَا تَثْبُتُ بِالِاحْتِمَالِ، وَدَلَّ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى جَوَازِ اسْتِدْبَارِ الْقِبْلَةِ فِي الْأَبْنِيَةِ... وَقَالَ الْجُمْهُورُ وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَإِسْحَاقَ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْبُنْيَانِ وَالصَّحْرَاءِ، وَهُوَ أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ لِإِعْمَالِ جَمِيعِ الْأَدِلَّةِ[1].

۞ إِبْطَالُ خُصُوصِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِتْمَامِ الصِّيَامِ إِذَا ابْتَدَأَ الْيَوْمَ صَائِمًا:

قَالَ الْحَافِظُ فِي التَّلْخِيصِ الْحَبِيرِ: لَمْ أَرَ لِهَذَا دَلِيلاً إِلَّا إِنْ كَانَ يُؤْخَذُ مِنْ حَدِيثِ صَلَاتِهِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ[2]، وَقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَثْبَتَهُ**»[3]، وَفِي الِاسْتِدْلَالِ بِذَلِكَ نَظَرٌ.

---

(١) انظر فتح الباري (١/٣٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب مواقيت الصلاة ـ باب ما يُصلى بعد العصر من الفوائت ونحوها ـ رقم الحديث (٥٩٢) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب معرفة الركعتين اللتين كان يُصليهما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد العصر ـ رقم الحديث (٨٣٥) (٣٠٠).

(٣) أخرج ذلك ابن حبان في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب فضل في قيام الليل ـ رقم الحديث (٢٦٤٢) ـ وإسناده صحيح على شرط مسلم ـ وأصله في صحيح مسلم ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب جامع صلاة الليل ـ رقم الحديث (٧٤٦) (١٣٩) ـ وانظر كلام الحافظ في التلخيص الحبير (٥/٢١٩٣).

۞ إِبْطَالُ خُصُوصِيَّتِهِ ﷺ بِأَنَّهُ إِذَا رَأَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ أَنْ يَقُولَ: «لَبَّيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ»:

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى بِسَنَدٍ مُرْسَلٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُظْهِرُ مِنَ التَّلْبِيَةِ: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ**»، قَالَ: حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالنَّاسُ يُصْرَفُونَ عَنْهُ كَأَنَّهُ أَعْجَبَهُ مَا هُوَ فِيهِ زَادَ فِيهَا: «**لَبَّيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ**»[1].

قَالَ الْحَافِظُ فِي التَّلْخِيصِ الْحَبِيرِ: وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى الْوُجُوبِ[2].

۞ إِبْطَالُ خُصُوصِيَّتِهِ ﷺ بِتَحْرِيمِ أَكْلِ الْبَصَلِ وَالثُّومِ:

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِقِدْرٍ فِيهِ خُضْرَوَاتٌ مِنْ بُقُولٍ فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا، فَسَأَلَ، فَأُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبُقُولِ، فَقَالَ ﷺ: «**قَرِّبُوهَا**» ـ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ ـ فَلَمَّا رَآهُ كَرِهَ أَكْلَهَا، قَالَ ﷺ: «**كُلْ، فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي**»[3].

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: اخْتُلِفَ هَلْ أَكْلُ ذَلِكَ حَرَامٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَوْ لَا؟

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ـ رقم الحديث (٨٨١٧).

(٢) انظر التلخيص الحبير (٥/٢١٦٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأذان ـ باب ما جاء في الثوم النئ والبصل والكُرّاث ـ رقم الحديث (٨٥٥) ـ ومسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كُراثاً أو نحوها ـ رقم الحديث (٥٦٤) (٧٣).

وَالرَّاجِحُ الْحِلُّ لِعُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ: «**وَلَيْسَ بِمُحَرَّمٍ**»[1].

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَالصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجَادَّةُ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ حَرَامًا عَلَيْهِ، بَلْ كَانَ أَكْلُ ذَلِكَ مَكْرُوهًا فِي حَقِّهِ ﷺ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَنَعَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَعَامًا فِيهِ ثُومٌ، فَرَدَّهُ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ فَقَالَ ﷺ: «**لَا وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ**». فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي أَكْرَهُ مَا كَرِهْتَ[2].

۞ إِبْطَالُ خُصُوصِيَّةِ أُمَّتِهِ ﷺ بِالِاسْتِرْجَاعِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ:

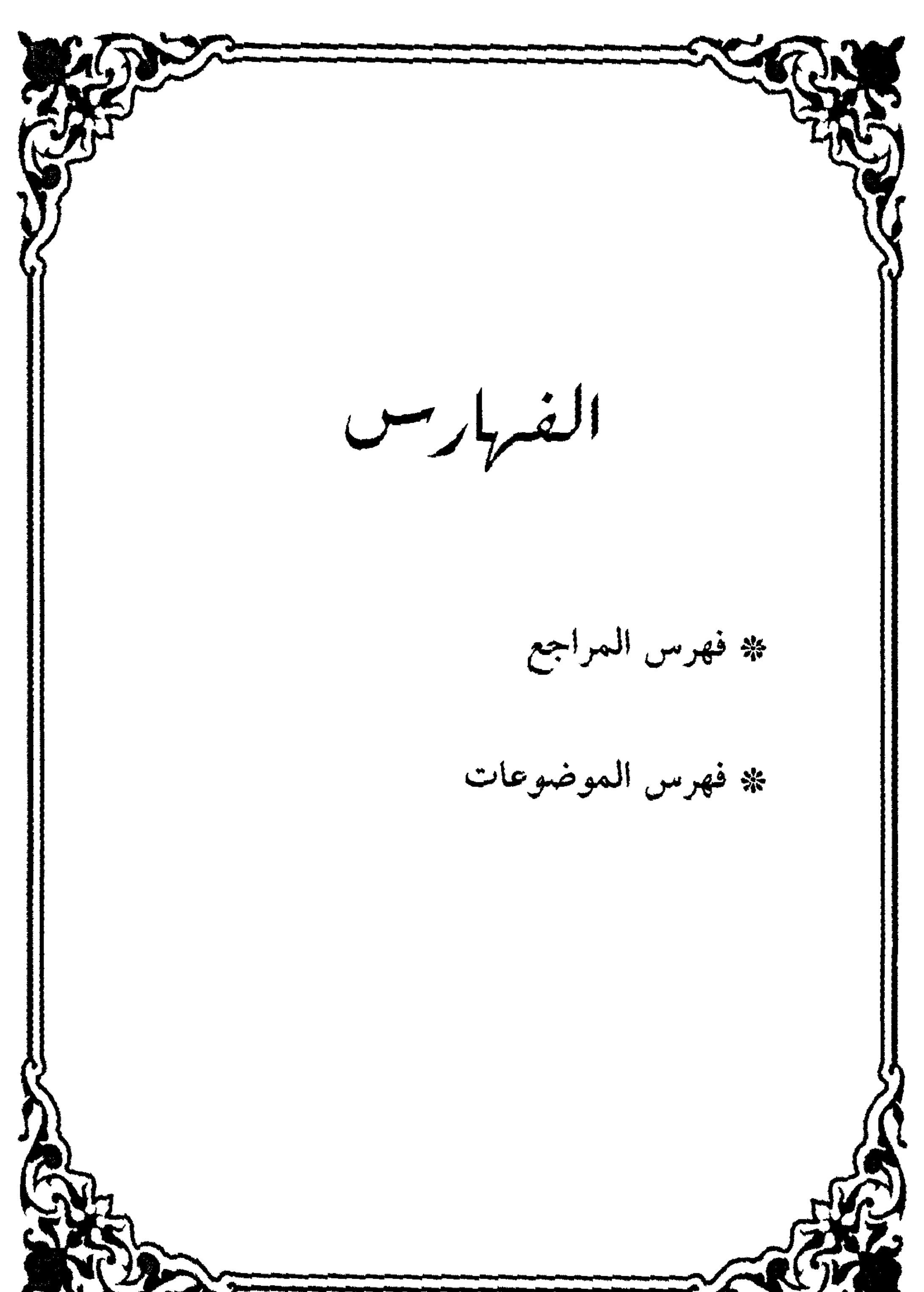
رَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُعْطِيتْ أُمَّتِي شَيْئًا لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**»[3].

** ** **

(١) أخرج هذا الحديث: ابن حبان في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب فرض الجماعة والأعذار الَّتي تبيح تركها ـ رقم الحديث (٢٠٩٢) ـ وإسناده صحيح ـ وانظر فتح الباري (٢/٦١٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الأشربة ـ باب إباحة أكل الثوم... رقم الحديث (٢٠٥٣) ـ وانظر كلام الحافظ ابن كثير في سيرة الرسول الله ﷺ (٢/٤٦٥).

(٣) أورده الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الضعيفة ـ رقم الحديث (٢٨٢٤) ـ وعزاه إلى الطبراني، وضَعّف إسناده.



الفهارس

* فهرس المراجع

* فهرس الموضوعات



فهرس المراجع

أولاً: القرآن الكريم وعلومه:

اسم الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
جامع البيان في تأويل القرآن	الإمام محمد بن جرير الطبري	دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م)
تفسير القرآن العظيم	الحافظ ابن كثير	دار طيبة للنشر والتوزيع ـ تحقيق سامي سلامة ـ الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م)
الجامع لأحكام القرآن	الإمام محمد بن أبي بكر القرطبي	مؤسسة الرسالة ـ تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ الطبعة الأولى (١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م)
معالم التنزيل	الإمام الحسين بن محمد البغوي	دار طيبة للنشر والتوزيع ـ تحقيق محمد النمر ـ د. عثمان ضميرية ـ سليمان الحرش ـ الطبعة الأولى (١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م)

اسم الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
العجاب في بيان الأسباب	الحافظ ابن حجر العسقلاني	دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ـ تحقيق: عبد الحكيم الأنيس ـ الطبعة الثانية (١٤٢٦ هـ)
الاستيعاب في بيان الأسباب	سليم الهلالي ـ محمد آل نصر	دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى (١٤٢٥ هـ)
المفردات في غريب القرآن	الإمام الراغب الأصفهاني	دار المعرفة للطباعة والنشر ـ تحقيق: محمد خليل عيتاني ـ الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م)

ثانياً: كتب المعاجم واللغة:

اسم الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
لسان العرب	الإمام ابن منظور	دار إحياء التراث العربي ـ الطبعة الثانية (١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م)
القاموس المحيط	الإمام مجد الدين الفيروزآبادي	مؤسسة الرسالة ـ الطبعة السادسة (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م)
معجم البلدان	الإمام ياقوت الحموي	دار إحياء التراث العربي ـ الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٨ م)

التحقيق والطبعة	المؤلف	اسم الكتاب
المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ـ تركيا ـ الطبعة الأولى	مجموعة من المؤلفين	المعجم الوسيط

ثالثاً: كتب الحديث وشروحها:

التحقيق والطبعة	المؤلف	اسم الكتاب
المكتبة السلفية ـ الطبعة الأولى (١٤٠٠ هـ)	الإمام عبد الله بن إسماعيل البخاري	صحيح البخاري
دار السلام للنشر والتوزيع ـ الطبعة الثانية (١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م)	الإمام مسلم بن حجاج القُشيري	صحيح مسلم
مؤسسة الرسالة ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م)	الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني	سنن أبي داود
مؤسسة الرسالة ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م)	الإمام محمد بن عيسى الترمذي	جامع الترمذي
مؤسسة الرسالة ـ تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي ـ الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م)	الإمام أحمد بن شعيب النسائي	السنن الكبرى
مؤسسة الرسالة ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م)	الإمام محمد بن يزيد بن ماجه القزويني	سنن ابن ماجه

اسم الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
صحيح ابن حبان	الإمام محمد بن حبان أبو حاتم البُستي	مؤسسة الرسالة ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)
مسند الإمام أحمد	الإمام أحمد بن حنبل الشيباني	مؤسسة الرسالة ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م)
مسند الطيالسي	الإمام سليمان بن داود الطيالسي	دار هجر للطباعة والنشر ـ تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي ـ الطبعة الأولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)
شرح مشكل الآثار	الإمام أبو جعفر أحمد الطحاوي	مؤسسة الرسالة ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ الطبعة الثالثة (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)
الموطأ	الإمام مالك بن أنس	دار الحديث ـ القاهرة ـ تخريج وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي (١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م)
الأدب المفرد	الإمام عبد الله بن إسماعيل البخاري	دار الدليل الأثرية ـ تحقيق: ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الرابعة (١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م)
المستدرك على الصحيحين	الإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري	دار المعرفة للطباعة والنشر ـ الطبعة الأولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨ م)

اسم الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
جامع الأصول في أحاديث الرسول	الإمام أبو السعادات ابن الأثير الجزري	دار الفكر للطباعة والنشر - تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط (١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م)
فضائل الصحابة	الإمام أحمد بن حنبل الشيباني	دار ابن كثير للطباعة والنشر - تحقيق: وصي الله بن محمد عباس - الطبعة الثانية (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)
الترغيب والترهيب	الإمام زكي الدين المنذري	دار ابن كثير للطباعة والنشر - تحقيق: محيي الدين مستو - سمير العطار - يوسف بديوي - الطبعة الثانية (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)
مصنف ابن أبي شيبة	الإمام أبو بكر بن أبي شيبة	دار قرطبة للطباعة والنشر - تحقيق: محمد عوامة - الطبعة الأولى (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)
مصنف عبد الرزاق الصنعاني	الإمام عبد الرزاق بن همّام الصنعاني	المكتب الإسلامي - تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي - الطبعة الثانية (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)
كشف الخفاء	الإمام إسماعيل بن محمد العجلوني	دار إحياء التراث العربي - الطبعة الثانية (١٣٥١هـ)

اسم الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
سلسلة الأحاديث الصحيحة	ناصر الدين الألباني	مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م)
سلسلة الأحاديث الضعيفة	ناصر الدين الألباني	مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م)
فتح الباري بشرح صحيح البخاري	الحافظ ابن حجر العسقلاني	دار الفكر للطباعة والنشر ـ تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م)
صحيح مسلم بشرح النووي	الإمام يحيى بن شرف النووي	دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)
تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي	الإمام أبو العلا محمد المباركفوري	دار إحياء التراث العربي ـ الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م)
إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجه	صفاء الضوي أحمد العدوي	مكتبة دار اليقين ـ الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)
شرح السنة	الإمام الحسين بن مسعود البغوي	المكتب الإسلامي ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ زهير الشاويش ـ الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)
التلخيص الحبير	الحافظ ابن حجر العسقلاني	دار أصواء السلف ـ تحقيق: محمد الثاني بن عمر ـ الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م)

اسم الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
حاشية مسند الإمام أحمد	الإمام نور الدين السندي	وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ دولة قطر ـ تحقيق نور الدين طالب ـ الطبعة الأولى (١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٨ م)
النهاية في شرح غريب الحديث والأثر	الإمام أبو السعادات ابن الأثير الجزري	دار الكتب العلمية ـ تحقيق: صلاح بن محمد عويضة ـ الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م)

رابعاً: كتب السيرة النبوية:

اسم الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
السيرة النبوية	الإمام محمد ابن إسحاق المطلبي	دار إحياء التراث العربي ـ الطبعة الثالثة (١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م)
الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية	الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي	دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)
الطبقات الكبرى	الإمام محمد بن سعد	دار إحياء التراث العربي ـ الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م)
الشمائل المحمدية	الإمام محمد بن عيسى الترمذي	دار ابن حزم ـ تحقيق: حسن أحمد إسبر ـ الطبعة الأولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)

اسم الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
دلائل النبوة	الإمام الحافظ أبو نعيم الأصبهاني	دار النفائس ـ تحقيق: د.محمد رواس قلعه جي ـ عبد البر عباس ـ الطبعة الرابعة (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)
دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة	الإمام أبو بكر أحمد البيهقي	دار الكتب العلمية ـ تحقيق: د. عبد المعطي قلعه جي ـ الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م)
زاد المعاد في هدي خير العباد	الإمام ابن قيم الجوزية	مؤسسة الرسالة ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ عبد القادر الأرناؤوط ـ الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م)
الشفا بتعريف حقوق المصطفى	القاضي عياض	دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ تحقيق: حسين عبد الحميد
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير	ابن سيد الناس	مكتبة التراث ـ تحقيق: د.محمد العيد الخطرواي ـ محيي الدين مستو ـ الطبعة الأولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م)
سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد	الإمام محمد يوسف الصالحي	دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)
شرح المواهب اللدنية	الإمام محمد الزرقاني المالكي	دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)

اسم الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة	د. محمد أبو شهبة	دار القلم ـ الطبعة الرابعة (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م)
فقه السيرة	الشيخ محمد الغزالي	دار القلم ـ الطبعة الخامسة (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م)
الرحيق المختوم	الشيخ صفي الرحمن المباركوري	دار المؤيد للنشر والتوزيع (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م)
السيرة النبوية الصحيحة	د. أكرم ضياء العمري	مكتبة العبيكان ـ الطبعة السادسة (١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م)
السيرة النبوية	الشيخ أبو الحسن الندوي	دار القلم ـ الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م)

خامساً: كتب التراجم:

اسم الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
الإصابة في تمييز الصحابة	الحافظ ابن حجر العسقلاني	دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)
الاستيعاب في معرفة الأصحاب	الإمام يوسف بن عبد البر القرطبي	دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)
أُسد الغابة في معرفة الصحابة	الإمام عز الدين ابن الأثير الجزري	دار المعرفة للطباعة والنشر ـ الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م)
تهذيب التهذيب	الحافظ ابن حجر العسقلاني	مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م)

اسم الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
سير أعلام النبلاء	الإمام الحافظ الذهبي	مؤسسة الرسالة ـ الطبعة العاشرة (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م)
تذكرة الحفاظ	الإمام الحافظ الذهبي	دار الكتب العلمية
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	الإمام أبو نعيم الأصفهاني	دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م)
لسان الميزان	الحافظ ابن حجر العسقلاني	دار إحياء التراث العربي ـ الطبعة الأولى (١٤١٦ ـ هـ ـ ١٩٩٦ م)
الأعلام	خير الدين الزركلي	دار العلم للملايين ـ الطبعة الحادية عشرة (١٩٩٥ م)
رجال من التاريخ	الشيخ علي الطنطاوي	دار المنارة للنشر والتوزيع ـ الطبعة الثامنة (١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م)

سادساً: كتب التاريخ:

اسم الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
تاريخ الأمم والملوك	الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري	دار الكتب العلمية
الكامل في التاريخ	الإمام عز الدين علي ابن الأثير	دار الكتاب العربي ـ تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري ـ الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م)

اسم الكتاب	المؤلف	التحقيق والطبعة
البداية والنهاية	الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير	دار المعرفة للطباعة والنشر - الطبعة الرابعة (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب	الإمام ابن العماد الحنبلي	دار ابن كثير - تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط - محمود الأرناؤوط - الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)
الذكريات	الشيخ علي الطنطاوي	دار المنارة للنشر - الطبعة الثانية (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)

**   **   **

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصحفة

الموضوع	الصحفة

الموضوع	الصحفة

الموضوع	الصحفة

القسم الثالث: خصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصحفة

الموضوع	الصحفة

القسم الخامس: خصائص لم تثبت

** ** **


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com